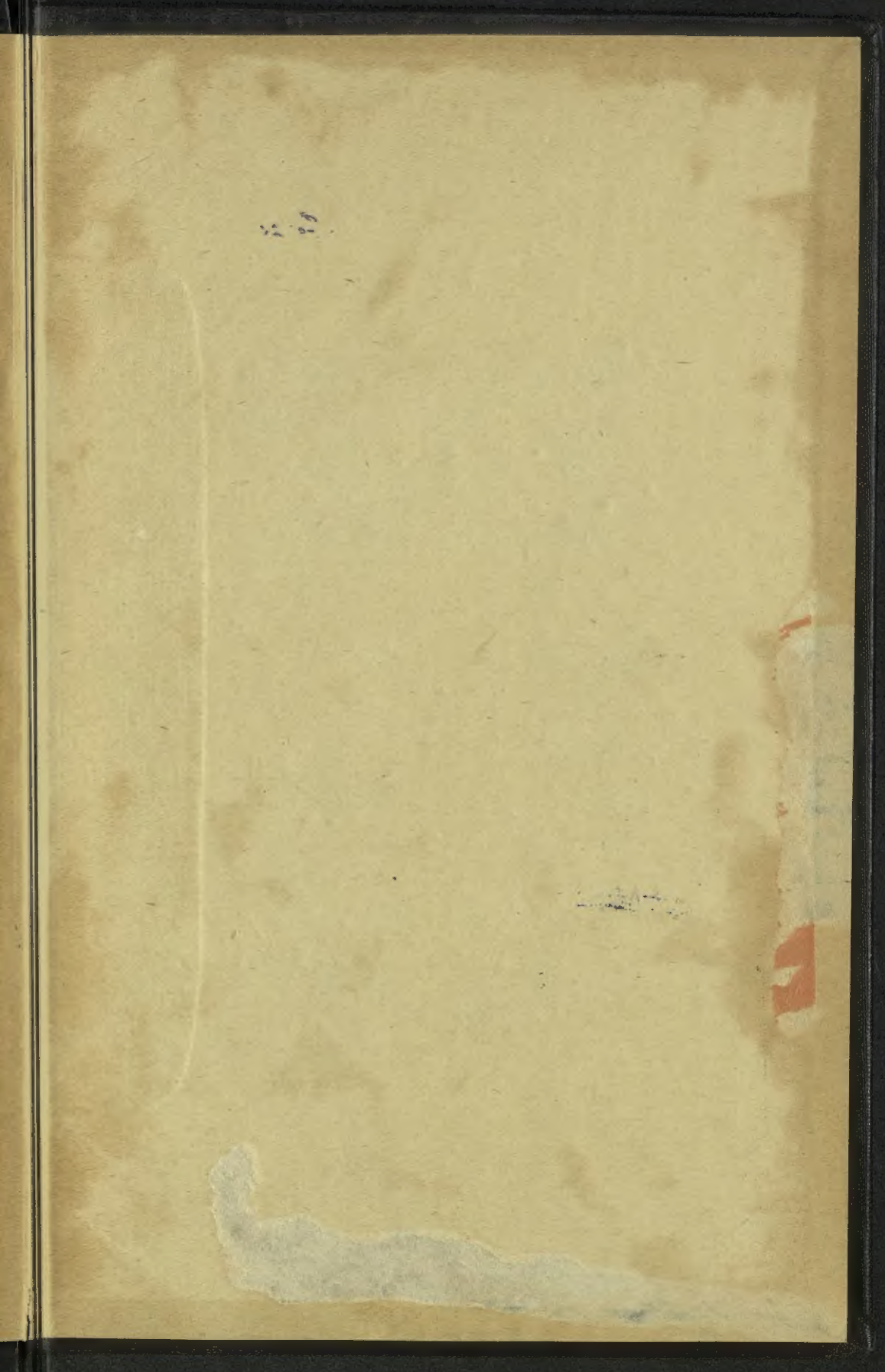
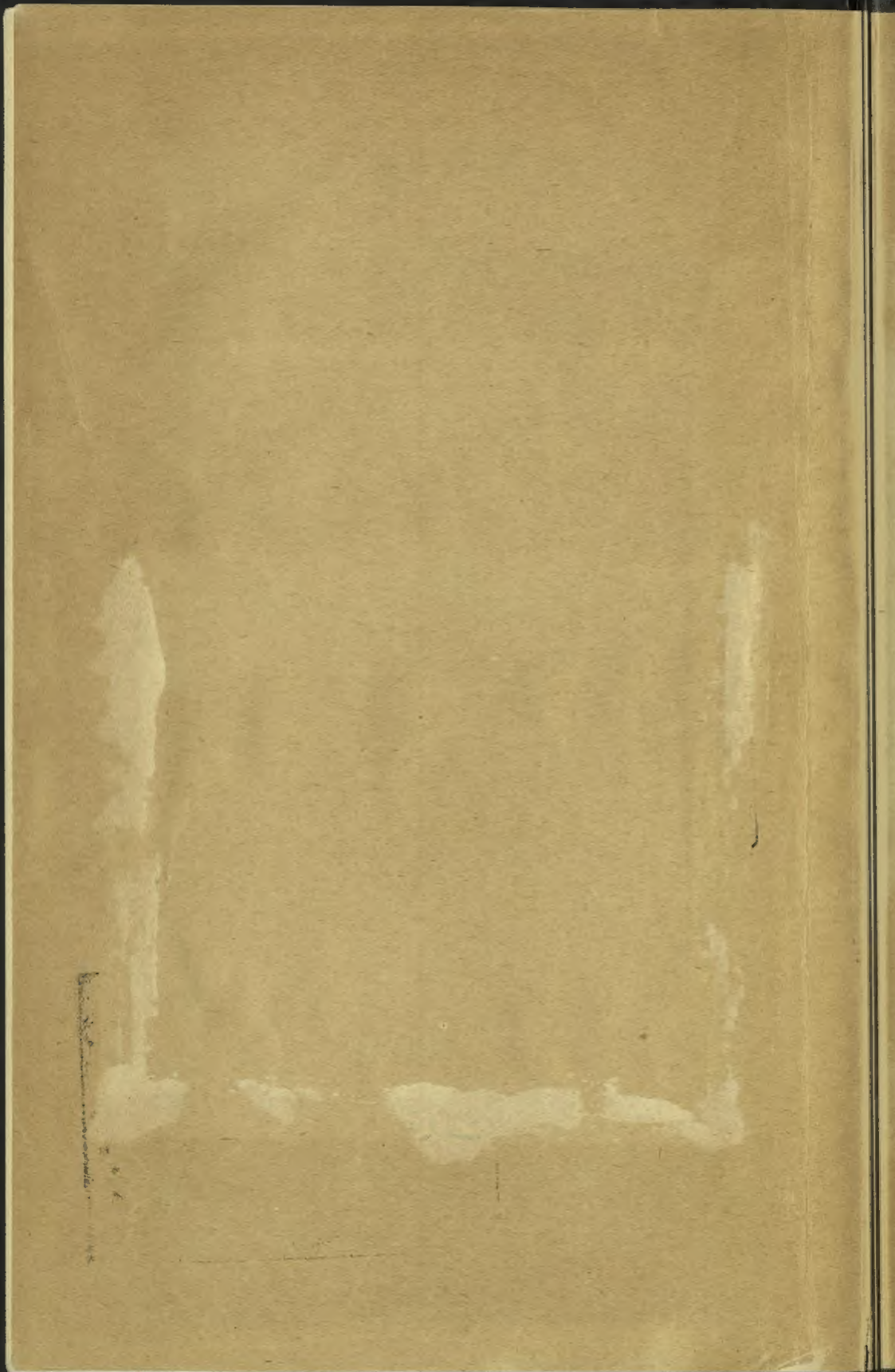
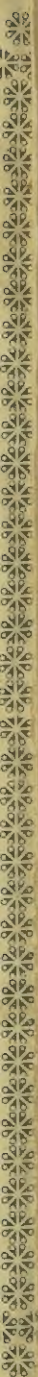


كتاب

كتاب من تصنيف الشيخ الفقيه







كتاب مذهب السلف القويم
في تحقيق مسألة
كلام الله الكريم
بمجموع من فتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية
قدس الله سره

وما حققه في مواضع من كتبه ومؤلفاته

الحمد لله

أشرف على تصحيحه وعلق عليه بغض الحواشي

الشيخ محمد رشيد رضا

منشئ مجلتي

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩ هـ

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام أبو الحسن بن عروة رحمه الله تعالى في الكواكب (١)

نقل من سؤال قدم من بلاد كيلان في مسئلة القرآن إلى دمشق في سنة أربع وسبعائة من جهة سلطان تلك البلاد على يد قاضيه ، لاجل معرفة الحق من الباطل عند ما كثر عندهم الاختلاف والاضطراب ، ورغب كل من الفريقين في قبول كلام شيخ الاسلام أبي العباس احمد بن تيمية في هذا الباب ، فأملاه شيخ الاسلام في المجلس ، وكتبه احمد بن محمد بن مري الشافعي بخط جيد قوي . ثم ان كاتب هذه الاوراق اطلع على هذه الفتوى يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثمانمائة فاخترت لنفسي منها مواضع نقلتها في هذه الاوراق إذ الجواب جواب طويل جداً

صورة السؤال

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في قوم يقولون : إن كلام الناس وغيرهم قديم ، سواء كان الكلام (٢) صدقاً أو كذباً ، فحشاً أو غير فحش ، نظماً أو نثراً ، ولا فرق بين كلام الله عز وجل وكلامهم في القدم الا من جهة الثواب . وقال قوم منهم بل أكثرهم : أصوات الحير والكلاب كذلك (٣) لما قرئ عليهم ما نقل عن الامام احمد رداً على قولهم تأولوا ذلك القول وقالوا ان أحمد انما قال ذلك خوفاً من الناس ، فهل هم مصيبون او مخطئون ؟ فاذا كانوا مخطئين فهل على ولي الامر (١) نقل من الجزء العشرين من الكواكب المودع في خزانة المكتبة العمومية بدمشق في المدرسة الظاهرية (٢) وجد في الاصل ههنا لفظة كلام وهي زائدة كما أشار اليه في حاشية نسختنا (٣) لعل الاصل ولما

وقفه الله ردعهم وزجرهم عن ذلك أم لا؟ وإذا وجب زجرهم فهل يكفرون إن أصروا أم لا؟ وهل الذي نقل عن الامام احمد حق، او هو كما يزعمون؟ افتونا مأجورين
أجاب الامام العلامة شيخ الاسلام قانع البدع ومظهر الحق للخلق،
ابو العباس أحمد بن تيمية .

الحمد لله . بل هؤلاء مخطئون في ذلك خطأ محرماً فاحشاً باجماع المسلمين،
وقد قالوا منكراً من القول وزوراً، بل كفراً وضلالاً ومحالاً، ويجب نهيمهم عن
هذا القول الفاحش، ويجب على ولاية الامور عقوبة من لم ينته منهم عن ذلك
جزاءً بما كسب نكالا من الله . فان هذا القول مخالف للعقل والنقل والدين،
مناقض للكتاب والسنة واجماع المؤمنين . وهي بدعة شنيعة لم يقلها قط أحد من
علماء المسلمين، لا من علماء السنة ولا من علماء البدعة، ولا يقولها عاقل يفهم
ما يقول، ولا يحتاج في مثل هذا الكلام الذي فساد معلوم ببداهة العقل أن
يحتج له بنقل عن امام من الأئمة، الا من جهة ان رده وانكاره منقول عن
الأئمة، وان قائله مخالف للامة مبتدع في الدين، ولنزول بذلك شبهة من يتوهم ان
قولهم من لوازم قول احد من السلف، وليعلم انهم مخالفون لمذاهب الأئمة المقتدى
بهم، بل قول الأئمة مناقض لقولهم، فان الأئمة كلهم نصوا على ان كلام الآدميين
مخلوق، بل نص أحمد على ان أفعال العباد مخلوقة عموماً وعلى كلام الآدميين خصوصاً،
لم يمتنعوا عن هذا الاطلاق لاجل الشبهة التي عرضت لمثل هؤلاء المبتدعة

ثم ساق الشيخ كلاماً طويلاً الى ان قال : ومن المشهور في كتاب صريح
السنة لمحمد بن جرير الطبري - وهو متواتر عنه - لما ذكر الكلام في ابواب السنة
قال : وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن
تابعي قفا، إلا عن في قوله الشفا والغنى، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن قام
مقام الأئمة الاول : أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فان أبا اسماعيل الترمذي

حدثني قال سمعت أبا عبد الله يقول: اللفظية جهمية. قال ابن جرير سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يحكون عنه أنه كان يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. قال ابن جرير: القول في ذلك عندنا لا يجوز أن يقول أحد غير قوله، إذ لم يكن امام قائم به سواء، وفيه كفاية لكل متبع، وقناعة لكل مقتنع، وهو الامام المتبع

وقال صالح بن الامام احمد: بلغ أبي ان أبا طالب يحكي عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فقال: ابعث إلى أبي طالب فوجهت إليه فخاف فقال له أبي: أنا قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب أبي وجعل يرتعد، فقال له قرأت عليك (قل هو الله أحد) فقلت لي: هذا ليس بمخلوق، فقال له: فلم حكيت عني أبي قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وضعت ذلك في كتابك وكتبت به لي قوم، فن كان في كتابك فاحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت اليهم أني لم أقل هذا، وغضب وقال له: تحكي عني ما لم أقل؟ فجعل فوزان يعتذر اليه (١) وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب فذكر أنه حكى ذلك من كتابه وكتب إلى أولئك القوم يخبرانه وهم علي أبي عبد الله في الحكاية عنه. قال أبو عبد الله القرآن حيث تصرف غير مخلوق

وقال عبد الوهاب الوراق: من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فانه يهجر ولا يكلم ويحذر منه، وذكر الخلال في كتاب القراءة عن إسحاق بن إبراهيم قال: قال أبو عبد الله يعني احمد بن حنبل يوم ما كنت سألته عن قوله (٢) «من لم يتغن بالقرآن» قال هو الرجل يرفع صوته به فهذا معناه إذا رفع صوته فقد تغنى به، وعن منصور وصالح أنه قال لا يبه يرفع صوته بالقرآن بالليل؟ فقال نعم إن شاء رفع، ثم ذكر

(١) كذا بالاصل ولا يحذر (٢) يعني قول النبي ﷺ وهو في سنن أبي داود

بلفظ «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»

حديث ام هانيء «كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي من الليل» وقال الاثرم : سألت أبا عبد الله عن القراءة بالالخان فقال : كل شيء محدث فانه لا يعجبني إلا أن يكون صوت رجل لا يتكلفه

قال وأما قول القائل ان احمد قال ذلك خوفا من الناس فبطلان هذا القول يعلمه كل عاقل ببلغه شيء من اخبار احمد ، وقائل هذا هو إلى العقوبة البليغة أحوج منه إلى جوابه لافترائه على الأئمة ، فان الامام احمد صار مثلاً سائراً بضرب به المثل في الحنة والصبر على الحق ، فانه لم يكن يأخذه في الله لومة لائم ، حتى صارت الامامة مقرونة باسمه في لسان كل أحد فيقال قال الامام احمد وهذا مذهب الامام احمد لقوله تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فانه أعطي من الصبر واليقين ، مانال به الامامة في الدين ، وقد تداوله ثلاثة خلفاء يسلطون عليه من شرق الارض الى غربها ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والامراء والولاة ما لا يحصىه إلا الله ، فبعضهم تسلط عليه بالحبس ، وبعضهم بالتهديد الشديد ، وبعضهم يعده بالقتل ، وبغيره من الرعب ، وبعضهم بالترغيب في الرياسة والمال ، وبعضهم بالنفي والتشريد من وطنه ، وقد خذله في ذلك أهل الارض حتى أصحابه العلماء والصالحون ، وهو مع ذلك لا يجيبهم إلى كلمة واحدة مما طلبوا منه ، وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ، ولا استعمل التقية ، بل قد أظهر من سنة رسول الله ﷺ وآثاره ما دفع به البدع المخالفة لذلك مما لم يتأت مثله لعالم من نظرائه . ولهذا قال بعض علماء الشام لم يظهر أحد ما جاء به الرسول كما أظهره احمد بن حنبل ، فكيف يظن به انه كان يخاف هذه الكلمة التي لا قدر لها ، وأيضا فمن أصوله أنه لا يقول في الدين قولاً مبتدعاً ، فكيف بكلمة ما قالها أحد قبله

(قال) فالمنتسبون إلى السنة والحديث وإن كانوا أصلح من غيرهم وفيهم من الخير

مالا يوجد في غيرهم ، فان السنة في الاسلام كالاسلام في الملل ، فكما أنه يوجد في
المنسبين إلى الاسلام ما يوجد في غيرهم من الخير فكل خير فهو في المسلمين
أكثر وكل شر في المسلمين فهو في غيرهم أكثر ، فكذلك المنتسبون إلى السنة قد
يوجد فيهم من الخير مالا يوجد في غيرهم ، وان كان في غيرهم خير فهو فيهم أكثر ،
وكل شر فيهم فهو في غيرهم أكثر ،

(قال) ويجب القطع بأن كلام الآدميين مخلوق ويطلق القول بذلك إطلاقاً
ولا يحتاج إلى تفصيل بأن يقال نظمته أو تأليفه أو غير ذلك ، وذلك لان كلام
المتكلم هو عبارة عن ألفاظه ومعانيه ، وعامة ما يوجد في كتاب الله وسنة رسوله
وكلام السلف وسائر الامم عربهم وعجمهم فانه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى
جميعاً لشموله لهما فيقال عن كلام الله وهو القرآن هذا كلام الله وهذا كلام فلان
(قال) وأما الامة الوسط الباقون على الفطرة فيقولون لما بلغه المبلغ عن غيره
وأداه: هذا كلام ذاك لا كلامك وانما بلغته بقولك ، كما قال ابو بكر الصديق لما
خرج على قريش فقرأ (الْأَسْمَاءُ * غلبت الروم في أدنى الارض) الآية فقالوا هذا
كلامك او كلام صاحبك ؟ فقال ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله
وفي سنن ابي داود من حديث جابر ان رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه
على الناس بالموقف فيقول « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي ، فان قريشاً
قد منعوني ان أبلغ كلام ربي عز وجل » فبين أن ما يبلغه ويتلوه هو كلام الله
لا كلامه وان كان يبلغه بأفعاله وصوته ، والامم متفقون على هذا إذا سمعوا من
يروى قصيدة او كلاماً او قرآناً ، أو مسألة قالوا هذا كلام فلان وقوله فانه هو
الذي اتصف به وألفه وأنشاه

(قال) وكذلك من تبع آباءه الذين سلفوا من غير اعتصام منه بالكتاب
والسنة والاجماع فانه ممن ذمه الله في كتابه في مثل قوله (واذا قيل لهم تعالوا الى

ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا (وفي قوله (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) الآية وكذلك من اتبع الظنون والاهواء معتقداً انها عقليات وذوقيات فهو ممن قال الله فيه (إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وانما يفصل بين الناس فيما تنازعوا فيه الكتاب المنزل من السماء والرسول المؤيد بالمعجزات كما قال تعالى (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) وقال (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) وقال (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه) الآية وقال (ان الذين آمنوا والذين هادوا) الآية فآخبر سبحانه عن مضي ممن كان متمسكا بدين حق من اليهود والنصارى والصابئين وعن المؤمنين بعد مبعث محمد من جميع الامم ان من تلبس بهذه الخصال من سائر الامم وهي جماع الصلاح وهي الايمان بالله والبعث والمعاد والايمان بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً وهو أداء المامورات وترك المحظورات فان له اجره عند ربه ولا خوف عليه مما أمامه ولا يحزن على ما وراءه . وإسلام الوجه هو إخلاص الدين لله وهو عبادته وحده لا شريك له وهو حقيقة قول (إياك نعبد وإياك نستعين) وهو محسن ، فالاول وهو اسلام الوجه هو النية وهذا الثاني وهو الاحسان هو العمل الصالح . وهذا الذي ذكره في هاتين الآيتين هو الايمان العام والاسلام العام الذي اوجبه على جميع عبادته من الاولين والآخرين ، وهو دين الله العام الذي بعث به جميع الرسل وأنزل به جميع الكتب فكان أول أول بدعة حدثت في هذه الامة بدعة الخوارج المكفرة بالذنوب فانهم يكفرون الفاسق الملي ، فزعمت الخوارج والمعتزلة ان الذنوب الكبيرة - ومنهم

من قل والصغيرة - لا تجامع الايمان أبداً بل تنافيه وتفسده كما يفسد الاكل والشرب الصيام ، (قالوا) والايمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات فيكون العاصي كافراً لأنه ليس الا مؤمن او كافر . وقالت المعتزلة : نزلته منزلة بين المنزلتين : نخرجه من الايمان ولا ندخله في الكفر . وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن اتبعهم من الاشعرية والكرامية فقالوا ليس من الايمان فعل الاعمال الواجبة ولا ترك المحظورات البدنية فان الايمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان ، بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصدین والمقرين والظالمين .

وأما السلف والائمة فاتفقوا على ان الايمان قول وعمل ، فيدخل في القول قول القلب واللسان ، وفي العمل عمل القلب والاركان ، (وقال) المنتصرون لمذهبهم (١) ان للايمان أصولاً وفروعاً وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبات بمنزلة اسم الحج والصلاة وغيرها من العبادات ، فان اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل أو ترك مثل الاحرام ومثل ترك محظوراته والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى والطواف بالبيت وبين الجبلين المكتنفين له وهما الصفا والمروة . ثم الحج مع هذا اشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج كالوقوف بعرفة ، وعلى ترك محظور متى فعله فسد حجه وهي الوطء ، ومشتمل على واجبات من فعل وترك يأثم بتركها عمداً ، ويجب مع تركها لعذر أو غيره الجبران بدم ، كلاحرام من المواقيت المكانية ، والجمع بين الليل والنهار بعرفة ، وكرمي الجمار ونحو ذلك ، ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها ولا يأثم بتركها ولا توجب دماً ، مثل رفع الصوت بالاهلال والاكثر منه وسوق الهدي وذكرا لله ودعائه في تلك المواضع ، وقلة الكلام إلا في أمر أو نهي أو ذكر : من فعل الواجب (١) لفظ (وقال) ليست من الاصل الذي طبعنا عنه ولكنها ضرورية

وترك المحذور فقد تم حجه وعمرته لله وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل ، لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل منه وأتم حجاً وعملاً وهو سابق مقرب ، ومن ترك المأمور وفعل المحذور لكنه أتى بآركانه وترك مفسداته فهو حج ناقص يثاب على ما فعله من الحج ويعاقب على ما تركه ، وقد سقط عنه أصل الفرض بذلك مع عقوبته على ما ترك ، ومن أخل بركن أو فعل مفسداً فحجه فاسد لا يسقط به فرضه بل عليه إعادته ، مع أنه قد تنازعوا في إثابته على ما فعله وإن لم يسقط به الفرض ، والا شبه أنه يثاب عليه ، فصار الحج ثلاثة أقسام كاملاً بالمستحبات ، وتاماً بالواجبات فقط ، ونقصاً عن الواجب ، والفقهاء يقسمون الوضوء الى كامل فقط ومجزئ ، ويريدون بالكامل ما أتى بمفروضه ومسئونه وبالمجزئ ما اقتصر على واجبه . فهذا في الاعمال المشروعة وكذلك في الاعيان المشهودة فان الشجرة مثلاً اسم لمجموع الجذع والاعصان وهي بعد ذهاب الورق شجرة كاملة وبعد ذهاب الاعصان شجرة ناقصة ، فليكن مثل ذلك في مسمى الايمان ، والذين قالوا (١) الايمان ثلاث درجات : ايمان السابقين المقربين ، وهو ما أتى فيه بالواجبات والمستحبات من فعل وترك ، وايمان المقتصدین أصحاب اليمين وهو ما ترك صاحبه فيه بعض الواجبات ، او فعل فيه بعض المحظورات ، ولهذا قال علماء السنة لا يكفر أحد بدين ، اشارة الى بدعة الخوارج الذين يكفرون بالدين ، وايمان الظالمين لانفسهم وهو من أقر باصل الايمان وهو الاقرار بما جاءت به الرسل عن الله وهو شهادة أن لا إله إلا الله ولم يفعل المأمورات ويجتنب المحظورات ، فان أصل الايمان التصديق والانقياد فهذا أصل الايمان الذي من لم يأت به فليس بمؤمن وقد تواتر في الاحاديث « اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، مثقال حبة من خير ، مثقال ذرة من خير » و« الايمان بضع وستون أو بضع (١) قوله والذين قالوا — ليس بمدى يصح ان يكون خبراً له فأنظر ان اصله : وقالوا

وسبعون (١) شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ،
والحياء شعبة من الايمان « فعلم ان الايمان يقبل التبعض والتجزئة ، وان قليله
يخرج به صاحبه من النار ان دخلها ، وليس كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل
السنة انه لا يقبل التبعض والتجزئة بل هو شيء واحد اما ان يحصل كله واما ان
لا يحصل منه شيء

واعلم أن عامة السور المكية التي أنزلها الله بمكة هي في هذا الايمان العام
المشترك بين الانبياء جميعهم . وهذا القدر المشترك هو في بعض الملل أعظم
قدراً ووصفاً ، فإن ما جاء به محمد من صفات الله وأسمائه وذكر اليوم الآخر
أكل مما جاء به سائر الانبياء ، ومنه ما تختلف فيه الشرائع والمناهج كالقبلة والنسك
ومقادير العبادات وأوقاتها وصفاتها والسنن والاحكام وغير ذلك . فسمى الايمان
والدين في اول الاسلام ليس هو مسماه في آخر زمان النبوة ، بل مسماه في الآخر
أكمل من مسماه في أول البعثة وأوسطها ، كما قال تعالى في آخر الامر (اليوم
أكمل لكم دينكم) وقال بعدها (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) ولهذا
قال الامام احمد : كان الايمان في أول الاسلام ناقصاً فجعل يتم . وهكذا مسمى الايمان
والدين قد يتنوع بحسب الاشخاص ، وبحسب أمر الله كلامهم ، وبحسب ما يفعله
عما أمر به ، وبحسب اقباله وحضوره وإخلاصه ، فإن المؤمنين من الاولين والآخرين
مشتركون في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ولكن بينهم تفاوت ما في
القلوب إذا ذكر الله وما في اليوم الآخر ما تفاوت به الايمان ، فعند ذكر الجنة
والنجاة من النار وذم من ترك بعضه ونحو ذلك يزداد الايمان الواجب لقوله
(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) الآية وقوله (انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) لايات
هذه رواية مسلم بالشك واعتمد البخاري رواية العدد الاول واصحاب السنن العدد الثاني

وقوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية وقوله في الجنة (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وقوله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الحديث نفى الايمان الواجب عنه الذي يستحق به الجنة . ولا يستلزم ذلك نفى أصل الايمان وسائر أجزائه وشعبه ، هذا معنى قولهم نفى كمال الايمان ، وحقيقة ذلك أن الكمال الواجب ليس هو الكمال المستحب المذكور في قول الفقهاء : الغسل كامل ومجزئ ، ومنه قوله عليه السلام « من غشنا فليس منا » ليس المراد به انه كافر كما تأولته الخوارج ، ولا أنه ليس من خيارنا كما تأولته المرجئة ، ولكن المضمع يطابق المظهر ، والمظهر هو المؤمنون المستحقون للثواب ، السالمون من العذاب ، والغاش ليس منا (١) لانه متعرض لعذاب الله وسخطه .

إذا تبين هذا فمن ترك بعض الايمان الواجب في الجملة لعجزه عنه إما لعدم تمكنه من العلم او لعدم تمكنه من العمل لم يكن مأموراً بما يعجز عنه ، ولم يكن ذلك من الايمان والدين الواجب في حقه ، وان كان من الدين والايمان الواجب في الاصل ، بمنزلة صلاة المريض والخائف وسائر أهل الاعذار الذين يعجزون عن اتمام الصلاة فإن صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه وبه أمروا ، وإن كانت صلاة القادر على الاتمام أفضل وأكمل كما قال النبي ﷺ « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » رواه مسلم من حديث أبي هريرة وفي حديث حسن السياق « ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس » ولو أمكنه العلم به دون العمل لوجب الايمان به علماً واعتقاداً وإن لم يعمل به ، (قال) فان الله قد بين بنصوص معروفة ان الحسنات يذهبن السيئات ، وانه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وان حصائب الدنيا تكفر الذنوب ، وانه يقبل شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر ،

وأنه يغفر الذنوب جميعاً، ويغفر مادون الشرك، وأن الصدقة يبطلها المن والأذى،
 وأن الرياء يبطل العمل، ونحو ذلك، فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما قد
 جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة،
 كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة، وبهذا يبين أنا نشهد بأن الذين
 يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً على الإطلاق والعموم، ولا
 نشهد لمعين أنه في النار لانا لانعلم لحوق الوعيد له بعينه، لأن لحوق الوعيد بالمعين
 مشروط بشروط وانتفاء موانع، ونحن لانعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في
 حقه. وفائدة هذا الوعيد أن هذا الذنب سبب مقتضى لهذا العذاب، والسبب
 قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه

يبين هذا أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها
 وحاملها والمحمولة إليه وشاربها وساقها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها. وثبت عنه
 في الصحيح أن رجلاً كان يكثر شرب الخمر فلعمه رجل فقال النبي ﷺ «لا تلعه»
 فإنه يحب الله ورسوله» فنهى عن لعن هذا المعين وهو مدمن الخمر لانه يحب الله
 ورسوله، وقد لعن أولاً شاربها على العموم،

(قال) فمسئلة تكفير أهل البدع والاهواء متفرعة على هذا الاصل فنبدأ بمذاهب
 الاثمة في ذلك قبل التنبيه على الحجة فنقول: المشهور من مذهب أحمد وعامة أئمة السنة
 تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به
 الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم وجود الصانع وجود ما أخبر به عن نفسه على لسان
 رسوله، بل وجميع الرسل. ولهذا قال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود
 والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية. وقال غير واحد من الأئمة: أنهم أكفر
 من اليهود والنصارى. وبهذا كفروا من يقول أن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في
 الآخرة، وأن الله ليس على العرش، وأنه ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب.

يؤخو ذلك من صفاته. وأما المرجئة فلا تختلف نصوصه انه لا يكفرهم فان بدعهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع ، وكذلك الذين يفضلون علياً على أبي بكر لا يختلف قوله انه لا يكفرهم ، وذلك قول طائفة من الفقهاء وامكن بدعون .

(قال) وعنه في تكفير من لم يكفر الجهمية روايتان أحدهما لا يكفر . والجهمية عند كثير من السلف مثل ابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من أصحاب احمد ليسوا من الثلاث والسبعين فرقة التي اقرقت عليها هذه الامة ، بل اصول هذه الفرق هم الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية .

(قال) فان الدعاء الى المقالة أعظم من قولها (١) واثابة قائلها، وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء اليها

(قال) وفي الادلة الشرعية ما يوجب ان الله لا يعذب من هذه الامة مخطئاً على خطأه وإن عذب المخطي. من غير هذه الامة؛ فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين ، فلما مات الرجل فعلوا به كما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا ؟ قال من خشيتك يا رب وانت أعلم ، فقهر له . » وهذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ رواه أصحاب الصحيح والمسند من حديث أبي سعيد وحذيفة وعقبة بن عامر وغيرهم عن النبي ﷺ من وجوه متعددة يعلم أهل الحديث انها تنفيد العلم اليقيني وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ، فهذا الرجل قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة من يصل الى الحلة التي أمر أهلها أن يفعلوها به ، وإن من أحرق وذري لا يقدر الله أن يعيده ويحشره اذا فعل به ذلك ، وانه ظن ذلك ظناً ولم يجزم به .

(١) هذه الجملة تعليل لمن كفروا بدعاة البدعة دون سائر اهلها وكان ينبغي لابن عروة ان لا يحذف ذكرهم من تلخيصه لكلام شيخ الاسلام

وهذان أصلان عظيمان: أحدهما متعلق بالله وهو الايمان بأنه على كل شيء قدير ، والثاني متعلق باليوم الآخر وهو الايمان بأن الله يعيد هذا الميت ولو صار الى ما يقدر صيرورته اليه مهما كان فلا بد أن الله يحياه ويجزيه بأعماله . فهذا الرجل مع هذا لما كان مؤمنا بالله في الجلة ومؤمنا باليوم الآخر في الجلة وهو أن الله يثيب ويعاقبه بعد الموت فهذا عمل صالح وهو خوفه من الله أن يعاقبه على تفريطه غفر له بما كان معه من الايمان بالله واليوم الآخر ، وانما أخطأ من شدة خوفه ، كما ان الذي وجد راحلته بعد إياسه منها أخطأ من شدة فرحه ،

وقد وقع الخطأ كثير الخلق من هذه الامة واتفقوا على عدم تكفير من أخطأ ، مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي ، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظة ، وأنكر بعضهم في الخلافة والتفضيل كلام ، وكذلك لبعضهم في قتال بعض وتكفير بعض أقوال معروفة ، وكان القاضي شريح ينكر قراءة من قرأ (بل عجبت) ويقول ان الله لا يعجب ، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: انما شريح شاعر يعجبه علمه ، كان عبد الله أفقه منه وكان يقرأ (بل عجبت) فهذا قد أنكر قراءة ثابتة ، وأنكر صفة لله دل عليها الكتاب والسنة ، واتفقت الامة على ان شريحا إمام من الأئمة . وكذلك بعض العلماء أنكروا حروفا من القرآن كما أنكروا بعضهم (أولم يئس الذين آمنوا) فقال انما هي (أو لم يتبين الذين آمنوا) ، وآخر أنكروا (وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه) فقال انما هي (ووصى ربك) ، وبعضهم كان حذف العوذتين . وآخر يكتب سورتي القنوت . وهذا الخطأ معفو عنه بالاجماع ، وكذلك الخطأ في الفروع العملية فان الخطيء فيها لا يكفر ولا يفسق بل ولا يأنم ، وان كان بعض المتكامة والمتفقه يجعل الخطيء فيها آثما . وبعض المتفقه يعتقد أن كل مجتهد فيها مصيب ، فهذان القولان شاذان ولم يقل أحد بتكفير الخطيء فيها . فقد أخطأ بعض السلف فيها مثل خطأ بعضهم في بعض

انواع الربا واستحلال آخرين الخمر واستحلال آخرين القتال في الفتنة. وقد قال تعالى (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرث — الى قوله — ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) وفي الصحيح « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

والسنة والاجماع منعقد على أن من باغته دعوة النبي ﷺ فلم يؤمن فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة، والنصوص. انما أوجبت رفع المؤاخذه بالخطأ لهذه الامة، وإذا كان كذلك فالخطي، في بعض هذه المسائل إما أن يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة أصول الايمان، وإما أن يلحق بالخطئين في مسائل الايجاب والتحریم مع انها أيضاً من أصول الايمان، فإن الايمان الذي يوجب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو اعظم اصول الايمان وقواعد الدين، والجاحد لها كافر بالاتفاق، مع أن المجتهد في بعضها إذا أخطأ ليس بكافر بالاتفاق، وإذا كان لابد من إلحاقه بأحد الصنفين فالحقه بالمؤمنين الخطئين أشد شهاً من إلحاقه بالمشركين وأهل الكتاب، مع العلم بأن كثيراً من أهل البدع منافقون النفاق الاكبر، فما أكثر ما يوجد في الافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون (١) وأولئك في الدرك الاسفل من النار. بل اصل هذه البدع من المنافقين الزنادقة ممن يكون أصل زندقته مأخوذاً عن الصابئين والمشركون وأصل هؤلاء هو الاعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة وابتغاء الهدى في غير ذلك ممن كان هذا أصله، فهو يعد الرسالة انما هي للعامة دون الخاصة، كما يقوله قوم من المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة، فنفي الصفات كفر، والتكذيب بأن الله لا يرى في الآخرة «١» كذا في الاصل وهو محرف فاما أن يكون اول الجملة فأكثر ما يوجد الخ واما أن يكون آخرها . من الزنادقة المنافقين

كفر، وإنكار أن يكون الله على العرش كفر، وكذلك ما كان في معنى ذلك كانكار تكليم الله لموسى واتخاذ الله إبراهيم خليلاً

(قال) فإن الجزاء في الحقيقة إنما هو في الدار الآخرة التي هي دار الثواب والعقاب . وأما الدنيا فإنما يشرع فيها ما شرع من العقوبات دفعاً للظلم والعدوان وكسراً للنفوس العاتية الباغية ودفعاً لشر الجبار الطاغى، وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة ولا بالعكس ولهذا أكثر السلف على قتل الداعي إلى البدعة لما يجري على يديه من الفساد في الدين سواء قتلوا هو كافر أو ليس بكافر

وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه مع الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة بالرسالة التي يبين بها لهم أنهم مخالفون للرسول، وإن كانت مقالتهم هذه لا ريب أنها كفر، وهكذا الكلام في جميع تكفير المعينين، مع أن بعض هذه البدع أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان والعمل الصالح ما ليس في بعض، والله أعلم



فصل

[في مسألة اقرآن العزيز وذكر دلالة الكتاب والسنة على ما اتفق عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين: الأئمة الاربعة وغيرهم والتنبيه على الاقوال التي حدثت بعد السلف الصالح كقول السلف ان القرآن كلام الله]

قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وهو منزل من الله كما قل تعالى (أفغير الله أتبعي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا ولذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) فأخبر سبحانه أنهم يعلمون ذلك والعلم لا يكون إلا حقا

وقال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم — حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم — حم تنزيل من الرحمن الرحيم) وقال تعالى (ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم من الجنة والناس جمعين) وقال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) ونحو ذلك وقول تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فأخبر سبحانه انه منزل من الله ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله الا كلامه بخلاف نزول الملائكة والمطر والحديد وغير ذلك، ولهذا كان القول المشهور عن السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فان من قال انه مخلوق يقول انه خلق في بعض الخلوقات القائمة بنفسها، فمن ذلك الخلق أنزل وبدأ لم ينزل من الله ، فأخبار الله تعالى أنه منزل من الله يناقض أن يكون قد نزل من غير الله، ولهذا فسر الامام احمد قوله «منه بدأ» أي هو المتكلم وقال احمد كلام الله من الله ليس ببائن عنه، وأيضا فلو كان مخلوقا في غيره لم يكن كلامه بل كان يكون كلاما لذلك المخلوق فيه، وكذلك سائر ما وصف به نفسه

من الارادة والمحبة والمشيئة والرضى والغضب والمقت وغير ذلك من الامور، لو كان مخلوقا في غيره لم يكن الرب تعالى متصفا به ، بل كان يكون صفة لذلك المحل ، فان المعنى اذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل ولم يكن صفة لغيره فيمتنع أن يكون المخلوق او الخالق موصوفا بصفة موجودة قائمة بغيره لانه فطر ذلك (١) ما وصف به نفسه من الافعال اللازمة يمتنع أن يوصف الموصوف بامر لم يقم به . وهذا مبسوط في مواضع آخر .

ومن قول السلف ان الناس من الله تعالى كما يقول ذلك بعض المتأخرين ، قال الله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قل : قال لي النبي ﷺ « اقرأ علي القرآن » قالت : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قل « اني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت عليه سورة النساء ، حتى بلغت الى هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قل « حسبك » فنطرت فاذا عيناه تذرفان من البكاء ، والنبي ﷺ سمعه من جبريل وهو الذي نزل عليه به ، وجبريل سمعه من الله تعالى ، كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة ، قال تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) وقال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين * باسان عربي مبين) وقال تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قلوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فاخبر سبحانه انه نزله روح القدس - وهو الروح الامين وهو جبريل - من الله بالحق ، ولم يقل احد من السلف ان النبي ﷺ سمعه من الله وانما قل ذلك بعض المتأخرين ، وقوله تعالى (ان

(١) قوله لأنه فطر ذلك ليس له معنى فلا بد ان يكون محرفا وما قبله وما بعده سيأتي بيانه في مواضع أخرى من هذه المباحث كما اشار اليه في قوله وهذا مبسوط في مواضع آخر

علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) هو كقوله تعالى (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) وقوله (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) ونحو ذلك مما يكون الرب فعله بملائكته، فان لفظ نحن هو الواحد المطاع الذي له أعوان يطيعونه ، فالرب تعالى خلق الملائكة وغيرها تطيعه الملائكة أعظم مما يطيع المخلوق أعوانه، فهو سبحانه أحق باسم نحن، وفعلنا، ونحو ذلك من كل ما يستعمل

وفي الصحيحين عن ابن عباس قل: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفطيه ، فقال ابن عباس: أنا أحر كهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقل سعيد بن جبير: أنا أحر كهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفطيه فانزل له (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه) قل: جمعه لك في صدرك وتقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاذا قرأه رسولنا ، وفي لفظ : فاذا قرأه جبريل فاستمع له وأنصت (ثم ان علينا بيانه) اي نقرؤه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه

وقد بين الله تعالى أنواع تكليمه لعباده في قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء) فبين سبحانه ان التكليم تارة يكون وحياً ، وتارة من وراء حجاب كما كلم موسى ، وتارة يرسل رسولا فيوحي الرسول بأذن الله ما يشاء ، وقال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا) ومن الناس (فاذا أرسل الله تعالى رسولا كان ذلك مما يكلم به عباده فيتلوه عليهم وينبئهم به كما قال تعالى (قل لا تعتذروا ان تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم) وانما نبأهم بواسطة الرسول ، والرسول مبلغ به ، كما قل تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وقل تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) وقال تعالى (وما على

الرسول إلا البلاغ المبين) والرسول أمر أمته بالتبليغ عنه. ففي صحيح البخاري عن عبد الله ابن عمرو عن النبي ﷺ انه قال «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وقال ﷺ، لما خطب المسلمين «ليبلغ الشاهد الغائب، قرب مبلغ أوعى من سامع» وقال ﷺ «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه الى من لم يسمعه، قرب حامل فقهه الى غير فقيهه، ورب حامل فقهه الى من هو أفقه منه» وفي السنن عن جابر قال كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول «ألا رجل يحملني الى قومه لا يبلغ كلام ربي فان قرىسا منعوني أن أبلغ كلام ربي» وكما لم يقل أحد من السلف انه مخلوق فلم يقل أحد منهم انه قديم، لم يقل واحداً من القولين أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا من بعدهم من الأئمة الاربعة ولا غيرهم، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون القرآن كلام الله، ولم يظهر من قال انه مخلوق قالوا ردّاً لكلامه انه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك انه مفترى كما ظنه بعض الناس فن أحدًا من المسلمين لم يقل انه مفترى بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم وانما قالوا انه مخلوق خلقه الله في غيره فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك وصنف في ذلك مصنفات متعددة وقالوا: منه بدا واليه يعود

وأول من عرف انه قال مخلوق الجعدي بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف انه قال هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول فمنهم من قال الكلام معنى واحد قائم بذات الرب ومعنى القرآن كله والتوراة والانجيل وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به بل هو مخلوق خلقه في غيره. وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار فإنه من المعلوم بصرح العقل ان معنى آية الكرسي ليس معنى آية الدين، ولا معنى قل هو الله أحد معنى تبت يدا

أبي لهب، فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة وخطابه الملائكة وحسابه لعباده يوم القيامة وغير ذلك من كلامه. ومنهم من قال هو حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفاً بها. وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وأنه لم يزل ولا يزال يقول: يا نوح، يا إبراهيم، يا أيها الزمل، يا أيها المذر، كما قد بسطت أقوالهم في غير هذا الموضع، ولم يقل أحد من الساف بواحد من القولين ولم يقل أحد من السلف إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضلاً عن أن يقول إن صوتي به قديم أو غير مخلوق بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله والناس يقرأونه بأصواتهم ويكتبونه بمدادهم وما بين اللوحين كلام الله وكلام الله غير مخلوق.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو » وقال تعالى (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ) والمداد الذي يكتب به القرآن مخلوق والصوت الذي يقرأ به هو صوت العبد والعبد وصوته وحركاته وسائر صفاته مخلوقة، فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الباري، والصوت الذي يقرأ به العبد صوت اقارء، كما قال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) وقال النبي ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » فبين أن الأصوات التي يقرأ بها القرآن أصواتنا والقرآن كلام الله، ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة: يحسنه الإنسان بصوته كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً. فكان ما قاله أحمد وغيره من أئمة السنة من أن الصوت صوت العبد موافقاً للكتاب والسنة، وقد قال تعالى (واقصد في مشيك واغضض من صوتك) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) وقال تعالى (إن

الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى (وقال تعالى (ولو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) ففرق سبحانه بين المداد الذي تكتب به كلماته وبين كلماته ، فالبحر وغيره من المداد الذي يكتب به الكلمات مخلوق وكلمات الله غير مخلوقة . وقال تعالى (ولو أن مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمدده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) فالبحر اذا قدرت مداداً تنفذ وكلمات الله لا تنفذ . ولهذا قال أئمة السنة: لم يزل الله متكلماً كيف شاء وبما شاء كما ذكرت الآثار بهذه المعاني عن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما

هذا وقد اخبر سبحانه عن نفسه بالنداء في اكثر من عشرة مواضع، فقال تعالى (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهماكما عن تلكا الشجرة واقل لهما ان الشيطان لكما عدو مبين) وقال تعالى (ويوم يناديهم ابن شركا أي الذين كنتم تزعمون) (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتكم المرسلين) وذكر سبحانه نداءه لموسى عليه السلام في سورة طه ومريم والطس الثلاث وفي سورة والنارعات، واخبر انه ناداه في وقت بعينه فقال تعالى (فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى اني انا الله رب العالمين) وقال تعالى (هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) وقال تعالى (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة انه سبحانه ينادي بصوت، نادى موسى وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن احد من السلف انه قال ان الله يتكلم بلا صوت او بلا حرف ولا انه انكر ان يتكلم الله بصوت او بحرف، كما لم يقل احد منهم ان الصوت الذي سمعه موسى قديم، ولا ان ذلك النداء قديم، ولا قل احد منهم ان هذه

الاصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به، بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين اصوات العباد

وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية كما قال الامام احمد لما سئل عن قال ان الله لا يتكلم بصوت، فقال: هؤلاء جهمية، انما يدورون على التعطيل. وذكر بعض الآثار المروية في انه سبحانه يتكلم بصوت. وقد ذكر من صنف في السنة من ذلك قطعة كما^١ من ذلك قطعة وعلى ذلك ترجم عليه

البخاري في صحيحه قوله تعالى (حتى اذا فرغ من قولهم) وقد ذكر البخاري في كتاب خلق الافعال مما يبين به الفرق بين الصوتين آثارا متعددة. وكانت محنة البخاري مع اصحابه محمد بن يحيى الذهلي وغيره بعد موت احمد بسنين ولم يتكلم احمد في البخاري الا بالثناء عليه، ومن نقل عن احمد انه تكلم في البخاري بسوء فقد اقترى عليه

وقد ذكر الشيخ ابو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي في كتابه الذي سماه (الفصول في الاصول) قال سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد يقول: سمعت ابا حامد الاسفراييني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه نحن بأستننا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، عليه لعائن الله والناس أجمعين

وقد كان طائفة من أهل الحديث والمنتسبين الى السنة تنازعوا في اللفظ بالقرآن هل يقال انه مخلوق، ولما حدث الكلام في ذلك أنكرت أئمة السنة كاحمد

ابن حنبل وغيره أن يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وقالوا من قال انه مخلوق فهو جهمي، ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع. وأما صوت العبد فلم يتنازعوا انه مخلوق، فان المبلغ لكلام غيره بلفظ صاحب الكلام انما بلغ غيره، كما قال روى الحديث بلفظه وانما يبلغه بصوت نفسه لا بصوت صاحب الكلام واللفظ في الاصل مصدر لفظ بلفظ افظا وكذلك التلاوة والقراءة مصدران لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو (١) وهو المراد باللفظ في اطلاقهم. فاذا قيل لفظي أو اللفظ بالقرآن مخلوق أشعر أن هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق، واذا قيل لفظي غير مخلوق، أشعر أن شيئاً مما يضاف اليه غير مخلوق، وصوته وحر كته مخلوق، لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق، والتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى وقد يراد بها نفس حركة العبد، وقد يراد بها مجموعهما. فاذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو، واذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو، واذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام فلا يطلق عليها انها المتلو ولا انها غيره

ولم يكن أحد من السلف يريد بالتلاوة مجرد قراءة العباد وبالمتلو مجرد معنى واحد يقوم بذات الباري تعالى، بل الذي كانوا عليه ان القرآن كلام الله تكلم الله به بحروفه ومعانيه ليس شيء منه كلاما لغيره، لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما، بل قد كفر الله من جعله قول البشر، مع انه سبحانه أضافه تارة الى رسول من البشر وتارة الى رسول من الملائكة، فقال تعالى (انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين) فالرسول هو محمد ﷺ، وقول تعالى (انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع * ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد

(١) يعبر عن الاول بالمعنى المصدرى وعن الثاني بالحاصل بالمصدر

راه بالافق المبين* وما هو على الغيب بضنين* وما هو بقول شيطان رجيم* فأين تذهبون* إن هو إلا ذكر للعالمين) فلرسول هنا جبريل وأضافه سبحانه إلى كل منهما باسم رسول لأن ذلك يدل على أنه مبلغ له عن غيره وأنه رسول فيه لم يحدث هو شيئاً منه، إذ لو كان قد أحدث منه شيئاً لم يكن رسولا فيما أحدثه بل كان منشأً له من تلقاء نفسه، وهو سبحانه يضيف إلى رسول من الملائكة تارة ومن البشر تارة. فلو كانت الإضافة لكونه انشأ حروفه لتناقض الخبران، فن انشاء أحدهما له يناقض انشاء الآخر له، وقد كفر الله تعالى من قال أنه قول البشر، فمن قال أن القرآن أو شيئاً منه قول بشر أو ملك فقد كذب، ومن قال أنه قول رسول من البشر ومن الملائكة بلفه عن مرسله ليس قول^(١) ولم يقل أحد من السلف أن جبريل أحدث ألفاظه ولا محمداً ﷺ ولا أن الله تعالى خلقها في الهواء أو غيره من المخلوقات، ولا أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ بل هذه الأقوال هي من أقوال بعض المتأخرين، وقد بطل الكلام في غير هذا الموضع على تنازع المتدعين الذين اختلفوا في الكتاب وبين فساد أقوالهم، وأن القول السديد هو قول السلف وهو الذي يدل عليه النقل الصحيح والعقل الصحيح. وإن كان عامة هؤلاء المختلفين في الكتاب لم يعرفوا القول السديد قول السلف بل ولا سمعوه ولا وجدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية ولا معاني الكتاب والسنة إلا بتحريف بعض المحرفين لها، ولهذا إنما يذكر أحدهم أقوالاً مبتدعة إما قواين وإما ثلاثة وإما أربعة وإما خمسة، والقول الذي كان عليه السلف ودل عليه الكتاب والسنة لا يذكره لأنه لا يعرفه ولهذا نجد الفاضل من هؤلاء حائراً مقرأً بالحيرة على نفسه وعلى من سبقه من هؤلاء

(١) يياض بالأصل والمعنى يقتضي أن يكون المحذوف: ليس قولاً انشأه من

عنده فقد صدق

المختلفين لانه لم يجد فيما قالوه قولاً صحيحاً

وكان أول من ابتدع الاقوال الجهمية المحضة النفاة الذين لا يثبتون الاسماء والصفات، فكانوا يقولون أولاً ان الله تعالى لا يتكلم بل خالق كلام في غيره وجعل غيره يعبر عنه وان قوله تعالى (واذ نادى ربك موسى) وقول النبي ﷺ «ان الله ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة اذا بقي ثلث الليل، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» معناه ان ملكاً يقول ذلك عنه، كما يقال: نادى السلطان، أي أمره نادى عنه، فاذا تلى عليهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من انه يقول ويتكلم. قالوا هذا مجاز، كقول العربي * امتلاً الخوض وقال قطي * وقالت (١) اتساع بطنه ونحو ذلك.

فلما عرف السلف حقيقته وانه مضاه لقول المتفلسفة المعطلة الذين يقولون ان الله تعالى لم يتكلم وانما اضافت ارسل اليه الكلام بلسان الحال كفروهم وبينوا ضلالهم، ومما قالوا لهم ان المنادي عن غيره كمنادي السلطان يقول أمر السلطان بكذا خرج مرسومه بكذا، لا يقول اني أمركم بكذا وانها كم عن كذا، والله تعالى يقول في تكليمه لموسى (اني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) ويقول تعالى اذا نزل ثلث الليل الغابر «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» واذا كان القائل ملكاً قال كما في الحديث الذي في الصحيحين «اذا أحب الله العبد نادى في السماء يا جبريل اني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل وينادي في السماء ان الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الارض» فقال جبريل في نداءه عن الله تعالى: ان الله يحب فلانا فأحبه، وفي نداء الرب يقول «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» فان قيل: فقد روي أنه يأمر منادياً

(١) كذا في الاصل والظاهر انه سقط منه شيء

فينادي، قيل هذا ليس في الصحيح، فان صح أمكن الجمع بين الخبرين بان ينادي هو ويا مرماديا ينادي. أما ان يمارض بهذا النقل النقل الصحيح المستفيض الذي اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول مع أنه صريح في أن الله تعالى هو الذي يقول «من يدعوني فأستجيب له من يسلني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» فلا يجوز، وكذلك جهنم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً ولا حيواً ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز. قال لانه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهاً، وكان جهنم مجبراً يقول ان العبد لا يفعل شيئاً، فلهذا نقل عنه أنه سمي الله قادراً لان العبد عنده ليس بقادر

ثم ان المعتزلة الذين انبعوا عمرو بن عبيد على قوله في القدر والوعيد دخلوا في مذهب جهنم، فأثبتوا أسماء الله تعالى ولم يثبتوا صفاته، وقالوا نقول ان الله متكلم حقيقة، وقد يذكر اجمع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة، لثلاث اضاف اليهم أنهم يقولون انه غير متكلم، لكن معنى كونه سبحانه متكلماً عندهم انه خلق الكلام في غيره، فذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، لكن هؤلاء يقولون هو متكلم حقيقة وأوائك ينفون أن يكون متكلماً حقيقة. وحقيقة قول الطائفتين انه غير متكلم، فانه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام، ولا يريد الا من قامت به الارادة، ولا محب ولا راض ولا مبغض ولا رحيم إلا من قام به الارادة والمحبة والرضى والبغض والرحمة، وقد وافقهم على ذلك كثير ممن انتسب في الفقه إلى أبي حنيفة من المعتزلة. وغيرهم من أئمة المسلمين ليس فيهم من يقول بقول المعتزلة لا في نفي الصفات ولا في القدر ولا اننزلة بين المنزاتين ولا انفاذ الوعيد.

ثم تنازع المعتزلة والكلابية في حقيقة المتكلم، فقالت المعتزلة: المتكلم من فعل الكلام ولو انه أحدثه في غيره، ليقولوا ان الله يخلق الكلام في غيره وهو متكلم به. وقالت الكلابية: المتكلم من قام به الكلام وان لم يكن متكلماً بمشيئته

وقدرته ولا فعل فعلا اصلا بل جعلوا المتكلم بمنزلة الحي الذي قامت به الحياة ،
وان لم تكن حياته بمشيئته ولا قدرته ولا حاصلة بفعل من أفعاله
وأما السلف واتباعهم وجمهور العقلاء فالتكلم المعروف عندهم من قام به
الكلام وتكلم بمشيئته وقدرته ، لا يعقل متكلم لم يقم به الكلام ولا يعقل متكلم
بغير مشيئته وقدرته ، فكان كل من تينك الطائفتين المبتدعتين أخذت بعض وصف
المتكلم : المعتزلة أخذوا انه فاعل والكلاية أخذوا انه محل الكلام ، ثم زعمت
المعتزلة انه يكون فاعلا للكلام في غيره وزعموا هم ومن وافقهم من اتباع الكلاية
كابى الحسن (١) وغيره ان الفاعل لا يقوم به الفعل ، وكان هذا مما انكره السلف
وجمهور العقلاء ، وقالوا لا يكون الفاعل الا من قام به الفعل ، وانه يفرق بين الفاعل
والفعل والمفعول وذكر البخارى في كتاب خلق افعال العباد اجماع العلماء على
ذلك . والذين قالوا ان الفاعل لا يقوم به الفعل وقالوا مع ذلك ان الله فاعل افعال
العباد كابى الحسن (١) وغيره ان يكون الرب (٢) هو الفاعل لفعل العبد وان العبد لم يفعل
شيئا وان جميع ما يخلقه العبد فعل له ، وهم يصفونه بالصفات الفعلية المنفصلة عنه
ويقسمون صفاته الى صفات ذات وصفات افعال مع ان الافعال عندهم هي
المفعولات المنفصلة عنه فلزمهم ان يوصف بما خلقه من الظلم والقبائح مع قولهم انه
لا يوصف بما خلقه من الكلام وغيره فكان هذا تناقضا منهم تسلمت به عليهم
المعتزلة . ولما قرروا ما هو من اصول اهل السنة وهو ان المعنى اذا قام بمحل اشتق
له منه اسم ولم يشتق لغيره منه اسم كاسم المتكلم نقض عليهم المعتزلة ذلك باسم
الخالق والعاقل فلم يجيبوا عن النقض بجواب سديد

(١) ابو الحسن الأشعري (٢) كذا في الاصل ولعله سقط منه شيء : «كانكروا»
فانهم يقولون ان العبد هو الفاعل لفعله من اكل وشرب ونوم ولو كان الله هو الفاعل
لذلك لوجب ان يقال انه هو الآكل الشارب النائم لان الفاعل من قام به الفعل

واما السلف والأئمة فاصلهم مطرد . ومما احتجوا به على ان القرآن غير مخلوق
ما احتج به الامام احمد وغيره من قول النبي ﷺ «اعوذ بكلمات الله التامات»
قالوا والمخلوق لا يستعاذ به، فعورضوا بقوله «اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك وبك منك» فطرد السلف والأئمة اصلهم وقالوا معافاته فعله القائم به ،
وأما العافية الموجودة في الناس فهي مفعوله

وكذلك قالوا ان الله خالق افعال العباد فأفعال العباد القائمة بهم مفعولة له
لا نفس فعله، وهي نفس فعل العبد، وكان حقيقة قول اولئك نفي فعل الرب ونفي
فعل العبد . فتسلطت عليهم المعتزلة في مسئلة الكلام والتصدر تسلطاً يبنوا به
تناقضهم كما يبنوا هم تناقض المعتزلة .

وهذا أعظم مايستفاد من اقوال المختلفين الذين اقوالهم باطلة ، فانه يستفاد
من قول كل طائفة بيان فساد قول الطائفة الاخرى، فيعرف الطالب فساد تلك
الاقوال، ويكون ذلك داعياً له إلى طلب الحق، ولا تجد الحق الا موافقاً لما جاء به
الرسول ﷺ ولا تجد ما جاء به الرسول الا موافقاً لصريح المعقول، فيكون ممن
ثم قلب اور ألقى السمع وهو شهيد، وممن له قلب يعقل به وأذن يسمع بها، بخلاف
الذين قالوا (لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير)

وقد وافق الكلاية على قولهم كثير من أهل الحديث والتصوف ومن أهل
الفقه المنتسبين الى الأئمة الاربعة وليس من الاثمة الاربعة وأمثالهم من أئمة
المسلمين من يقول بقولهم

وحدث مع الكلاية ونحوهم طوائف اخرى من الكرامية وغير الكرامية من
أهل الفقه والحديث والكلام فقالوا انه سبحانه متكلم بمشيئته وقدرته كلاماً
قائماً بذاته ، وهو يتكلم بحروف وأصوات بمشيئته وقدرته ، ليتخلصوا بذلك من
بدعتي المعتزلة والكلاية . لكن قالوا انه لم يكن يمكنه في الاول أن يتكلم بل صار

الكلام ممكناً له بعد ان كان متمناً عليه ، من غير حدوث سبب أوجب إمكان الكلام وقدرته عليه ، وهذا القول مما وافق الكرامة عليه كثير من أهل الكلام والفقه والحديث ، لكن ليس من الائمة الاربعة ونحوهم من ائمة المسلمين من نقل عنه مثل قولهم . وهذا مما شاركوا فيه الجهمية والمعتزلة فان هؤلاء كلهم يقولون انه لم يكن الكلام ممكناً له في الازل ثم صار ممكناً له بعد أن كان متمناً عليه من غير حدوث سبب اوجب إمكانه ، لكن الجهمية والمعتزلة يقولون انه خلق كلاماً في غيره من غير أن يقوم به كلام لانه لو قام به كلام بعشيته وقدرته لقامت به الحوادث قالو ' ولا تقوم به الحوادث . قات الجهمية والمعتزلة لان الحوادث هي من جملة الصفات التي يسمونها الاعراض . وعندهم لا يقوم به شيء من الصفات قالوا لان الصفات اعراض والعرض لا يقوم الا بجسم وليس هو بجسم لان الجسم لا يخلو من الحوادث وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، وقالت الكلالية بل تقوم به الصفات ولا تقوم به الحوادث ، ونحن لانسمي الصفات اعراضاً لان العرض عندنا لا يبقى زمانين وصفات الله تعالى باقية . وقالو وأما الحوادث فلو قامت به لم يخل منها لان القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فقل الجمهور المنازعون للطائفتين اما قول أولئك انه لا تقوم به الصفات لانها اعراض والعرض لا يقوم الا بجسم وليس بجسم ، فتسمية ما يقوم بغيره عرضاً اصطلاح حادث ، وكذلك تسمية ما يشار اليه جسماً اصطلاح حادث أيضاً ، والجسم في لغة العرب هو البدن وهو الجسد كما قال غير واحد من أهل اللغة منهم الاصمعي وابو عمرو ، فلفظ الجسم يشبه لفظ الجسد وهو الغليظ الكثيف . والعرب تقول هذا جسم وهذا أجسم من هذا أي أغلظ منه . قل تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقال تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم) ثم قد يراد بالجسم نفس الغلظ والكثافة ويراد به الغليظ الكثيف .

وكذلك النظار يريدون بلفظ الجسم تارة ، المقدار وقد يسمونه الجسم التعليمي ، وتارة يريدون به الشيء المقدر وهو الجسمي الطبيعي ، والمقدار المجرد عن المقدر كالعدد المجرد عن العدود ، وذلك لا يوجد إلا في الأذهان دون الأعيان . وكذلك السطح والخط والنقطة المجردة عن المحل الذي تقوم به لا يوجد إلا في الذهن . قلووا وإذا كان هذا معنى الجسم بلغة العرب فهو خص من المشار اليه ، فإن الروح القائمة بنفسها لا يسمونها جسما ، بل يقولون خرجت روحه من جسمه ويقولون انه جسم وروح ولا يسمون الروح جسما ، ولا النفس الخارج من الإنسان جسما ، لكن أهل الكلام اصطاحوا على أن كل ما يشار اليه يسمى جسما ، كما اصطاحوا على أن كل ما يقوم بنفسه يسمى جوهر ، ثم تنازعوا في أن كل ما يشار اليه هل هو مركب من الجواهر الفردة او من مادة والصورة او ليس مركبا لامن هذا ولا من هذا على اقول ثلاثة قد بسطت في غير هذا الموضع ، ولهذا كان كثير منهم يقولون الجسم عندنا هو القائم بنفسه او هو الموجود لا المركب قال اهل العلم والسنة قذا قات الجهمية وغيرهم من نفاة الصفات ان الصفات لا تقوم الا بجسم والله تعالى ليس بجسم ، قيل لهم ان اردتم بالجسم ما هو مركب من جواهر فردة او ما هو مركب من المادة والصورة لم نسلم لكم المقدمة الاولى وهي قولكم ان الصفات لا تقوم الا بما هو كذلك ، قيل لكم ان الرب تعالى قائم بنفسه والعباد يرفعون ايديهم اليه في الدعاء ويقصدونه بقلوبهم وهو العلي الاعلا سبحانه ، ويراه المؤمنون بابصارهم يوم القيامة عيانا كما يرون القمر ليلة البدر ، فن قلتم ان ما هو كذلك فهو جسم وهو محدث ، كان هذا بدعة مخالفة للغة والشرع والعقل ، وان قلتم نحن نسمي ما هو كذلك جسما ونقول انه مركب ، قيل تسميتكم التي ابتدعتموها هي من الاسماء التي ما انزل الله بها من سلطان ، ومن عمد الى المعاني المعلومة بالشرع والعقل وسماها باسماء منكرا لينفر الناس عنها قيل له

النزاع في المعاني لا في الالفاظ ولو كانت الالفاظ موافقة للغة، فكيف اذا كانت من ابتداعهم، ومعلوم ان المعاني التي يعلم ثبوتها بالشرع والعقل لا تدفع بمثل هذا النزاع اللفظي الباطل. واما قولهم ان كل ما كان يقوم به الصفات وترفع الايدي اليه ويمكن ان يراه الناس بابصارهم فانه لا بد ان يكون مركبا من الجواهر المفردة او من المادة والصورة فهذا ممنوع بل هو باطل عند جمهور العقلاء من انظار والفقهاء وغيرهم، كما قد بسط في موضعه.

قال الجمهور واما تفريق الكلاية بين المعاني التي لا تتعلق بمشيئته وقدرته والمعاني التي تتعلق بمشيئته وقدرته التي تسمى الحوادث - ومنهم من يسمي الصفات اعراضا لان العرض لا يبقى زمانين - فيقول قول القائل ان العرض الذي هو السواد والبياض والطول والقصر ونحو ذلك لا يبقى زمانين قول محدث في الاسلام، لم يقله احد من السلف والائمة، وهو قول مخالف لما عليه جماهير العقلاء من جميع الطوائف، بل من الناس من يقول انه معلوم الفساد بالاضطرار، كما قد بسط في موضع آخر

وأما تسمية المسمي للصفات اعراضاً فهذا امر اصطلاحي لمن قاله من أهل الكلام ليس هو عرف أهل اللغة ولا عرف سائر أهل العلم، والحقائق المعلومة بالسمع والعقل لا يؤثر فيها اختلاف الاصطلاحات، بل يعد هذا من النزاعات اللفظية، والنزاعات اللفظية اصوبها ما وافق لغة القرآن والرسول والسلف، فما نطق به الرسول والصحابة جاز النطق به باتفاق المسلمين، وما لم ينطقوا به فقيه نزاع وتفصيل ليس هذا موضعه

وأما قول الكلاية ما يقبل الحوادث لا يخلو منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، فقد نازعهم جمهور العقلاء في كلا المتقدمين حتى أصحابهم المتأخرون نازعهم في ذلك، واعترفوا ببطلان الادلة العقلية التي ذكرها سلفهم على نفى

حلول الحوادث به ، واعترف بذلك المتأخرون من أئمة الاشعرية والشيعة والمعتزلة وغيرهم كما قد بسط في غير هذا الموضع

وحدث طائفة اخرى من السالمية وغيرهم ممن هو من اهل الكلام والفقه والحديث والتصوف ومنهم كثير ممن هو ينتسب الى مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وكثر هذا في بعض التأخرين المنتسبين الى احمد بن حنبل فقالوا بقول المعتزلة وبقول الكلاية : وافقوا هؤلاء في قولهم انه قديم ، وافقوا اولئك في قولهم انه حروف وأصوات ، وأحدثوا قولاً مبتدعاً كما أحدث غيرهم فقالوا القرآن قديم وهو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لنفس الله تعالى أزلاً وأبداً . واحتجوا على انه قديم بحجج الكلاية ، وعلى انه حروف وأصوات بحجج المعتزلة . فلما قيل لهم الحروف مسبوقة بعضها ببعض فلباء قبل السين والشين قبل الميم ، والتقديم لا يسبق بغيره ، والصوت لا يتصور بتأوه فضلاً عن قدمه ، قالوا الكلام له وجود وماهية ، كقول من فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة وغيرهم . قالوا والكلام له ترتيب في وجوده ، وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي في وجوده وهي مقارنة لها في ماهيتها لم تتقدم عليها بالزمان وان كانت متقدمة بالمرتبة كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض . فان الكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله ومع هذا فاذا كتبه كان أوله متقدماً بالمرتبة على آخره

فقال لهم جمهور العقلاء هذا مما يعلم فسادُه بالاضطرار فان الصوت لا يتصور بتأوه ، ودعوى وجود ماهية غير الوجود في الخارج دعوى فاسدة كما قد بسط في موضع آخر . والترتيب الذي في المصحف هو ترتيب للحروف المدادية والمداد أجسام ، فهو كترتيب الدار والانسان ، وهذا أمر يوجب الجزء الاول منه مع الثاني بخلاف الصوت فانه لا يوجد الجزء الثاني منه حتى يعدم الاول للحركة ، فقياس هذا بهذا قياس باطل ، ومن هؤلاء من يطلق لفظ التقديم ولا يتصور معناه ، ومنهم من يقول

يعني بالقديم انه بدأ من الله وانه غير مخلوق، وهذا المعنى صحيح لكن الذين نازعوا هل هو قديم أو قديم لم يعنوا هذا المعنى ، فمن قال لهم انه قديم وأراد هذا المعنى قد أراد معنى صحيحا لكنه جاهل بمقاصد الناس مضل لمن خاطبه بهذا الكلام مبتدع في الشرع واللغة ،

ثم كثير من هؤلاء يقولون ان الحروف القديمة والاصوات ليست هي الاصوات المسموعة من القراء ولا المداد الذي في المصحف ومنهم من يقول بل الاصوات المسموعة من اقراء هو الصوت القديم ، ومنهم من يقول بل يسمع من القاريء شيان الصوت القديم وهو مالا بد منه في وجود الكلام والصوت المحدث وهو ما زاد على ذلك ، وهؤلاء يقولون المداد الذي في المصحف مخلوق لكن الحروف القديمة ليست هي المداد بل الاشكال والمقادير التي تظهر بالمداد ، وقد تنقش في حجر وقد تحرق في ورق ، ومنهم من يمنع أن يقال في المداد انه قديم أو مخلوق ، وقد يقول لا تمنع عن ذلك بل أعلم انه مخلوق لكن أسمى باب الخوض في هذا ، وهو مع هذا يهجر من يتكلم بلحق ومن يبين الصواب الموافق للكتاب والسنة واجماع سلف الامة مع موافقته لصريح المعقول ، ومع دفعه للشناعات التي يشنع بها بعضهم على بعض . وخوض الناس وتنازعهم في هذا الباب كثير قد بسطناه في مواضع . ونما المقصود هنا ذكر قول مختصر جامع يبين الاقوال السديدة التي دل عليها الكتاب والسنة وكان عليها سلف الامة في مسألة الكلام ، التي حيرت عقول الانام . والله تعالى أعلم .



مسألة الاحرف التي أنزلها الله على آدم عليه السلام

وسئل شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه عن رجلين تجادلا في الاحرف التي أنزلها الله على آدم. فقال أحدهما انها قديمة ليس لها مبتدأ وشكلها ونقطها محدث. فقال الآخر ليست بكلام الله وهي مخلوقة بشكلها ونقطها، والقديم هو الله وكلامه منه بدأ واليه يعود، منزل غير مخلوق، ولكنه كتب بها. وسألا أيهما أصوب قولاً وأصح اعتقاداً؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. أصل هذه المسألة هو معرفة كلام الله تعالى ومذهب سلف الامة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الاربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الادلة العقلية الصريحة، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ واليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والانجيل وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقاً منفصلاً عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته، ليس مخلوقاً بئاناعه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد من سلف الامة ان كلام الله مخلوق بآئن عنه، ولا قال أحد منهم ان القرآن أو التوراة أو الانجيل لازمة لذاته أزلاً وأبدًا، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا ان نفس نذته لموسى أو نفس الكلمة المينة قديمة أزلية، بل قالوا لم يزل الله متكلمًا إذا شاء فكلامه قديم بمعنى أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء. وكلمات الله لا نهاية لها كما قال تعالى (قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية، فالقرآن العربي كلام الله، كما قال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) - الى قوله - لسان

عربي مبين) فقد بين سبحانه أن القرآن الذي يبذل منه آية مكان آية نزل روح القدس وهو جبريل - وهو الروح الامين كما ذكر ذلك في موضع آخر - من الله بالحق ، وبين بعد ذلك ان من الكفار من قال (انما يعلمه بشر) كما قال بعض المشركين يعلمه رجل بمكة أعجمي ، فقال تعالى (لسان الذي ياخذون اليه أعجمي) أي الذي يضيفون اليه هذا التعليم أعجمي (وهذا لسان عربي مبين) ففي هذا ما يدل على أن الآيات التي هي لسان عربي مبين نزلها روح القدس من الله بالحق كما قال في الآية الأخرى (أفغير الله أتبغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) والكتاب الذي أنزل مفصلا هو القرآن العربي باتفاق الناس ، وقد أخبر ان الذين تاهم الكتاب يعلمون انه منزل من الله بالحق ، والعلم لا يكون إلا حقا فقال (يعلمون) ولم يقل يقولون ، فإن العلم لا يكون إلا حقا بخلاف القول . وذكر عنهم ذكر مستشهدا به ، وقد فرق سبحانه بين إيجائه الى غير موسى وبين تكليمه لموسى في قوله تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح - الى قوله - حجة بعد الرسل) فرق سبحانه بين تكليمه لموسى وبين إيجائه لغيره ووكد تكليمه لموسى بالمصدر ، وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض - الى قوله - روح القدس) وقال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) الى آخر السورة . فقد بين سبحانه انه لم يكن لبشر أن يكلمه الله إلا على أحد الالوجه الثلاثة ، إما وحيا وإما من وراء حجاب وإما أن يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء ، فجعل الوحي غير التكليم . والتكليم من وراء حجاب كان لموسى . وقد أخبر في غير موضع انه ناداه كما قال (وناديناه من جانب الطور) الآية . وقال (فلما أتاه نودي من شاطئ الوادي الأيمن) الآية والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتا مسموعا ، فهذا مما اتفق عليه سلف المسلمين وجمهورهم ، وأهل الكتاب يقولون ان موسى ناداه ربه نداء سمعه

بأذنه وناداه بصوت سمعه موسى، والصوت لا يكون إلا كلاما والكلام لا يكون إلا حروفاً منظومة، وقد قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) وقال (حمّ تنزيل من الرحمن الرحيم) وقال (حمّ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) فقد بين في غير موضع ان الكتاب والقرآن العربي منزل من الله،

وهذا معنى قول السلف: منه بدا، قال أحمد بن حنبل رحمه الله: منه أي هو المتكلم به، فان الذين قالوا انه مخلوق قالوا خلقه في غيره فبدا من ذلك المخلوق، فقال السلف: منه بدا، أي هو المتكلم به لم يخلق في غيره فيكون كلاما لذلك المحل الذي خلقه فيه، فان الله تعالى اذا خلق صفة من الصفات في محل كانت الصفة صفة لذلك المحل ولم تكن صفة لرب العالمين، فاذا خلق طعما أو لونا في محل كان ذلك المحل هو المتحرك^(١) المتكون به، وكذلك اذا خلق حياة أو ارادة أو قدرة أو علما أو كليهما في محل كان ذلك المحل هو المريد القادر العالم المتكلم بذلك الكلام، ولم يكن ذلك المعنى المخلوق في ذاك المحل صفة لرب العالمين، وإنما يتصف الرب تعالى بما يقوم به من الصفات، لا بما يخلق في غيره من المخلوقات، فهو الحي العليم القدير السميع البصير الرحيم المتكلم بالقرآن وغيره من الكلام، بحياته وعلمه وقدرته وكلامه القائم به لا بما يخلق في غيره من هذه المعاني، ومن جعل كلامه مخلوقا لزمه أن يقول المخلوق هو القائل لموسى (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) وهذا ممتنع لا يجوز أن يكون هذا كلاما إلا لرب العالمين، واذا كان الله قد تكلم بالقرآن والتوراة وغير ذلك من الكتب بمعانيها وألفاظها المنتظمة من حروفها لم يكن شيء من ذلك مخلوقا بل كان ذلك لرب العالمين^(٢) وقد قيل للإمام أحمد

(١) قوله المتحرك غير ظاهر لان ما قبله ليس فيه معنى الحركة فلما أن يكون قد سقط منه شيء. وإنما ان يقال المتصف أي بالظلم واللون (٢) لعل الاصل صفة او كلاما لرب العالمين

ابن حنبل ان فلانا يقول لما خلق الله الأحرف سجدت له إلا ألف ، فقالت : لا أسجد حتى أوامر ، فقال : هذا كفر . فأنكر على من قال ان الحروف مخلوقة ، لانه اذا كان جنس الحروف مخلوقا لزم أن يكون القرآن العربي والتوراة العبرية وغير ذلك مخلوقا . وهذا باطل مخالف لقول السلف والأئمة ، مخالف للأدلة العقلية والسمعية ، كما قد بسط في غير هذا الموضع

والناس قد تنازعوا في كلام الله نزاعا كثيرا . والطوائف الكبار نحو ست فرق ، فابعدوها عن الاسلام قول من يقول من المتفلسفة والصائبة ان كلام الله انما هو ما يفيض على النفوس اما من العقل الفعال ، واما من غيره ، وهؤلاء يقولون : انما كلم الله موسى من سماء عقله اى بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج . واصل قول هؤلاء ان الافلاك قديمة أزلية ، وان الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته في ستة ايام كما اخبرت به الانبياء ، بل يقولون ان الله لا يعلم الجزئيات ، فلما جاءت الانبياء بما جاءوا به من الامور الباهرة جعلوا يتأولون ذلك تأويلات يحرفون فيها الكلم عن مواضعه ، ويريدون ان يجمعوا بينها وبين اقوال سلفهم الملاحدة ، فقالوا مثل ذلك . وهؤلاء اكفر من اليهود والنصارى ، وهم كثيرون التناقض ، كقولهم ان الصفة هي الموصوف ، وهذه الصفة هي الاخرى فيقولون : هو عقل وعقل ومعقول ، ولذيذ وملئذ ولذة ، وعاشق ومعشوق وعشق . وقد يعمرون عن ذلك بانه حي عالم معلوم محب محبوب ، ويقولون نفس العلم هو نفس المحبة ، وهو نفس القدرة . ونفس العلم هو نفس العالم . ونفس المحبة هي نفس المحبوب . ويقولون انه علة تامة في الازل . فيجب أن يقارنها معلولها في الازل في الزمن وان كان متقدما عليها بالعلة لا بالزمان . ويقولون ان العلة التامة ومعلولها يقتربان في الزمان ويتلازمان ، فلا يوجد معلول الا بعلة تامة ، ولا تكون علة تامة الا مع معلولها في الزمان . ثم يعترفون بان حوادث العالم حدثت شيئا بعد

شئ من غير ان يتجدد من المبدع الاول ما يوجب ان يصير علة للحوادث المتعاقبة ، بل حقيقة قولهم أن الحوادث حدثت بلا محدث ، وكذلك عدمت بعد حدوثها من غير سبب يوجب عدمها على أصلهم

وهؤلاء قابلهم طوائف من اهل الكلام ظنوا أن المؤثر التام يتراخى عنه أثره ، وأن القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، والحوادث لها ابتداء وقد حدثت بعد أن لم تكن بدون سبب حادث . ولم يهتد الفريقان للنول الوسط ، وهو أن المؤثر التام مستلزم أن يكون أثره عقب تأثيره التام لا مع التأثير ولا متراخيا عنه ، كما قال تعالى (انما امره اذا اراد شئ ان يقول له كن فيكون) فهو سبحانه يكون كل شئ فيكون عقب تكوينه لا مع تكوينه في الزمان ولا متراخيا عن تكوينه ، كما يكون الانكسار عقب الكسر والانتقاع عقب القطع ووقوع الطلاق عقب التطليق لا متراخيا عنه ولا مقارنا له في الزمان .

والمائلون بالتراخي ظنوا امتناع حوادث لا تتناهى ، فزعموا أن الرب لا يمكنه فعل ذلك ، فاتزموا أن الرب يمتنع أن يكون لم يزل متكلما بمشيئته ، ويمتنع أن يكون لم يزل قادرا على الفعل والكلام بمشيئته . فافترقوا بعد ذلك ، منهم من قال كلامه لا يكون إلا حادثا ، لان الكلام لا يكون الا مقدورا مرادا ، وما كان كذلك لا يكون الا حادثا ، وما كان حادثا كان مخلوقا منفصلا عنه لا متناع قيام الحوادث به وتسلسلها في ظنهم .

ومنهم من قال بل كلامه لا يكون الا قائما به ، وما كان قائما به لم يكن متعلقا بمشيئته وارادته ، بل لا يكون الا قديم العين ، لانه لو كان مقدورا مرادا لكان حادثا فكانت الحوادث تقوم به ، ولو قامت به لم يسبقها ولم يخل منها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث لا متناع حوادث لا اول لها .

ومنهم من قال بل هو متكلم بمشيئته وقدرته ، لكنه يمتنع ان يكون متكلما في الازل او انه لم يزل متكلما بمشيئته وقدرته ، لان ذلك يستلزم وجود حوادث لا اول لها ، وذلك ممتنع

قالت هذه الطوائف : ونحن بهذا الطريق علمنا حدوث العالم فاستدللنا على حدوث الاجسام بانها لا تخلو من الحوادث ولا تسبقها ، وما لم يسبق الحوادث فهو حادث . ثم من هؤلاء من ظن ان هذه قضية ضرورية ولم يتفطن لاجمالها . ومنهم من تفطن للفرق بين ما لم يسبق الحوادث المحصورة المحدودة وما يسبق جنس الحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء . اما الاول فهو حادث بالضرورة لان تلك الحوادث لها مبدء معين فما لم يسبقها يكون معها او بعدها وكلاهما حادث .

وأما جنس الحوادث شيئا بعد شيء فهذا شيء تنازع فيه الناس ، ف قيل ان ذلك ممتنع في الماضي والمستقبل كقول الجهم وأبي الهذيل . فقال الجهم : بقاء الجمة والنار . وقال ابو الهذيل : بقاء حركات أهلها . وقيل بل هو جائز في المستقبل دون الماضي لأن الماضي دخل في الوجود دون المستقبل . وهو قول كثير من ذوائف النظر . وقيل بل هو جائز في الماضي والمستقبل . وهذا قول أئمة اهل المل وأئمة السنة كمحمد بن المبارك واحمد بن حنبل وغيرهما ممن يقول بأن الله لم يزل متكلمي اذا شاء ، وان كانت الله لا نهاية لها وهي قائمة بذاته وهو متكلم بمشيئته وقدرته . وهو ايضا قول أئمة الفلاسفة . لكن ارسطو وأتباعه مدعون ذلك في حركات الفلك ويقولون انه قديم أزلي . وخالفوا في ذلك جمهور الفلاسفة مع مخالفة الانبياء والمرسين وجهاهير العقلاء . فانهم متفقون على ان الله خلق السموات والارض بل هو خالق كل شيء . وكل ماسوى الله مخلوق حادث كائن بعد أن لم يكن .

وان القديم الأزلي هو الله تعالى بما هو متصف به من صفات الكمال وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ، بل من قال عبدت الله ودعوت الله فانما عبد ذاته المتصفة بصفات الكمال التي تستحقها ويمتنع وجود ذاته بدون صفاتها اللازمة لها .

ثم لما تكلم في النبوات من اتباع ارسطو كابن سينا وأمثاله ورأوا ما جاءت به الانبياء من اخبارهم بأن الله يتكلم وانه كلم موسى تكليما وانه خالق كل شيء ،

أخذوا يحرفون كلام الانبياء عن مواضعه ، فيقولون : الحدوث نوعان ، ذاتي وزماني ، ونحن نقول ان الفلك محدث الحدوث الزماني بمعنى انه معلول وإن كان أزليا لم يزل مع الله ، وقالوا انه مخلوق بهذا الاعتبار ، والكتب الالهية أخبرت بأن الله خلق السموات والارض في ستة أيام ، واقتدم الازلي لا يكون في أيام ، وقد علم بالاضطرار ان ما أخبر به الرسل من أن الله خلق كل شيء وانه خلق كذا انما أرادوا بذلك انه خلق المخلوق وأحدثه بعد أن لم يكن كما قال (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) والعقول الصريحة توافق ذلك وتعلم ان المفعول المخلوق المصنوع لا يكون مقارنا للفاعل في الزمان ولا يكون إلا بعده ، وان الفعل لا يكون إلا باحداث المفعول ، وقالوا لهؤلاء قولكم « انه مؤثر تام في الازل » لفظ محمل يراد به التأثير العام في كل شيء ، ويراد به التأثير المطلق في شيء بعد شيء ، ويراد به التأثير في شيء معين دون غيره ، فان أردتم الاول لزم أن لا يحدث في العالم حادث ، وهذا خلاف المشاهدة ، وان أردتم الثاني لزم أن يكون كل ماسوى الله مخلوقا حادثا كائننا بعد أن لم يكن ، وان كان الرب لم يزل متكلما بمشيئته فعلا لما يشاء ، وهذا يناقض قولكم ويستلزم ان كل ماسواه مخلوق ويوافق ما أخبر به الرسل ، وعلى هذا يدل العقل الصريح . فتبين ان العقل الصريح يوافق ما أخبر به الانبياء ، وإن أردتم اثبات فسد قولكم لانه يستلزم انه يشاء [حدوثها] بعد أن لم يكن فاعلا لها من غير تجدد سبب يوجب الاحداث ، وهذا يناقض قولكم . فان صح هذا جاز ان يحدث كل شيء بعد أن لم يكن محدثا لشيء ، وإن لم يصح هذا بطل ، فتقولكم باطل على التقديرين . وحقيقة قولكم ان المؤثر التام لا يكون إلا مع أثره ولا يكون الاثر إلا مع المؤثر التام في الزمان وحينئذ فيلزمكم أن لا يحدث شيء ، ويلزمكم ان كل ماحدث حدث بدون مؤثر ، ويلزمكم بطلان الفرق بين أثر وأثره ، وليس لكم أن تقولوا بعض الآثار يقارن المؤثر التام وبعضها يتراخى عنه .

وأيضاً فكونه فاعلاً لمفعول معين مقارن له أزلاً وأبداً باطل في صريح العقل،
 وأيضاً فأنتم وسائر المعتلاء موافقون على ان الممكن الذي لا يكون ممكناً يقبل
 الوجود والعدم وهو الذي جعلتموه الممكن الخاص الذي قسمه الضروري الواجب
 والضروري الممتنع لا يكون إلا موجوداً تارة ومعدوماً أخرى، وان التقديم
 الازلي لا يكون الا ضرورياً واجباً يمتنع عدمه. وهذا مما اتفق عليه ارسطو
 واتباعه حتى ابن سينا، وذكره في كتبه المشهورة كالشفا وغيره. ثم تناقض فزعم
 ان الفلك ممكن مع كونه قديماً ازلياً لم يزل ولا يزال، وزعم ان الواجب بغيره
 التقديم الازلي الذي يمتنع عدمه يكون ممكناً يقبل الوجود والعدم، وزعم ان له
 ماهية غير وجوده. وقد بسط الكلام على فساد قول هؤلاء وتناقضه في
 غير هذا الموضع

والقول الثاني للناس في كلام الله تعالى قول من يقول ان الله لم يقم به صفة
 من الصفات، لا حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام ولا ارادة ولا رحمة ولا غضب
 ولا غير ذلك، بل خلق كلاماً في غيره فذلك المخلوق هو كلامه، وهذا قول
 الجهمية والمعتزلة. وهذا اقول ايضاً مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف، وهو
 مناقض لاقوال الانبياء ونصوصهم. وليس مع هؤلاء عن الانبياء قول يوافق
 قولهم، بل لهم شبه عقلية فاسدة قد بينا فسادها في غير هذا الموضع. وهؤلاء
 زعموا انهم يقيمون الدليل على حدوث "هـ" لم بتلك الحجج، وهم لا الاسلام نصروا،
 ولا أعدائه كسروا

والقول الثالث قول من يقول انه يتكلم بغير مشيئته وقدرته بكلام قائم
 بذاته أزلاً وأبداً، وهؤلاء موافقون لمن قبلهم في اصل قولهم، لكن قالوا الرب
 يقوم به الصفات ولا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الصفات الاختيارية
 وأول من اشتهر عنه انه قال هذا القول في الاسلام عبد الله بن سعيد بن

كلاب . ثم افترق موافقوه ، فمنهم من قال ذلك الكلام بمعنى واحد هو الامر بكل مأمور ، والنهي عن كل محذور ، والخبر عن كل مخبر عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وإن عبر عنه بالعربية كان تورا . وقالوا معنى القرآن والتوراة والانجيل واحد . ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين . وقالوا الامر والنهي والخبر صفات الكلام لا أنواع له . ومن محققهم من جعل المعنى يعود الى الخبر والخبر يعود الى العلم

وجمهور العقلاء يقولون قول هؤلاء معلوم الفساد بالضرورة . وهؤلاء يقولون تكليمه لموسى ليس الا خلق ادراك يفهم به موسى ذلك المعنى . فتقيل لهم : أفهم كل الكلام ام بعضه ؟ ان كان فهمه كله فقد علم علم الله ، وإن كان فهم بعضه فقد تبعض ، وعندهم كلام الله لا يتبعض ولا يتعدد . وقيل لهم : قد فرق الله بين تكليمه لموسى وإيحائه لغيره . وعلى أصلكم لا فرق . وقيل لهم : قد كفر الله من جعل القرآن العربي قول البشر ، وقد جعله تارة قول رسول من البشر ، وتارة قول رسول من الملائكة ، فقال في موضع (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) فهذا الرسول محمد ﷺ . وقال في الآية الأخرى (انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين) فهذا جبريل ، فاضافه تارة الى الرسول الملكي . وتارة الى الرسول البشري . والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس . وكان بعض هؤلاء ادعى ان القرآن العربي احده جبريل أو محمد فقيل لهم : لو أحدثه احدهما لم يجز إضافته الى الآخر . وهو سبحانه اضافه الى كل منهما باسم الرسول الدال على مرسله لا باسم الملك والنبي ، فدل ذلك على انه قول رسول بلغه عن مرسله لا قول ملك أو نبي أحدثه من تلقاء نفسه ، بل قد كفر من قال انه قول البشر والطائفة الأخرى التي وافقت ابن كلاب على ان الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته

قالت بل الكلام القديم هو حروف أو حروف وأصوات لازمة لذات الرب أزلاً وأبداً لا يتكلم بها بمشيئته وقدرته ولا يتكلم بها شيئاً بعد شيء . ولا يفرق هؤلاء بين جنس الحروف وجنس الكلام وبين عين الحروف قديمة أزلية ، وهذا أيضاً مما يقول جمهور العقلاء انه معلوم الفساد بالضرورة ، فان الحروف المتعاقبة شيئاً بعد شيء يتمتع ان يكون كل منها قديماً أزلياً وان كان جنسها قديماً ، لا إمكان وجود كلمات لا نهاية لها وحروف متعاقبة لا نهاية لها ، وامتناع كون كل منها قديماً أزلياً ، فان المسبوق بغيره لا يكون أزلياً . وقد فرق بعضهم بين وجودها وماهيتها فقال : الترتيب في ماهيتها لا في وجودها ، وبطلان هذا القول معلوم بالاضطرار لمن تدبره ، فان ماهية الكلام الذي هو حروف لا يكون شيئاً بعد شيء ، والصوت لا يكون إلا شيئاً بعد شيء ، فمتاع ان يكون وجود الماهية المعينة أزلياً متقدماً عليها به ، مع ان الفرق بينهما بين لو قدر الفرق بينهما . ويلزم من هذين الوجهين أن يكون وجودها أيضاً مترتباً ترتيباً متعاقباً

ثم من هؤلاء من يزعم ان ذلك القديم هو ما يسمع من العباد من الاصوات بالقرآن والتوراة والانجيل أو بعض ذلك ، وكان أظهر فساداً مما قبله ، فانه يعلم بالضرورة حدوث أصوات العباد .

وطائفة حامية قلت : بل الله يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي وغيره لكن لم يكن يمكنه أن يتكلم بمشيئته في الازل لامتناع حوادث لا أولها ، وهؤلاء جعلوا الرب في الازل غير قادر على الكلام بمشيئته ولا على الفعل كافعله أولئك ، ثم جعلوا الفعل والكلام ممكناً مقدوراً من غير تجدد شيء أوجب القدرة والامكان كما قال أولئك في المفعولات المنفصلة

وأما السلف فقالوا لم يزل الله متكلماً اذا شاء ، وان الكلام صفة كمال ، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، كما ان من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر ، ومن

يتكلم بمشيئته وقدرته اكمل من يكون الكلام لازمالذاته ليس له عليه قدرة ولا له فيه مشيئته . والكمال انما يكون بالصفات القائمة بالموصوف لا بالامور المباشرة له ، ولا يكون الموصوف متكلماً عالماً قادراً إلا بما يقوم به من الكلام والعلم والقدرة . واذا كان كذلك فمن لم يزل موصوفاً بصفات الكمال اكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن متصفاً بها لو كان حدوثها ممكناً . فكيف اذا كان ممتمناً ؟ فتمين ان الرب لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال ، منعوتاً بنعوت الجلال ، ومن أجلها الكلام ، فلم يزل متكلماً اذا شاء ولا يزال كذلك ، وهو يتكلم اذا شاء بالعربية كما تكلم بالقرآن العربي ، وما تكلم الله به فهو قديم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه ، فلا تكون الحروف التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة لان الله تكلم بها

فصل

ثم تنازع بعض المتأخرين في الحروف الموجودة في كلام الآدميين . وسبب نزاعهم أمران : أحدهما انهم لم يفرقوا بين الكلام الذي يتكلم الله به فيسمع منه ، وبين ما اذا بلغه عنه مبلغ فسُمع من ذلك المبلغ ، فان القرآن كلام الله تكلم به بلفظه ومعناه بصوت نفسه . فاذا قرأه القراء قرأوه بأصوات أنفسهم . فاذا قال القاريء (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم) كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه ، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله ، فالكلام كلام الباريء ، والصوت صوت القاريء ، كما قال النبي ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وكان يقول « ألا رجل يحماني الى قومه لا بلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » وكلا الحديثين ثابت ، فبين ان الكلام الذي بلغه كلام ربه ، وبين ان القاريء يقرأه بصوت نفسه ، وقال عليهما السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال أحمد والشافعي وغيرهما : هو تحسينه بالصوت ، قال احمد بن حنبل :

يحسنه بصوته ، فبين احمد أن القاريء يحسن القرآن بصوت نفسه
والسبب الثاني أن السلف قالوا كلام الله منزل غير مخلوق ، وقالوا لم يزل
متكلما اذا شاء . فبينوا ان كلام الله قديم ، أي جنسه قديم لم يزل ، ولم يقل أحد
منهم ان نفس الكلام المعين قديم ، ولا قل أحد منهم القرآن قديم ، بل قالوا انه
كلام الله منزل غير مخلوق ، واذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن
كلامه ، وكان منزلا منه غير مخلوق ، ولم يكن مع ذلك أزليا قديما بقدم الله وإن
كان الله لم يزل متكلما اذا شاء ، فجنس كلامه قديم . فمن فهم قول السلف وفرق بين هذه
الاقوال زالت عنه الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الارض .
فمن قل ان حروف المعجم كلها مخلوقة وان الله تعالى ^(١) مخالفا للمعقول
الصريح ، والمنقول الصحيح ، ومن قال ان نفس أصوات العباد او مدادهم او شيئا
من ذلك قديم فقد خالف أيضا أقوال السلف ، وكان فساد قوله ظاهرا لكل أحد ،
وكان مبتدعا قولاً لم يقله أحد من أئمة المسلمين ولا قالته طائفة كبيرة من طوائف
المسلمين ، بل الأئمة الاربعة وجمهور أصحابهم بريئون من ذلك . ومن قال ان
الحرف المعين او الكلمة المعينة قديمة العين ، فقد ابتدع قولاً باطلا في الشرع والعقل .
ومن قال ان جنس الحروف التي تكلم الله بها بالقرآن وغيره ليست مخلوقة وأن
الكلام العربي الذي تكلم به ليس مخلوقا والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة
له وقد تكلم الله بها فلا نكون مخلوقة فقد أصاب .

واذا قال ان الله هدى عباده وعلمهم البيان فانطقهم بها باللغات
المختلفة وأنعم عليهم بان جعلهم ينطقون بالحروف التي هي مباني كتبه وكلامه

(١) كذا بالاصل وبظهر انه قد سقط من هنا شيء ، فان قوله (وان الله تعالى) .
ليس له خبر يتم به الكلام . وهو تمهيد للجواب عن الاقوال التي تقدم سؤال شيخ
الاسلام عنها في صفحة ٣٥ وفيه ان الذين قالوا انها مخلوقة بشكها ونظما الخ وقوله
« مخالفا للمعقول » سقط من قبله العامل فيه ولعله فقد قال قولاً مخالفا الخ

وأسمائه فهذا قد أصاب ، فالإنسان وجميع ما يقوم به من الاصوات والحركات وغيرها مخلوق كائن بعد ان لم يكن ، والرب تعالى بما يقوم به من صفاته وكمالاته وأفعاله غير مخلوق ، والعباد إذا قرأوا كلامه فإن كلامه الذي يقرؤنه هو كلامه لا كلام غيره ، وكلامه الذي تكلم به لا يكون مخلوقا وكان ما يقرؤن به كلامه من حركاتهم وأصواتهم مخلوقا ، وكذلك ما يكتب في المصاحف من كلامه فهو كلامه مكتوبا في المصاحف وكلامه غير مخلوق ، والمداد الذي يكتب به كلامه وغير كلامه مخلوق . وقد فرق سبحانه وتعالى بين كلامه وبين مداد كلماته بقوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) وكلمات الله غير مخلوقة والمداد الذي يكتب به كلمات الله مخلوق والقرآن المكتوب في المصاحف غير مخلوق ، وكذلك المكتوب في اللوح المحفوظ وغيره قل تعالى (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ) . وقال (كلا انها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) وقال تعالى (يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة) وقال (انه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه الا المطهرون)

فصل

فهذان المتنازعان اللذان تنازعا في الأحرف التي أنزلها الله على آدم ، فقال أحدهما : انها قديمة وليس لها مبتدأ وشكلها ونقطها محدث . وقال الآخر : انها ليست بكلام وانها مخلوقة بشكلها ونقطها وان القديم هو الله وكلامه منه بدأ واليه يعود منزل غير مخلوق ، والكنه كتب بها . وسؤالهما ان نبين لهما الصواب وأيهما أصح اعتقاداً ، يقال لهما : يحتاج بيان الصواب إلى بيان مافي السؤال من الكلام المجمل فان كثيراً من نزاع العقلاء لكونهما ^(١) لا يتصوران مورد النزاع تصوراً

(١) أي لكون المتنازعين منهم

بيننا ، وكثير من النزاع قد يكون الصواب فيه في قول آخر غير القولين اللذين قالاهما ، وكثير من النزاع قد يكون مبنيًا على أصل ضعيف إذا بين فساده ارتفع النزاع فأول ما في هذا السؤال قولهما : الأ حرف التي أنزلها الله على آدم ، فانه قد ذكر بعضهم ان الله أنزل عليه حروف المعجم مفرقة مكتوبة ، وهذا ذكره ابن قتيبة في المعارف وهو ومثله يوجد في التواريخ كتاريخ ابن جرير الطبري ونحوه ، وهذا ونحوه منقول عن ينقل الحديث الاسرائيلية ونحوها من أحاديث الانبياء المتقدمين ، مثل وهب بن منبه وكعب الاحبار ، ومالك بن دينار ، ومحمد بن اسحاق وغيرهم . وقد أجمع المسلمون على أن ما ينقله هؤلاء عن الانبياء المتقدمين لا يجوز أن يجعل عمدة في دين المسلمين الا إذا ثبت ذلك بنقل متواتر ، أو أن يكون منقولاً عن خاتم المرسلين ، وأيضاً فهذا النقل قد عارضه نقل آخر وهو أن أول من خط وخاط ادريس . فهذا منقول عن بعض السلف وهو مثل ذلك وأقوى ، فقد ذكرنا فيه أن ادريس أول من خط اثياب وخط بالقلم . وعلى هذا فبنو آدم من قبل ادريس لم يكونوا يكتبون بالقلم ولا يقرؤن كتباً . والذي في حديث أبي ذر المعروف عن أبي ذر عن النبي ﷺ « أن آدم كان نبياً مكلماً كالمكلمة الله قبلاً » وليس فيه أنه أنزل عليه شيئاً مكتوباً ، فليس فيه أن الله أنزل على آدم صحيفة ولا كتاباً ولا هذا معروف عند أهل الكتاب ، فهذا يدل على أن هذا لأصله ولو كان هذا معروفاً عند أهل الكتاب لكان هذا النقل ليس هو في القرآن ولا في الاحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ وإنما هو من جنس الاحاديث الاسرائيلية التي لا يجب الايمان بها ، بل ولا يجوز تصديق بصحتها إلا بحجة ، كما قل النبي ﷺ في الحديث الصحيح « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فلما أن يحدثكم بحق فتكذبوه ، وإما أن يحدثكم بما طل فتصدقوه »

والله سبحانه علم آدم الاسماء كلها وأنطقه بالكلام المنظوم . وأما تعليم حروف

مقطعة لا سيما إذا كانت مكتوبة فهو تعليم لا ينفع، ولكن لما أرادوا تعليم المبتدئ بالخط صاروا يعلمونه لحروف المفردة حروف الهجاء، ثم يعلمونه تركيب بعضها إلى بعض فيعلم أبجد هوز. وليس هذا وحده كلاما

فهذا المنقول عن آدم من نزول حروف الهجاء عليه لم يثبت به نقل، ولم يدل عليه عقل، بل الأظهر في كليهما نفيه، وهو من جنس ما يروونه عن النبي ﷺ من تفسير اب ت ث، وتفسير ابجد هوز حطي، ويروونه عن المسيح أنه قال لمعلمه في الكتاب وهذا كله من الأحاديث الواهية، بل المكذوبة. ولا يجوز باتفاق أهل العلم بالنقل أن يحتج بشيء من هذه وإن كان قد ذكرها طائفة من المصنفين في هذا الباب كالشريف المزيدي والشيخ أبي الفرج وابنه عبد الوهاب وغيرهم. وقد يذكر ذلك طائفة من المفسرين والمؤرخين، فهذا كله عند أهل العلم بهذا الباب باطل لا يعتمد عليه في شيء من الدين. وهذا وإن كان قد ذكره أبو بكر النقاش وغيره من المفسرين عن النقاش ونحوه نقله الشريف المزيدي الحراني وغيره (١) فأجل من ذكر ذلك من المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وقد بين في تفسيره أن كل ما نقل في ذلك عن النبي ﷺ فهو باطل. فذكر في آخر تفسيره اختلاف الناس في تفسير ابجد هوز حطي وذكر حديثا رواه من طريق محمد بن زياد الجزدري عن فرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قررة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «تعلموا أبجاده وتفسيرها، ويل لعالم جهل تفسير أبي جاد» قال قالوا يا رسول الله وما تفسيرها؟ قال «أما الألف فالألف الله وحرف من اسمائه. وأما الباء فبهاء الله، وأما الجيم فجلال الله، وأما الدال فدين الله،

(١) في هذا التركيب نظر والمعنى أن هذا إن كان النقاش والمزيدي وأبو الفرج وابنه قد ذكروه وسكتوا عليه فإن جرير قد ذكره وصرح بطلانه وهو أجل منهم

وأما الهاء فالهاوية، وأما الواو فويل لمن سها، وأما الزاي فلزاوية. وأما الهاء فخطوطة الخطايا عن المستغفرين بالاسحار» وذكر تمام الحديث من هذا الجنس. وذكر حديثا ثانيا من حديث عبد الرحيم بن واقد حدثني الفرات ابن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال «ليس شيء إلا وله سبب وليس كل أحد يظن له ولا بلغه ذلك، إن لابي جاد حديثا عجيبا، أما أبو جاد فأبى آدم الطاعة وجد في أكل الشجرة، وأما هوز فزل آدم فهو من السماء إلى الأرض، وأما حطي فحطت عنه خطيئته، وأما كن فأكله من الشجرة ومن عليه بالتوبة» وساق تمام الحديث من هذا الجنس. وذكر حديثا ثالثا من حديث اسماعيل بن عياش عن اسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عن حدثه عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ «إن عيسى بن مريم أسامته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب اسم الله، فقال له عيسى: وما بسم الله؟ فقال له المعلم ما أدري. فقال له عيسى: إباء بهاء الله، والسين سنؤه، والميم ملكه، والله إله الآلهة، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة. أبو جاد الف آلاء الله، وباء بهاء الله، وجيم جمال الله. ودال الله الدائم، وهوز هاء الهاوية» وذكر حديثا من هذا الجنس وذكره عن الربيع بن أنس موقوفا عليه. وروى أبو الفرج المقدسي عن الشريف المزيدي حديثا عن عمر عن النبي ﷺ في تفسير اب ت ث من هذا الجنس

ثم قال ابن جرير: ولو كانت الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ في ذلك صحاح الإسانيد لم يعدل عن القول بها إلى غيرها، ولكنها واهية الإسانيد غير جازن الاحتجاج بمثلها. وذلك أن محمد بن زياد الحزري الذي حدث حديث معاوية بن قرة عن فرات عنه غير موثوق بنقله، وإن عبد الرحيم بن واقد الذي خالفه في روايته ذلك عن فرات مجهول غير معروف عند أهل النقل. وإن اسماعيل

ابن يحيى الذي حدث عن ابن أبي مليكة غير موثوق بروايته ولا جائز عند اهل النقل الاحتجاج بأخباره

قلت: اسماعيل بن يحيى هذا يقل له التبعي كوفي معروف بالكذب، ورواية اسماعيل بن عياش في غير الشاميين لا يحتج بها، بل هو ضعيف فيما نقله عن اهل الحجاز وأهل العراق بخلاف ما ينقله عن شيوخه الشاميين فانه حافظ لحديث اهل بلده كثير الغلط في حديث اولئك، وهذا متفق عليه بين اهل العلم بالرجال، وعبد الرحمن ابن واقد لا يحتج به باتفاق اهل العلم، وفرات بن السائب ضعيف أيضا لا يحتج به فهو فرات بن أبي الفرات، ومحمد بن زياد الجزري ضعيف أيضاً

وقد تنازع الناس في أبجد هوز حطي فقال طائفة هي أسماء قوم، قيل أسماء ملوك مدين او أسماء قوم كانوا ملوكا جبابرة. وقيل هي أسماء الستة الايام التي خلق الله فيها الدنيا. واول اختصار الطبري. وزعم هؤلاء أن أصلها ابوجاد مثل ابي عاد وهواز مثل رواد وجواب. وانها لم تعرب لعدم العقد والتركيب

والاصواب أن هذه ليست أسماء لمسميات وانما ألقت ليعرف تأليف الاسماء من حروف المعجم بعد معرفة حروف المعجم. ولفظها: أبجد، هوز، حطي. ليس لفظها ابوجاد هوز. ثم كثير من اهل الحساب صاروا يجعلونها علامات على مراتب العدد، فيجعلون الالف واحداً، والباء اثنين، والجيم ثلاثة، الى الياء ثم يقولون الكاف عشرون... وآخرون من اهل الهندسة والمنطق يجعلونها علامات على الخطوط المكتوبة، او على ألفاظ الاقيسة المؤلفة كما يقولون كل الفب وكل ب ج فكل الف ج. ومثلوا بهذه لكونها ألفاظا تدل على صورة الشكل. والقياس لا يختص بمادة دون مادة، كما جعل اهل التصريف لفظ فعل تقابل الحروف الاصلية، ولزائدة ينطقون بها. ويقولون وزن استخرج استغفل، وأهل العروض يزنون بالفاض مؤلفة من ذلك لكن يراعون لوزن من غير اعتبار بالاصل

والزائد، ولهذا سئل بعض هؤلاء عن وزن نكتل فقال نفعل ، وضحك منه أهل التصريف ووزنه عندهم نفعل فان أصله نكتال ، وأصل نكتال نكتيل تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفاء ثم لما جزم الفعل سقطت، كما نقول مثل ذلك في نعتد ونقتد من اعتاد يمتاد واقتاد البعير يقتاده

ونحو ذلك في نقتيل فلما حذفوا الالف التي تسمى لام الكلمة صار وزنها وجعلت ثمانية تكون متحركة وهي الهمزة (١) وتكون ساكنة وهي حرفان على الاصطلاح الاول وحرف واحد على الثاني ، والالف تقرن بالواو والياء لانهن حروف العلة ، ولهذا ذكرت في آخر حروف المعجم ونطقوا باول لفظ كل حرف منها الا الالف فلم يمكنهم أن ينطقوا بها ابتداء فجعلوا اللام قبلها فقالوا «لا» والتي في الاول هي الهمزة المتحركة فان الهمزة في أولها . وبعض الناس ينطق بها «لام الف» والصواب أن ينطق بها «لا» وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن العلم لا بد فيه من نقل مصدق ونظر محقق . وأما القول الضعيفة لاسماء المكذوبة فلا يعتمد عليها . وكذلك النظريات الفاسدة والعقليات الجهلية الباطلة لا يحتاج بها

(الثاني) أن يقال هذه الحروف الموجودة في القرآن العربي قد تكلم الله بها بأسماء حروف مثل قوله (الم) وقوله (المص) وقوله (الم طس - حم - كهيعص - جمسق - ن - ق) فهذا كله كلام الله غير مخلوق
(الثالث) ان هذه الحروف اذا وجدت في كلام العباد، وكذلك الاسماء الموجودة .

(١) قوله : ونحو ذلك في نقتيل — الى هنا — محرف فكلمة نقتيل ليست من الناقص فتكون لام الكلمة في وزنها ألها منقلبة وقوله « صار وزنها » قد سقط خبره ولو ذكر لعرفنا اصل الكلمة : وقوله « جعلت ثمانية » غير مفهوم فيهم به ما قبله وما بعده الخ

في القرآن إذا وجدت في كلام العباد مثل آدم ونوح ومحمد وإبراهيم وغير ذلك ، فيقال هذه الاسماء وهذه الحروف قد تكلم الله بها لكن لم يتكلم بها مفردة ، فان الاسم وحده ليس بكلام ولكن يتكلم بها في كلامه الذي أنزله في مثل قوله (محمد رسول الله) وقوله (واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا - إلى قوله - رب اجعاني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وقوله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) ونحو ذلك ونحن إذا تكلمنا بكلام ذكرنا فيه هذه الاسماء فكلامنا مخلوق وحروف كلامنا مخلوقة ، كما قال احمد ابن حنبل لرجل : ألسنت مخلوقا ؟ قال : بلى ، قال أليس كلامك منك ؟ قال : بلى ، قال : أليس كلامك مخلوقا ؟ قال : بلى ، قال : فأن الله تعالى غير مخلوق ، وكلامه منه ليس بمخلوق

فقد نص احمد وغيره على ان كلام العباد مخلوق وهم انما يتكلمون بالاسماء والحروف التي يوجد نظيرها في كلام الله تعالى ، لكن الله تعالى تكلم بها بصوت نفسه وحروف نفسه وذلك غير مخلوق ، وصفات الله تعالى لا تماثل صفات العباد . فان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته ولا افعاله . والصوت الذي ينادي به عباده يوم القيامة والصوت الذي سمعه منه موسى ليس كاصوات شيء من المخلوقات . والصوت السميع هو حروف مؤلفة وتلك لا يماثلها شيء من صفات المخلوقين ، كما ان علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده ، فان الله لا يماثل المخلوقين في شيء من الصفات ، وهو سبحانه قد علم العباد من علمه ما شاء كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وهم اذا علمهم الله ما علمهم من علمه فنفس علمه الذي اتصف به ليس بمخلوقا ونفس العباد وصفاتهم مخلوقة ، لكن قد ينظر الناظر الى مسمى العلم مطلقا ، فلا يقال ان ذلك العلم مخلوق لا يتصاف الرب به وان كان ما يتصف به العبد بمخلوقا

واصل هذا ان ما يوصف الله به ويوصف به العباد يوصف الله به على ما يليق به ^(١) ويوصف به العباد بما يليق بهم من ذلك ، مثل الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ، فان الله له حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام . فكلامه يشتمل على حروف وهو يتكلم بصوت نفسه ، والعبد له حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام ، وكلام العبد يشتمل على حروف وهو يتكلم بصوت نفسه . فهذه الصفات لها ثلاث اعتبارات : تارة تعتبر مضافة الى الرب . وتارة تعتبر مضافة الى العبد ، وتارة تعتبر مطلقة لا تختص بالرب ولا بالعبد . فاذا قال العبد : حياة الله وعلم الله وقدرة الله وكلام الله ونحو ذلك ، فهذا كله غير مخلوق ولا يماثل صفات المخلوقين ، واذا قال علم العبد وقدرة العبد وكلام العبد ، فهذا كله مخلوق ولا يماثل صفات الرب . واذا قال العلم والقدرة والكلام ، فهذا مجمل مطلق لا يقال

(١) يعني أن الاشتراك في اطلاق الوصف لا يقتضي المساواة ولا المشابهة في الصفة فضلا عن مشابهة الموصوف. وقد اختلف العلماء هل هو اشتراك في الجنس او في الاسم ؟ وسببه انه لا يمكن تعريف الوحي والرسول عباد الله بربهم وصفاته الا بلغاتهم التي يفهمونها (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) فكان لا بد من تسميته صفاته تعالى باسماء صفاتهم التي تدل لهم على اعلامهم بعدم تماثلها لها ، قال الفزالي في بيان هذا المعنى ما حاصله : ان لله صفة تصدر عنها الابداع والاختراع وبسند الى الاجداد والاعدام وهذه الصفة اجل وارفع من ان تدركها عين واضع اللغة فيخصها باسم يدل على كنهها ، فلما أريد اعلام البتربة اعتبر لها من السنة المتخاطبين باللغات اقرب الكلمات دلالة عليها او اشارة الى عظمة شأنها واثرها في الخلق وهي كلمة القدرة اه بالمعنى من غير مراجعة الاصل وهو في كتاب الشكر من الاحياء . وما يقال في القدرة يقال في العلم والكلام والصوت به الذي هو مقتضى النداء الثابت بالقرآن والمصرح به في الحديث الصحيح خلافا لمن فرق بين هذه الصفات من المتكلمين بتحكم نظريات المذاهب

عليه كانه مخلوق ولا انه غير مخلوق ، بل ما اتصف به الرب من ذلك فهو غير مخلوق ، وما اتصف به العبد من ذلك فهو مخلوق . فالصفة تتبع الموصوف . فان كان الموصوف هو الخالق فصفاته غير مخلوقة ، وان كان الموصوف هو العبد المخلوق فصفاته مخلوقة . ثم اذا قرأ بام القرآن وغيرها من كلام الله فالقرآن في نفسه كلام الله غير مخلوق ، وان كان حركات العباد واصواتهم مخلوقة . ولو قال الجنب (الحمد لله رب العالمين) ينوي به القرآن منع من ذلك وكان قرآناً ، ولو قاله ينوي به حمد الله لا يقصد به القراءة لم يكن قارئاً وجازله ذلك . ومنه قول النبي ﷺ « افضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من القرآن : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله اكبر » رواه مسلم في صحيحه . فاخبر انها افضل الكلام بعد القرآن وقال هي من القرآن ، فهي من القرآن باعتبار ، وليست من القرآن باعتبار ، ولو قل القائل (يا يحيى خذ الكتاب) ومقصوده القرآن كان قد تكلم بكلام الله ولم تبطل صلاته باتفاق العلماء ، وان قصد مع ذلك تنبيه غيره لم تبطل صلاته عند جمهور العلماء . ولو قال لرجل اسمه يحيى ويحضرته كتاب : يا يحيى خذ الكتاب لکن هذا مخلوقاً لان لفظ يحيى هنا مراد به ذلك الشخص وبالكتاب ذلك الكتاب . ليس مراداً به ما اراده الله بقوله (يا يحيى خذ الكتاب) والكلام كلام [المخلوق] بلفظه ومعناه .

وقد تنازع الناس في مسمى الكلام في الاصل ، فقيل هو اسم اللفظ الدال على المعنى ، وقيل المعنى المدلول عليه باللفظ ، وقيل لكل منهما بطريق الاشتراك ، اللفظي ، وقيل بل هو اسم عام لهما جميعاً يتناولهما عند الاطلاق وان كان مع التقييد يراد به هذا تارة وهذا تارة . هذا قول السلف وأئمة الفقهاء وان كان هذا القول لا يعرف في كثير من الكتب . وهذا كما تنازع الناس في مسمى الانسان هل هو الروح فقط أو الجسد فقط ؟ والصحيح انه اسم للروح والجسد جميعاً ، وان كان

مع القرينة قد يراد به هذا تارة وهذا تارة . فتنازعهم في مسمى النطق كتنازعهم في مسمى الناطق . فمن سمي شخصاً محمد أو إبراهيم ، وقل : جاء محمد وجاء إبراهيم لم يكن هذا محمد وإبراهيم المذكورين في القرآن . ولو قل : محمد رسول الله ، وإبراهيم خليل الله . يعني به خاتم الرسل و خليل الرحمن لكان قد تكلم بمحمد وإبراهيم الذي في القرآن لكان قد تكلم بالاسم والفقه كالامام فهو كالامام لم يتكلم به في القرآن العربي الذي تكلم الله به .

ومما يوضح ذلك ان الفقهاء قلوا في آداب الخلاء انه لا يستصحب ما فيه ذكر الله واحتجوا بالحديث الذي في السنن « ان النبي ﷺ كان اذا دخل الخلاء نزع خاتمه . وكان خاتمه مكتوباً عليه « محمد رسول الله » محمد سطر ، رسول سطر ، الله سطر . ولم يمنع أحد من العلماء ان يستصحب ما يكون فيه كلام العباد وحروف الهجاء ^(١) مثل ورق الحساب الذي يكتب فيه أهل الديوان الحساب . ومثل الاوراق التي يكتب فيها الباعة ما يبيعونه ونحو ذلك . وفي السيرة ان النبي ﷺ لما صالح غطفان على نصف تمر المدينة أتاه سعد فقال له : اهذا شيء أمر الله به فسمعا وطاعة ، ام شيء تفعله لمصلحتنا ؟ فيين له النبي ﷺ انه لم يفعل ذلك بوحي بل فعله باجتهاده فقال « لقد كنا في الجاهلية وما كانوا يأكلون منها تمر الا بقري أو بشراء ، فلما اعزنا الله بالاسلام يريدون ان يأكلوا تمرنا ؟ لا يأكلون تمر واحدة » وبصق سعد في الصحيفة وقطعها فقره النبي ﷺ على ذلك ولم يقل هذه حروف ، فلا يجوز اهانتها والبصاق فيها . وأيضاً فقد كرم السلف نحو القرآن بالرجل ولم يكرهوا نحو ما فيه كلام الادميين

وأما قول القائل : ان الحروف قديمة أو حروف المعجم قديمة فان أراد جنسها فهذا صحيح ، وإن أراد الحرف المعين فقد أخطأ فان له مبدأً ومنتهاً ، وهو مسبوق بغيره ، وما كان كذلك لم يكن إلا محدثاً

(١) يعني بالعلماء الأئمة المجتهدين وقد قال بعض فقهاء الحنفية باحترام المكتوب

وأيضاً فلفظ الحروف مجمل ، يراد بالحروف الحروف المنطوقة المسموعة التي هي مباني الكلام ، ويراد بها الحروف المكتوبة ، ويراد بها الحروف المتخيلة في النفس ، والصوت لا يكون كلاماً إلا بالحروف باتفاق الناس . وأما الحروف فهل تكون كلاماً بدون الصوت ؟ فيه نزاع . والحرف قد يراد به الصوت المقطع ، وقد يراد به نهاية الصوت وحده ، وقد يراد بالحروف المداد ، وقد يراد بالحروف شكل المداد ، فالحروف التي تكلم الله بها غير مخلوقة وإذا كتبت في المصحف قيل كلام الله المكتوب في المصحف غير مخلوق ، وأما نفس أصوات العباد فمخلوقة والمداد مخلوق وشكل المداد مخلوق ، فالمداد مخلوق بمادته وصورته ، وكلام الله المكتوب بالمداد غير مخلوق . ومن كلام الله الحروف التي تكلم الله بها فإذا كتبت بالمداد لم تكن مخلوقة وكان المداد مخلوقاً . وأشكال الحروف المكتوبة مما يختلف فيها اصطلاح الامم

والخط العربي قد قيل ان مبدأه كان من الانبار ومنها انتقل الى مكة وغيرها ، والخط العربي يختلف صورته: العربي القديم فيه تكوف ، وقد اصطاح المتأخرون على تغيير صورته ، وأهل المغرب لهم اصطلاح ثالث حتى في نقط الحروف وترتيبها ، وكلام الله المكتوب بهذه الخطوط كالقرآن العربي هو في نفسه لا يختلف باختلاف الخطوط التي يكتب بها

فان قيل : فالحرف من حيث هو مخلوق أو غير مخلوق مع قطع النظر عن كونه في كلام الخالق أو كلام المخلوق ؟ فان قاتم هو من حيث هو غير مخلوق لزم أن يكون غير مخلوق في كلام العباد ، وإن قلتم مخلوق لزم أن يكون مخلوقاً في كلام الله ؟ قيل : قول انقائل بل الحرف من حيث هو هو كقوله الكلام من حيث هو هو والعلم من حيث هو هو والقدرة من حيث هي هي ، والوجود من حيث هو هو ، ونحو ذلك

والجواب عن ذلك ان هذه الامور وغيرها اذا أخذت مجردة مطلقة غير مقيدة ولا مشخصة لم يكن لها حقيقة في الخارج عن الاذهان الاشياء معين ، فليس ثم وجود إلا وجود الخالق أو وجود المخلوق ، ووجود كل مخلوق مختص به وان كان اسم الوجود عاما يتناول ذلك كله ، وكذلك العلم والقدرة اسم عام يتناول أفراد ذلك وليس في الخارج إلا علم الخالق وعلم المخلوق ، وعلم كل مخلوق مختص به قائم به ، واسم الكلام والحروف يعم كل ما يتناوله لفظ الكلام والحرف وليس في الخارج إلا كلام الخالق وكلام المخلوقين . وكلام كل مخلوق مختص به واسم الكلام يعم كل ما يتناوله هذا اللفظ . وليس في الخارج إلا الحروف التي تكلم الله بها الموجودة في كلام الخالق ، والحروف الموجودة في كلام المخلوقين ، فاذا قيل ان علم الرب وقدرته وكلامه غير مخلوق وحروف كلامه غير مخلوقة لم يلزم من ذلك أن يكون علم العبد وقدرته وكلامه غير مخلوق وحروف كلامه غير مخلوقة .

وأيضاً فلفظ الحرف يتناول الحرف المنطوق والحرف المكتوب ، وإذا قيل ان الله تكلم بالحروف المنطوقة كما تكلم بالقرآن العربي وقوله (الم - وحم - وطسم وطس - ويس - وق - ون) ونحو ذلك فهذا كلامه وكلامه غير مخلوق ، وإذا كتب في المصاحف كان ما كتب من كلام الرب غير مخلوق وان كان اللداد وشكاه مخلوقاً وأيضاً فاذا قرأ الناس كلام الله فالكلام في نفسه غير مخلوق اذا كان الله قد تكلم به ، وإذا قرأه المبلغ لم يخرج عن أن يكون كلام الله ، فان الكلام كلام من قاله مبتدئاً ، أمراً ، أمراً به أو خيراً ، يخبره ليس هو كلام المبلغ له عن غيره اذ ليس على الرسول إلا البلاغ للمبين . وإذا قرأه المبلغ فقد يشار اليه من حيث هو كلام الله فيقال هذا كلام الله مع قطع النظر عما بلغه به العباد من صفاتهم ، وقد يشار الى نفس صفة العبد كحركاته وحياته ، وقد يشار اليهما ، فالمشار اليه

الاول غير مخلوق، والمشار اليه الثاني مخلوق، والمشار اليه الثالث فنه مخلوق ومنه غير مخلوق، وما يوجد في كلام الآدميين من نظير هذا هو نظير صفة العبد لا نظير صفة الرب أبداً، وإذا قال القائل القاف في قوله (أقم الصلاة لذكرى) كالقاف في قوله * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * قيل ماتكم الله به وسمع منه لا يماثل صفة المخلوقين، ولكن اذا بلغنا كلام الله فانما بلغناه بصفاتنا وصفاتنا مخلوقة والمخلوق يماثل المخلوق

وفي هذا جواب للطائفتين لمن قاس صفة المخلوق بصفة الخالق فجعلها غير مخلوقة، فان الجهمية المعطلة أشباه اليهود، والحلولية الممثلة أشباه النصارى دخلوا في هذا وهذا، أولئك مثلوا الخالق بالمخلوق فوصفوه بالصفات التي تخص بالمخلوق كال فقر والبخل، وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق فوصفوه بخصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله، والمسلمون يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به وسمه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، بل يثبتون له ما يستحقه من صفات الكمال، وينزهونه عن الأكفاء والأمثال. فلا يعطون الصفات ولا يمثلونها بصفات المخلوقات، فإن المعطل يعبد عدما، والممثل يعبد صنما، والله تعالى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

وبما ينبغي أن يعرف أن كلام المتكلم في نفسه واحد، وإذا بلغه المبلغون تختلف أصواتهم به فإذا أنشد المنشد قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * كان هذا الكلام كلام لبيد لفظه ومعناه مع أن أصوات المنشدين له تختلف وتلك الأصوات ليست صوت لبيد، وكذلك من روى حديث النبي ﷺ بلفظه كقوله « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » كان هذا الكلام كلام رسول الله ﷺ لفظه ومعناه، ويقال لمن رواه أدى الحديث بلفظه وإن كان صوت المبلغ ليس هو صوت الرسول، فالقرآن أولى أن يكون كلام

الله لفظه ومعناه ، وإذا قرأه القراء فانما يقرؤنه بأصواتهم ، ولهذا كان الامام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة يقولون : من قال اللفظ بالقرآن أولفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قل انه غير مخلوق فهو مبتدع ، وفي بعض الروايات عنه : من قال لفظي بالقرآن مخلوق يعنيه به اقرآن فهو جهمي ، لان اللفظ يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً ، ومسمى هذا فعل العبد وفعل العبد مخلوق ، ويراد باللفظ القول الذي يلفظ به اللفظ وذلك كلام الله لا كلام القاريء ، فن قال انه مخلوق فقد قال ان الله لم يتكلم بهذا القرآن ، وان هذا الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله ، ومعلوم ان هذا مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول . وأما صوت العبد فهو مخلوق ، وقد صرح أحمد وغيره بأن الصوت المسموع صوت العبد ولم يقل أحمد قط من قال ان صوتي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، وانما قال من قال لفظي بالقرآن ، والفرق بين لفظ الكلام وصوت المبلغ له فرق واضح ، فكل من باغ كلام غيره بلفظ ذلك الرجل فانما باغ لفظ ذلك الغير لا لفظ نفسه ، وهو انما يلفظه بصوت نفسه لا بصوت ذلك الغير ، ونفس اللفظ والتلاوة والقراءة والكتابة ونحو ذلك لما كان يراد به المصدر الذي هو حركات العباد وما يحدث عنها من اصواتهم وشكل المداد ، ويراد به نفس الكلام الذي يقرأه التالي ويتلوه ويلفظ به ويكتبه ، منع أحمد وغيره من اطلاق النفي والاثبات الذي يقتضي جعل صفات الله مخلوقة أو جعل صفات العباد ومدادهم غير مخلوق ، وقال أحمد : نقول اقرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف أي حيث تلي وكتب وقرئ . فما هو في نفس الامر كلام الله فهو كلامه وكلامه غير مخلوق ، وما كان من صفات العباد وأفعالهم التي يقرؤون ويكتبون بها كلامه كأصواتهم ومدادهم فهو مخلوق ، ولهذا من لم يهتد الى هذا افرق بحار ، فانه معلوم ان القرآن واحد وقرأه خلق كثير ، والقرآن لا يكثر في نفسه بكثرة قراءة القراء وانما يكثر

ما يقرؤون به القرآن فما يكترو به يحدث في العباد فهو مخلوق ، والقرآن نفسه لفظه ومعناه الذي تكلم الله به وسمعه جبريل من الله وسمعه محمد من جبريل وبلغه محمد إلى الناس وأنذر به الامم لقوله تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ) قرآن واحد ، وهو كلام الله ليس بمخلوق ،

وليس هذا من باب ما هو واحد بالنوع متعدد الاعداد ، كالانسانية الموجودة في زيد وعمر ، ولا من باب ما يقول الانسان مثل قول غيره كما قال تعالى (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) فان القرآن لا يقدر أحد ان يأتي بمثله ، كما قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظميرا) فالانس والجن اذا اجتمعوا لم يقدروا ان يأتوا بمثل هذا القرآن مع قدرة كل قارئ على ان يقرأه ويبلغه . فلم ان ما قرأه هو القرآن ليس هو مثل ذلك القرآن ، واما الحروف الموجودة في القرآن اذا وجد نظيرها في كلام غيره فليس هذا هو ذاك بعينه بل هو نظيره ، واذا تكلم الله باسم من الاسماء كآدم ونوح وابراهيم وتكلم بتلك الحروف والاسماء التي تكلم الله بها فاذا قرئت في كلامه فقد بلغ كلامه ، فاذا انشأ الانسان لنفسه كلاما لم يكن عين ما تكلم الله به من الحروف والاسماء هو عين ما تكلم به العبد حتى يقال ان هذه الاسماء والحروف الموجودة في كلام العباد غير مخلوقة ، فان بعض من قال ان الحروف والاسماء غير مخلوقة في كلام العباد ادعى ان الخلق انما هو النظم والتأليف دون المفردات ، وقائل هذا يلزمه ان يكون ايضا النظم والتأليف غير مخلوق اذا وجد نظيره في القرآن كقوله (يا يحيى خذ الكتاب) وان اراد بذلك شخصا اسمه يحيى وكتابه بحضرة (فان قيل) يحيى هذا والكتاب الحاضر ليس هو يحيى والكتاب المذكور في القرآن وان كان اللفظ نظير اللفظ (قيل) كذلك سائر الاسماء والحروف انما يوجد

تظيرها في كلام العباد لا في كلام الله . وقولنا يوجد نظيرها في كلام الله تقريب أي يوجد فيما نقرأه وتتلوه . فان الصوت المسموع من لفظ محمد وبجي و ابراهيم في القرآن هو مثل الصوت المسموع من ذلك في غير القرآن وكلا الصوتين مخلوق . واما الصوت الذي يتكلم الله به فلا مثل له لا يماثل صفات المخلوقين ، وكلام الله هو كلامه بنظمه ومعانيه . وذلك الكلام ليس مثل كلام المخلوقين . فاذا قلنا (الحمد لله رب العالمين) وقصد بذلك قراءة القرآن الذي تكلم الله به فذلك القرآن تكلم الله بلفظه ومعناه لا يماثل لفظ المخلوقين ومعناهم ، واما اذا قصدنا به الذكر ابتداء من غير ان يقصد قراءة كلام الله فانما نقصد ذكر انشائه نحن نقوم معناه بقلوبنا ، وننطق بلفظه بألسنتنا ، وما انشأناه من الذكر فليس هو من القرآن وان كان نظيره في القرآن . ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح « أفضل الكلام بعد اقرآن أربع وهن من اقرآن : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر » فجعل النبي ﷺ هذه الكلمات افضل الكلام بعد القرآن فجعل درجتها دون درجة القرآن ، وهذا يقتضي انها ليست من القرآن . ثم قال « هي من القرآن » وكلا قوليه حق وصواب . ولهذا منع احمد ان يقال الايمان مخلوق . وقال لا اله الا الله من القرآن . وهذا الكلام لا يجوز ان يقال انه مخلوق وان لم يكن من القرآن ، ولا يقل في التوراة والانجيل انها مخلوقان ، ولا يقل في الاحاديث الالهية التي يرويها عن ربه انها مخلوقة كقوله « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » فكلام الله قديكون قرآنا وقد لا يكون قرآنا واصلاة انما تجوز وتصح بالقرآن . وكلام الله كله غير مخلوق

فاذا فهم هذا في مثل هذا فليفهم في نظائره وان ما يوجد من الحروف والاسماء في كلام الله ويوجد في غير كلام الله يبرز ان يقال انه من كلام الله

شبهة من قال كلام الله مخلوق ومن قال كلام الناس غير مخلوق ٦٣

باعتبار كما انه يكون من اقرآن باعتبار وغير اقرآن باعتبار ، لكن كلام الله القرآن وغير اقرآن غير مخلوق ، وكلام المخلوقين كله مخلوق . فما كان من كلام الله فهو غير مخلوق وما كان من كلام غيره فهو مخلوق .

وهؤلاء الذين يحتاجون على نفي الخلق أو اثبات القدم بشيء من صفات العباد واعمالهم لوجود نظير ذلك فيما يضاف الى الله وكلامه والايمان به ، شاركتهم في هذا الاصل الفاسد من احتج على خلق ما هو من كلام الله وصفاته بان ذلك قد يوجد نظيره فيما يضاف الى العبد . مثل ذلك ان القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله قرؤه بمركاتهم وأصواتهم ، فنال الجهمي أصوات العباد ومدادهم مخلوقة وهذا هو المسمى بكلام الله أو يوجد نظيره في المسمى بكلام الله فيكون كلام الله مخلوقا

وقال الحلواني الاتحادي الذي يجعل صفة الخالق هي عين صفة المخلوق الذي سمع من القراء هو كلام الله وانما نسمع أصوات العباد فاصوات العباد بالقرآن كلام الله وكلام الله غير مخلوق فاصوات العباد بالقرآن غير مخلوقة ، والحروف المسموعة منهم غير مخلوقة ، ثم قلوا الحروف لموجود في كلامهم هي هذه او مثل هذه فتكون غير مخلوقة . وراد بعض غلاتهم فجعل أصوات كلامهم غير مخلوقة كما زعم بعضهم ان الاعمال من الايمان وهو غير مخلوق والاعمال غير مخلوقة . وزاد بعضهم أعمال الخير والشر وقال هي اقدار والشرع المشروع وقال يعمر ما مرادنا بالاعمال الحركات بل الثواب الذي يأتي يوم القيامة كما ورد في الحديث الصحيح « انه تأتي البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف » فيقال له وهذا اثاراب مخلوق . وقد نص احمد وغيره من الأئمة على أنه غير مخلوق . وبذلك أجابوا من احتج على خلق القرآن بمثل هذا الحديث فقلوا له الذي يجيء يوم القيامة هو ثواب القرآن لانفس اقرآن وثواب القرآن مخلوق ،

إلى أمثال هذه الأقوال التي ابتدئها طوائف والبدع تنشأ شيئا فشيئا وقد بسط الكلام في هذا الباب في مواضع أخر .

وقد بينا أن الصواب في هذا الباب هو الذي دل عليه الكتاب والسنة واجماع السابقين الاولين والتابعين لهم بإحسان ، وهو ما كان عليه الامام احمد بن حنبل ومن قبله من أئمة الاسلام ومن وافق هؤلاء ، فإن قول الامام احمد وقول الأئمة قبله هو القول الذي جاء به الرسول ودل عليه الكتاب والسنة . ولكن لما امتحن الناس بمحنة الجهمية وطالب منهم تعطيل الصفات وأن يقولوا بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة ونحو ذلك ، ثبت الله الامام احمد في تلك المحنة فدفع حجج المعارضين النفاة وأظهر دلالة الكتاب والسنة وأن السلف كانوا على الإثبات فأتاه الله من الصبر واليقين ماصار به إماما كما قال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) ولهذا قيل فيه رحمه الله : عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه . أتته البدع فنفاها ، والدنيا فأبأها ، فلما ظهر به من السنة مظهر كان له من الكلام في بيانها وإظهارها أكثر وأعظم مما لغيره فصار أهل السنة من عامة الطوائف يعظمونه وينتسبون إليه .

وقد ذكرت كلامه وكلام غيره من الأئمة ونصوص الكتاب والسنة في هذه الأبواب في غير هذا الموضع وبيننا أن كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول ، وأن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح ، ولكن كثير من الناس يغفلون إما في هذا وإما في هذا ، فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفا بالأدلة الشرعية وليس في المعقول ما يخالف النقل ، ولهذا كان أئمة السنة على ما قاله أحمد بن حنبل ، قال : معرفة الحديث والفقه فيه أحب إلي من حفظه ، أي معرفته بالتمييز بين صحيحه وسقيمه ، والفقه فيه معرفة مراد الرسول وتنزيله على المسائل الأصولية والفروعية أحب إلي من أن تحفظ من غير معرفة وفقه . وهكذا قال

علي بن المديني وغيره من العلماء ، فنه من احتج بلفظ ليس بثابت عن الرسول [أو بلفظ ثابت عن الرسول] وحمله على ما لم يدل عليه فانما أتى من نفسه وكذلك العقليات الصريحة إذا كانت مقدماتها وترتيبها صحيحا لم تكن إلا حقا لاتناقض شيئا مما قاله لرسول ، والقرآن قد دل على الأدلة العقلية التي بها يعرف الصانع وتوحيده وصفاته وصدق رسله وبها يعرف امكان المعاد . ففي القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا يوجد مثله في كلام أحد من الناس ، بل عامة ما يأتي به حذاق النظر من الأدلة العقلية يأتي القرآن بخلاصتها وبما هو أحسن منها ، قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئتك بالحق وأحسن تفسيرا) وقال (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) وقال (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

وأما الحجج الداحضة التي يحتج بها الملاحدة وحجج الجهمية معطلة الصفات وحجج الدهرية وأمثالها كما يوجد مثل ذلك في كلام المتأخرين الذين يصنعون في الكلام المبتدع وأقوال المتفلسفة ويدعون انها عقليات فيها من الجهل والتناقض والفساد ، مالا يحصىه إلا رب المعاد . وقد بسط الكلام على هؤلاء في مواضع آخر . وكان من أسباب ضلال هؤلاء تقصير الطائفتين أو قصورهم عن معرفة ما جاء به الرسول وما كان عليه السلف ومعرفة المعقول الصريح فان هذا هو الكتاب وهذا هو الميزان وقد دل تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز) وهذه المسألة لا تحتمل البسط على هذه الامور اذا كان المقصود هنا التنبيه على ان هؤلاء المتنازعين أجمعوا على أصل قاسد ، ثم تفرقوا فأجمعوا على أن جعلوا عين صفة الرب الخالق هي عين

صفة المخلوق . ثم قال هؤلاء وصفة المخلوق مخلوقة فصفة الرب مخلوقة ، فقال هؤلاء
 صفة الرب قديمة فصفة المخلوق قديمة ، ثم احتاج كل منهما الى طرد أصله فخرجوا
 الى أقوال ظاهرة الفساد ، خرج النفاة الى أن الله لم يتكلم بالقرآن ولا شيء
 من الكتب الالهية ولا التوراة ولا الانجيل ولا غيرها ، وانه لم يناد موسى بنفسه
 نداء يسمعه منه موسى ولا تكلم بالقرآن العربي ولا التوراة العبرية ، وخرج
 هؤلاء الى أن ما يقوم بالعباد ويتصفون به يكون قديماً أزلياً ، وان ما يقوم بهم
 ويتصفون به لا يكون قائماً بهم حالاً فيهم بل يكون ظاهراً فيهم من غير قيام بهم .
 ولما تكلموا في حروف المعجم صاروا بين قولين : طائفة فرقت بين المماثلين
 فقالت الحرف حرفان هذا قديم وهذا مخلوق ، كما قال ابن حامد والقاضي أبو يعلى
 وابن عقيل وغيرهم ، فانكر ذلك عليهم الاكثرون وقالوا هذا مخالفة للحس والعقل
 فان حقيقة هذا الحرف هي حقيقة هذا الحرف ، وقالوا الحرف حرف واحد .
 وصنف في ذلك القاضي يعقوب البرزني مصنفاً خالف به شيخه القاضي ابا يعلى
 مع قوله في مصنفه وينبغي ان يعلم ان ما سطرته في هذه المسألة ان ذلك مما استفتته
 وتفزع عندي من شيخنا وامامنا القاضي ابي يعلى بن الفراء ، وان كان قد نصر
 خلاف ما ذكرته في هذا الباب ، فهو العالم المقتدى به في علمه ودينه ، فاني ما رأيت
 احسن سمناً منه ، ولا اكثر اجتهاداً منه ، ولا تشاغلاً بالعلم ، مع كثرة العلم
 والصيانة ، والا تقطع عن الناس والزهادة فيما بأيديهم ، والقناعة في الدنيا باليسير ،
 مع حسن التجميل ، وعظم حشمته عند الخاص والعام ، ولم يعدل بهذه الاخلاق
 شيئاً من نفر من الدنيا

وذكر القاضي يعقوب في مصنفه ان ما قاله قول ابي بكر احمد بن المسيب
 الطبري وحكاه عن جماعة من أفضل اهل طبرستان ، وانه سمع الفقيه عبد
 الوهاب ابن حابه قاضي حران يقول هو مذهب العلوي الحراني وجماعة من اهل

حران . وذكره ابو عبد الله بن حامد عن جماعة من اهل طبرستان ممن ينتمي الى مذهبنا كابى محمد الكشغل واسماعيل الكاوذرى في خلق من اتباعهم يقولون انها قديمة ، قال القاضي ابو يعلى : وكذلك حكى لي عن طائفة بالشام انها تذهب الى ذلك منهم النابلسي وغيره ، وذكر القاضي حسين أن اياه رجع في آخر عمره الى هذا . وذكره عن الشريف ابى علي بن ابى موسى وتبعهم في ذلك الشيخ ابو الفرج المقدسى وابنه عبد الوهاب وسائر اتباعه وابو الحسن بن الزاغوني وامثاله . وذكر القاضي يعقوب ان كلام احمد يحتمل القولين وهؤلاء تعلقوا بقول احمد لما قيل له ان سرياً السقطي قال لما خلق الله الاحرف سجدت له الا الالف فقالت لا اسجد حتى أومر . فقال احمد هذا كفر . وهؤلاء تعلقوا من قول احمد بقوله : كل شيء من المخلوقين على لسان المخلوقين فهو مخلوق ، وبقوله : لو كان كذلك لما تمت صلاته بالقرآن كما لاتم بغيره من كلام الناس . ويقول احمد لاحمد بن الحسن الترمذي : ألست مخلوقاً ؟ قل بلى ، قل اليس كل شيء منك مخلوق ؟ قال بلى ، قل : فكلامك منك وهو مخلوق .

(قلت) الذي قاله احمد في هذا الباب صواب يصدق بعضه بعضاً ، وليس في كلامه تناقض ، وهو انكر على من قل ان الله خلق الحروف ، فإن من قل ان الحروف مخلوقة كان مضمون قوله ان الله لم يتكلم بقرآن عربى ، وان القرآن العربى مخلوق ، ونص احمد ايضا على أن كلام الأدميين مخلوق ، ولم يجعل شيئاً منه غير مخلوق ، وكل هذا صحيح ، والسري رحمه الله انما ذكر ذلك عن بكر بن خنيس العابد ، فكان مقصودهما بذلك ان الذي لا يعبد الله الا بامر ، هو اكمل ممن يعبد برأيه من غير أمر من الله ، واستشهدا على ذلك بما بلغهما انه لما خلق الله الحروف سجدت له الا الالف فقالت لا اسجد حتى أومر ، وهذا الاثر لا يقوم بمثله حجة في شيء ، ولكن مقصودهما ضرب المثل أن

الألف منتصبة في الخط ليس هي مضطجعة كالباء والتاء ، فمن لم يفعل حتى يؤمر
أكل ممن فعل بغير أمر . وأحمد أنكر قول القائل ان الله لما خلق الحروف ،
وروي عنه انه قل : من قال إن حرفا من حروف المعجم مخلوق فهو جهمي ،
لانه سلك طريقا الى البدعة ، ومن قال ان ذلك مخلوق فقد قال ان القرآن
مخلوق . وأحمد قد صرح هو وغيره من الائمة ان الله لم يزل متكلم اذا شاء ،
وصرح ان الله يتكلم بمشيئته ، ولكن أتباع ابن كلاب كالقاضي وغيره تأولوا
كلامه على انه أراد بذلك اذا شاء الاسماع لانه عندهم لم يتكلم بمشيئته وقدرته .
وصرح أحمد وغيره من السلف ان القرآن كلام الله غير مخلوق . ولم يقل أحد
من السلف ان الله تكلم بغير مشيئته وقدرته ، ولا قل أحد منهم ان نفس الكلام
المعين كالقرآن أو ندائه لموسى أو غير ذلك من كلامه المعين انه قديم أزلي لم
يزل ولا يزال ، وان الله قامت به حروف معينة أو حروف وأصوات معينة قديمة
أزلية لم تزل ولا تزال ، فان هذا لم يقله ولا دل عليه قول أحمد ولا غيره من أئمة
المسلمين ، بل كلام أحمد وغيره من الائمة صريح في نقيض هذا ، وان الله يتكلم
بمشيئته وقدرته ، وانه لم يزل يتكلم اذا شاء ، مع قولهم ان كلام الله غير مخلوق ،
وانه منه بدا ليس بمخلوق ابتداء من غيره ، ونصوصهم بذلك كثيرة معروفة في
الكتب الثابتة عنهم ، مثل ما صنف أبو بكر الخلال في كتاب السنة وغيره ، وما
صنفه عبد الرحمن بن أبي حاتم من كلام أحمد وغيره ، وما صنفه أصحابه وأصحاب
أصحابه كابن عبيد الله ، وحنبل ، وأبي داود السجستاني صاحب السنن ،
والاثرم ، والمروذي ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، والبخاري صاحب الصحيح ،
وعثمان بن سعيد الدارمي ، وإبراهيم الحربي ، وعبد الوهاب الوراق ، وعباس
ابن عبد العظيم العنبري ، وحرب بن اسماعيل الكرماني ، ومن لا يحصى عدده
من أكابر أهل العلم والدين ، وأصحاب أصحابه ممن جمع كلامه واختاره كعبد الرحمن

ابن أبي حاتم وأبي بكر الخلال، وأبي الحسن البنا في الاصبهاني وأمثال هؤلاء، ومن كان أيضاً يأنم به وبأمثاله من الأئمة في الاصول والفروع كأبي عيسى الترمذي صاحب الجامع وأبي عبد الرحمن النسائي وأمثالهما، ومثل أبي محمد بن قتيبة وأمثاله، وبسط هذا له موضع آخر، وقد ذكرنا في المسائل الطبرستانية والكيلانية بسط مذاهب الناس وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الاصل

والقصود هنا أن كثيراً من الناس المتأخرين لم يعرفوا حقيقة كلام السلف والأئمة، فمنهم من يعظمهم ويقول انه متبع لهم مع انه مخالف لهم من حيث لا يشعر، ومنهم من يظن انهم كانوا لا يعرفون أصول الدين ولا تقريرها بالدلائل البرهانية، وذلك لجهلهم بعلمهم بل لجهله بما جاء به الرسول من الحق الذي تدل عليه الدلائل العقلية مع السمعية، فلهذا يوجد كثير من المتأخرين يشتركون في أصل فاسد، ثم يفرع كل قوم عليه فروعا فاسدة يلتزمونها، كما صرحوا في تكلم الله تعالى بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية وما فيهما من حروف الهجاء مؤلفا أو مفردا لما رأوا أن ذلك بلغ بصفات المخلوقين اشتباه بصفات المخلوقين، فلم يهتدوا لموضع الجمع والفرق، فقال هؤلاء: هذا الذي يقرأ ويسمع مثل كلام المخلوقين فهو مخلوق وقال هؤلاء: هذا الذي من كلام الآدميين هو مثل كلام الله فيكون غير مخلوق، كما ذكر ابن عقيل في كتاب الارشاد عن بعض القائلين بأن القرآن مخلوق فهو شبهة اعترض بها على بعض أئمتهم فقال: أقل ما في القرآن من امارات الحدث كونه مشبهاً لكلامنا، والقديم لا يشبه المحدث، ومعلوم انه لا يمكن دفع ذلك، لان قول القائل لعلامه يحيى: يا يحيى خذ الكتاب بقوة، يضاهي قوله سبحانه، حتى لا يميز السامع بينهما من حيث حسه، إلا أن يخبره أحدهما بقصده والاخر بقصده، فيميز بينهما بخبر القائل لا بحسه، وإذا اشتبهت الى هذا الحد فكيف يجوز دعوى قدم ما يشابه المحدث ويسد مسده، مع انه ان جاز دعوى

قدم الكلام مع كونه مشاهدا للمحدث جاز دعوى التشبيه بظواهر الآي والاختبار ، ولا مانع من ذلك ، فلما فرغنا نحن وانتم الى نفي التشبيه خوفا من جواب دخول القرآن بالمحدث علينا ، كذلك يجب ان تفزعوا من القول بالقدم مع وجود الشبه ، حتى ان بعض اصحابكم يقول لقوة ما رأى من الشبه بينهما ان الكلام واحد والحروف غير مخلوقة ، فكيف يجوز ان يقال في الشيء الواحد انه قدم ومحدث قلت : وهذا الذي حكي عنه ابن عقيل من بعض الاصحاب المذكورين منهم القاضي يعقوب البرزيني ذكره في مصنفه فقال (دليل عاشر) وهو ان هذه الحروف بعينها وصفتها ومعناها وفائدتها هي التي في كتاب الله تعالى وفي اسمائه وصفاته والكتاب بحروفه قديم . وكذلك هاهنا . قال : فان قيل : لانسلم ان تلك لها حرمة وهذه لاحرمة لها ، قيل : لانسلم بل لها حرمة

فان قيل : لو كان لها حرمة لوجب ان تمنع الحائض والنفساء من مسها وقراءتها ، قيل : قد لا تمنع من قراءتها ومسها ويكون لها حرمة كعبعض آية لا تمنع من قراءتها ولها حرمة وهي قديمة ، وانما لم تمنع قراءتها ومسها للحاجة الى تعليمها كما يقال في الصبي يجوز له مس المصحف على غير طهارة للحاجة الى تعليمه فان قيل : فيجب اذا حلف بها حالف ان ينقذ يمينه واذا خالف يمينه ان يحنث ، قيل له : كما في حروف القرآن مثله نقول هنا

فان قيل : أليس اذا وافقها في هذه المعاني دل على انها هي ، الا ترى انه اذا تكلم متكلم بكلمة يقصد بها خطاب آدمي فوافق صفتها صفة ما في كتاب الله تعالى مثل قوله : ياد اود ، يانوح ، يايحي ، وغير ذلك فانه موافق لهذه الاسماء التي في كتاب الله وان كانت في كتاب الله قديمة وفي خطاب آدمي محدثة ؟ قيل : كل ما كان موافقا لكتاب الله من الكلام في افظه ونظمه وحروفه فهو من كتاب الله وان قصد به خطاب آدمي ،

فان قيل : فيجب اذا اراد بهذه الاسماء آدميا وهو في الصلاة ان لا تبطل صلاته ، قيل له : كذلك نقول قد ورد مثل ذلك عن علي وغيره اذ ناداه رجل من الخوارج (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) قال فاجابه علي وهو في الصلاة (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفئك الذين لا يوفون) وعن ابن مسعود انه استأذن عليه بعض اصحابه فقال (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)

قال : فان قيل أليس اذا قال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) ونوى به خطاب غلام اسمه يحيى يكون الخطاب مخلوقا ؟ وان نوى به القرآن يكون قديما ، قيل له : في كلا الحالين يكون قديما لان القديم عبارة عما كان موجودا فيما لم يزل ، والمحدث عبارة عما حدث بعد ان لم يكن ، والنية لا تجعل المحدث قديما ولا القديم محدثا ، قال : ومن قال هذا فقد بالغ في الجهل والخطأ

وقال أيضا : كل شيء يشبه بشيء ما فانما يشبهه في بعض الاشياء دون بعض ولا يشبهه من جميع أحواله لانه إذا كان مثله في جميع أحواله كان هو لا غيره ، وقد بينا أن هذه الحروف تشبه حروف القرآن فهي غيرها اه
(قلت) هذا كلام القاضي يعقوب وأمثاله مع انه أجل من تكلم في هذه المسألة ولما كان جوابه مشتملا على ما يخالف النص والاجماع والعقل خالفه ابن عقيل وغيره من أئمة المذهب الذين هم أعلم به

وأجاب ابن عقيل عن سؤال الذين قالوا هذا مثل هذا ، بان قال : الاشتراك في الحقيقة لا يدل على الاشتراك في الحدوث ، كما ان كونه عالما هو تبيينه للشيء على أصلكم ، ومعرفته به على قولنا على الوجه الذي يبينه الواحد منا ، وليس مماثلنا في كوننا عالمين . وكذلك كونه قادرا هو صحة الفعل منه سبحانه وتعالى ، وليس قدرته على الوجه الذي قدرنا عليها ، فليس الاشتراك في الحقيقة حاصلا ، والافتراق في القدم والحدوث حاصل

قال: وجواب آخر، لا نقول ان الله يتكلم بكلامه على الوجه الذي يتكلم به زيد، بمعنى انه يقول يا يحيى فاذا فرغ من ذلك انتقل إلى قوله خذ الكتاب بقوة وترتب في الوجود كذلك، بل هو سبحانه وتعالى يتكلم به على وجه تعجز عن مثله أدواتنا. فما ذكرته من الاشتباه من قول النقاتل يا يحيى خذ الكتاب يعود الى اشتباه التلاوة بالكلام المحدث. فاما أنه شابه الكلام القائم بذاته فلا

قال ابن عقيل: قالوا فهذا لا يجيء على مذهبكم. فان عندكم التلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء. قيل: ليس معنى قولنا هي المتلو انها هذه الاصوات المقطعة وانما نريد به ما يظهر من الحروف القديمة في الاصوات المحدثه، وظهورها في المحدث لا بد أن يكسبها صفة التقطيع لاختلاف الانفاس وادارة اللهوات، لأن الآلة التي تظهر عليها لا تحمل الكلام إلا على وجه التقطيع، وكلام الباري قائم بذاته على خلاف هذا التقطيع والابتداء والانتها والتكرار والبعدية والقبلية. ومن قال ذلك لم يعرف حد القديم وادعى قدم الاعراض وتقطع القديم، وتقطع القديم عرض لا يقوم بقديم. ومن اعتقد ان كلام الله القائم بذاته على حد تلاوة التالي من القطع والوصل والتقريب والتبعيد والبعدية والقبلية فقد شبه الله بخلقه. ولهذا روي في الخبر أن موسى سأل بنو اسرائيل: كيف سمعت كلام ربك؟ قال كل واحد الذي لا يرجع، يعني ينقطع لعدم قطع الانفاس وعدم الانفاس والآلات والشفاء واللهوات ومن قال غير ذلك وتوهم ان الله تكلم على لسان التالي او الكلام الذي قام بذاته على هذه الصفة من التقطيع والوصل والتقريب والتبعيد فقد حكم به محدثا لان الدلالة على حدوث العالم هو الاجتماع والافتراق، ولان هذه من صفات الادوات اه (قلت) فهذا الذي قاله ابن عقيل أقل خطأ مما قاله البرزيني، فان ذلك مخالف للنص والاجماع والعقل مخالفة ظاهرة، فانه قد ثبت بالنص والاجماع ان من تكلم في الصلاة بكلام الآدميين عامداً لغير مصلحتها عالما بالتحريم بطلت صلاته

بالإجماع خلاف ما ذكره القاضي يعقوب . ومتى قصد به التلاوة لم تبطل بالإجماع .
وان قصد به التلاوة والخطاب ففيه نزاع . وظاهر مذهب أحمد لا تبطل كمذهب
الشافعي وغيره ، وقيل تبطل كقول أبي حنيفة وغيره . وما ذكره عن الصحابة
حجة عليهم . فان قول علي بن أبي طالب (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك
الذين لا يوقنون) هو كلام الله ولم يقصد علي أن يقول للخارجي ولا يستخفك
الخوارج وإنما قصد أن يسمعه الآية وأنه عامل بها صابر لا يستخفه الذين
لا يوقنون ، وابن مسعود قال لهم وهو بالكوفة (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) .
ومعلوم أن مصر بلا تنوين هي مصر المدينة وعنده لم تكن بالكوفة . وابن مسعود
أنما كان بالكوفة فلم أنه قصد تلاوة الآية وقصد مع ذلك تنبيه الحاضرين على
الدخول فانهم سمعوا قوله ادخلوا ، فعملوا أنه أذن لهم في الدخول ، وإن كان
هو تلا الآية فهذا هذا

وأما جواب ابن عقيل فبناه على أصل ابن كلاب الذي يعتقده هو وشيخه
وغيرهما وهو الأصل الذي وافقوا فيه ابن كلاب ومن اتبعه كالأشعري وغيره
وهو أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته وأنه ليس فيما يقوم به شيء يكون بمشيئته
وقدرته لا ممتنع قيام الأمور الاختيارية به عندهم لأنها حادثة والله لا يقوم به حادث
عندهم ، ولهذا تأولوا النصوص المناقضة لهذا الأصل ، كقوله تعالى (وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) فإن هذا يقتضي أنه سيرى الأعمال في
المستقبل وكذلك قوله (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف
تعملون) وقوله (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) وكذلك قوله (قل إن كنتم تحبون
الله فابعثوني بعبادكم) فإن هذا يقتضي أنه يحبهم بعد اتباع الرسول . وكذلك قوله
تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فإن هذا يقتضي
أنه قال لهم بعد خلق آدم وكذلك قوله تعالى (فلما أتانا نودى) يقتضي أنه نودى .

لما أتانا ، لم يناد قبل ذلك ، وكذلك قوله (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ومثل هذا في القرآن كثير

وهذا الاصل هو مما أنكره الامام أحمد على ابن كلاب وأصحابه حتى على الحارث المحاسبي مع جلالة قدر الحارث ، وأمر أحمد به جره وهجره الكلابية ، وقال : احذروا من حارث ، الآفة كلها من حارث ، فمات الحارث وما صلي عليه إلا نفر قليل بسبب تحذير الامام أحمد عنه ، مع ان فيه من العلم والدين ما هو أفضل من عامة من وافق ابن كلاب على هذا الاصل ، وقد قيل ان الحارث رجع عن ذلك وأقر بأن الله يتكلم بصوت كما حكى عنه ذلك صاحب (التعرف لمذهب التصوف) أبو بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي

وكثير من المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وافقوا ابن كلاب على هذا الاصل ، كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع أخر

واختلف كلام ابن عقيل في هذا الاصل ، فتارة يقول بقول ابن كلاب وتارة يقول بمذهب السلف وأهل الحديث ان الله تقوم به الامور الاختيارية ، ويقول انه قام به أبصار متجددة حين تجدد المراتب لم تكن قبل ذلك ، وقام به علم بأن كل شيء وجد غير العلم الذي كان أولاً انه سيوجد ، كما دل على ذلك عدة آيات في القرآن كقوله تعالى (لنعلم من يتبع الرسول) وغير ذلك . وكلامه في هذا الاصل وغيره يختلف ، تارة يقول هذا وتارة يقول هذا ، فان هذه المواضع مواضع مشكلة كثر فيها غلط الناس لما فيها من الاشتباه والالتباس

والجواب الحق ان كلام الله لا يماثل كلام المخلوقين ، كما لا يماثل في شيء من صفاته صفات المخلوقين ، وقول القائل ان الاشتراك في الحقيقة لا يدل على الاشتراك في الحدوث لفظ مجمل ، فانا اذا قلنا : لله علم ولنا علم ، أو له قدرة ولنا قدرة ، أو له كلام ولنا كلام ، أو تكلم بصوت ونحن نتكلم بصوت ، وقلنا صفة الخالق

وصفة المخلوق اشتركتا في الحقيقة ، - فان أريد بذلك ان حقيقتهما واحدة بالعين فهذا مخالف للحس والعقل والشرع ، وان أريد بذلك ان هذه مماثلة لهذه في الحقيقة وانما اختلفتا في الصفات العرضية ، كما قال ذلك طائفة من أهل الكلام - وقد بين فساد ذلك في الكلام على الاربعين لا ازي وغير ذلك - فهذا أيضاً من أبطل الباطل ، وذلك يستلزم أن تكون حقيقة ذات الباري عز وجل مماثلة لحقيقة ذوات المخلوقين

وان أريد بذلك انهما اشتركا في مسمى العلم والقدرة والكلام فهذا صحيح ، كما انه اذا قيل انه موجود أو ان له ذاتا فقد اشتركا في مسمى الوجود والذات ، لكن هذا المشترك أمر كلي لا يوجد كلياً إلا في الازدهان لا في الاعيان (١) فليس في الخارج شيء اشترك فيه مخلوقان كاشتراك الجزئيات في كلياتها بخلاف اشتراك الاجزاء في الكل فانه يجب الفرق بين قسمة الكل الى جزئياته ، كقسمة الحيوان الى ناطق وغير ناطق ، وقسمة الانسان الى مسلم وكافر ، وقسمة الاسم الى معرب ومبني ، وقسمة الكل الى أجزائه كقسمة العقار بين الشركاء ، وقسمة الكلام الى اسم وفعل وحرف ، ففي الاول انما اشتركت الاقسام في أمر كلي فضلاً عن أن يكون الخلق والمخلوقون مشتركين في شيء موجود في الخارج وليس في الخارج صفة لله يماثل بها صفة المخلوق ، بل كل ما يوصف به الرب تعالى فهو مخالف بالحد والحقيقة لما يوصف به المخلوق أعظم مما يخالف المخلوق المخلوق ، واذا كان المخلوق مخالفاً بذاته وصفاته لبعض المخلوقات في الحد والحقيقة

(١) يظهر من هذا التفصيل ان شيخ الاسلام يرجح ان الاشتراك بين صفات الله وصفات المخلوق اشترك في التسمية لا في الجنس الذي ينقسم الى انواع هي جزئياته. وهذا هو الذي اخبره شيخنا في درسه لرسالة النوحيد وذكرناه في حاشية لها واشترنا اليه في حاشية سابقة على هذا الكتاب

فمخالفة الخالق لكل مخلوق في الحقيقة أعظم من مخالفة أي مخلوق فرض لأي مخلوق فرض ، ولكن علمه ثبت له حقيقة العلم واقدرة حقيقة القدرة ولكلامه حقيقة الكلام كما ثبت لذاته حقيقة الذاتية ولوجوده حقيقة الوجود ، وهو أحق بأن تثبت له صفات الكمال على الحقيقة من كل ما سواه . فهذا هو المراد بقولنا علمه يشارك علم المخلوق في الحقيقة ، فليس ما يسمع من العباد من أصواتهم مشابها ولا مماثلا لما سمعه موسى من صوته إلا كما يشبه ويمثل غير ذلك من صفاته لصفات المخلقين ، فهذا في نفس تكلمه سبحانه وتعالى بالقرآن ، والقرآن عند الامام احمد وسائر أئمة السنة كلامه تكلم به وتكلم بالقرآن العربي بصوت نفسه وكلم موسى بصوت نفسه الذي لا يماثل شيئا من اصوات العباد .

نعم اذا قرأنا القرآن فانما نقرؤه باصواتنا المخلوقة التي لا تماثل صوت الرب ، فالقرآن الذي نقرؤه هو كلام الله مبلغا عنه لا مسموعا منه ، وانما نقرؤه بجر كاتنا واصواتنا ، الكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مع العقل ، قال الله تعالى (وان احدا من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) وقال النبي ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وقال الامام احمد في قول النبي ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال ، يزيئنه ويحسنه بصوته كما قال « زينوا القرآن بأصواتكم » فنص احمد على ما جاء به الكتاب والسنة انا نقرأ القرآن باصواتنا والقرآن كلام الله كله لفظه ومعناه ، سمعه جبريل من الله وبلغه الى محمد ﷺ وسمعه محمد منه ، وبلغه محمد الى الخلق ، والخلق يبلغه بعضهم الى بعض ويسمعه بعضهم من بعض ، ومعلوم انهم اذا سمعوا كلام النبي ﷺ وغيره فبلغوه عنه كما قال « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه » فهم سمعوا اللفظ من الرسول بصوت نفسه بالحروف التي تكلم بها وبلغوا لفظه باصوات انفسهم ، وقد علم الفرق بين من يروي الحديث

بالمعنى لا باللفظ واللفظ المبلغ لفظ الرسول وهو كلام الرسول . فان كان صوت المبلغ ليس صوت الرسول وليس ما قام بالرسول من الصفات والاعراض فارقته وما قامت بغيره بل ولا تقوم الصفة والعرض بغير محله . واذا كان هذا معقولا في صفات المخلوقين فصفات الخالق اولى بكل صفة كمال وابتعد عن كل صفة نقص ، والتباين الذي بين صفة الخالق والمخلوق اعظم من التباين الذي بين صفة مخلوق ومخلوق ، وامتناع الاتحاد والحلول بالذات للخالق وصفاته في المخلوق اعظم من الاتحاد والحلول بالذات للمخلوق وصفاته في المخلوق ، وهذه جمل قد بسطت في مواضع اخر

هذا مع ان احتجاج الجهمية والمعتزلة بان كلام المخلوق بقوله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) مثل كلام الخالق غلط باتفاق الناس حتى عندهم ، فان الذين يقولون هو مخلوق يقولون انه خلقه في بعض الاجسام اما الهواء او غيره ، كما يقولون انه خلق الكلام في نفس الشجرة فسمعه موسى . ومعلوم ان تلك الحروف والاصوات التي خلقها الله ليست مماثلة لما يسمع من العبد وتلك هي كلام الله المسموع منه عندهم . كما ان اهل السنة يقولون الذي تكلم هو الله بمشيئته وليس ذلك مماثلا لصوت العبد . واما القائلون بعدم الكلام المعين سواء كان معنى او حروفا او اصواتا فيقولون خلق لموسى ادراكا ادرك به ذلك القديم . وبكل حال فكلام المتكلم اذا سمع من المبلغ عنه (١) فكيف يكون ذلك في كلام الله تعالى

(١) قد سقط من النسخ هنا خبر « فكلام المتكلم » وبعلم مما سبق وهو ان مقام بنفس المبلغ غير مقام بنفس المتكلم المنشئ . للكلام ولاكنه منه لئلا يكون كلامه شر ، وبه يظهر قوله فكيف يكون ذلك في كلام الله تعالى ؟ يعني وهو لا يماثل كلام البشر

فيجب على الانسان في مسألة الكلام ان يتحرى اصلين : أحدهما ، تكلم الله بالقرآن وغيره ، هل تكلم به . بثبوت وقدرته أم لا ؟ وهل تكلم بكلام قائم بذاته أم خلقه في غيره ؟ (وإثاني) بتبليغ ذلك الكلام عن الله وأنه ليس مما يتصف به الثاني وان كان المقصود بالتبليغ الكلام المبلغ . وبسط هذا له موضع آخر وأيضاً فهذان المتنازعان اذا قال احدهما انها قديمة وليس لها مبتدأ وشكها ، ونقطها محدث ، وقال الآخر انها ليست بكلام الله وانها مخلوقة بشكلها ونقطها ، قد يفهم من هذا انها اراد بالحروف المكتوبة دون المنطوقة ، والحروف المكتوبة قد تنازع الناس في شكلها ونقطها ، فان الصحابة لما كتبوا المصاحف كتبوها غير مشكولة ولا منقوطة لانهم انما كانوا يعتمدون في القرآن على حفظه في صدورهم لا على المصاحف ، وهو منقول بالتواتر محفوظ في الصدور ، ولو عدت المصاحف لم يكن المسلمين بها حاجة ، فان المسلمين ليسوا كلهم الكتاب الذين يعتمدون على الكتب التي تقبل التغير ، والله أنزل القرآن على محمد فتأمله تلقياً وحفظه في قلبه ، لم ينزله مكتوباً كالتوراة ، وأنزله منجماً مفرقاً ليحفظ فلا يحتاج الى كتاب . كما قال تعالى (وقلوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) الآية ، وقال تعالى (وقرآنا فرقناه) الآية ، وقال تعالى (ولا تعجل بالقرآن) الآية . وقال تعالى (ان علينا جمعه وقرآنه) الآية . وفي الصحيح عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان يحرك شفثيه ، فقال ابن عباس : أنا أحر كمأ لك كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحركهما ، فحرك شفثيه ، فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال فاستمع له وأنصت (ثم ان علينا بيانه) أي نبينه بلسانك . فكان النبي ﷺ اذا أتاه جبريل استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقره ، فلهذا لم تكن الصحابة ينقطون

المصاحف ويشكلونها ، وأيضاً كانوا عرباً لا يلحنون فلم يحتاجوا إلى تقييدها بالنقط ، وكان في اللفظ الواحد قراءتان يقرأ بالياء والتاء مثل : يعملون ، وتعملون . فلم يقيدوه بأحدهما لينعوه من الآخرة . ثم إنه في زمن التابعين لما حدث اللحن صار بعض التابعين يشكل المصاحف وينقطها ، وكانوا يعملون ذلك بالخرقة ، ويعملون الفتح بنقطة حراء فوق الحرف ، والكسرة بنقطة حراء تحته ، والضمّة بنقطة حراء أمامه . ثم مدوا النقطة وصاروا يعملون الشدة بقولك شد . ويعملون المدة بقولك مد ، وجعلوا علامة الهمزة تشبه العين لأن الهمزة أخت العين . ثم خففوا ذلك حتى صارت علامة الشدة مثل رأس السين وعلامة المدة مختصرة كما يختصر أهل الديوان الفاظ العدد وغير ذلك ، وكما يختصر المحدثون أخبرنا وحدنا فيكتبون أول اللفظ وآخره على شكل أنا وعلى شكل ثنا .

وتنازع العلماء هل يكره تشكيل المصاحف وتنقيطها ؟ على قولين معروفين وهما روايتان عن الإمام أحمد ، لكن لا نزاع بينهم أن المصحف إذا شكل ونقط وجب احترام الشكل والنقط كما يجب احترام الحرف ولا تنازع بينهم أن مداد النقطة والشكل مخلوق كما أن مداد الحرف مخلوق ، ولا نزاع بينهم أن الشكل يدل على الأعراب والنقط يدل على الحروف وأن الأعراب من تمام الكلام العربي ويروى عن أبي بكر وعمر أنهما قالاً : حفظ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه . ولا ريب أن النقطة والشكل بمجردهما لا حكم لهما ولا حرمة ولا ينبغي أن يجرّد الكلام فيهما . ولا ريب أن إعراب القرآن العربي من تمامه ويجب الاعتناء بأعرابه . والشكل يبين إعرابه كما تبين الحروف المكتوبة للحرف المنطوق ، كذلك يبين الشكل المكتوب للأعراب المنطوق .

فهذه المسائل إذا تصورها الناس على وجهها تصوراً تاماً ظهر لهم الصواب ، وقلت الأهواء والعصبيات ، وعرفوا موارد النزاع ، فمن تبين له الحق في شيء من

ذلك اتبعه ومن خفي عليه توقف حتى بينه الله له ، وينبغي له أن يستعين على ذلك بالدعاء لله ، ومن احسن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »

وأقول : القائل الآخر كلامه كتب بها يقتضي انه أراد بالحروف ما يتناول المنطوق والمكتوب كما قال النبي ﷺ « من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات ، أما أني لا أقول الم حرف ، ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف » قال الترمذي : حديث صحيح . فهنا لم يرد النبي ﷺ بالحرف نفس المداد وشكل المداد وإنما اراد الحرف المنطوق . وفي مراده بالحرف قولان : قيل هذا اللفظ المفرد . وقيل أراد ﷺ بالحرف الاسم كما قال ألف حرف ولام حرف وميم حرف . ولفظ الحرف والكلمة له في لغة العرب التي كان النبي ﷺ يتكلم بها معنى ، وله في اصطلاح النحاة معنى . فالكلمة في لغتهم هي الجملة التامة ، الجملة الاسمية أو الفعلية ، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته « كُتِبَ اَنْ خَفِيتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » وقال ﷺ « ان أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وقال « ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب له بها رضوان الله الى يوم القيامة ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب له بها سخطه الى يوم القيامة » وقال لام المؤمنين (١) « لقد قلت بعدك اربع كلمات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن ، سبحان الله

(١) امل اسمها نقط من الناسخ وهي صفة (رض)

عدد خلقه ، سبحانه الله رضاء نفسه ، سبحانه الله زنة عرشه ، سبحانه الله مداد كلماته » ومنه قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) وقوله (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وقوله تعالى (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله) وقوله (وجعلنا كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقوله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا) وقول النبي ﷺ « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ونظائره كثيرة ، ولا يوجد قط في الكتاب والسنة وكلام العرب لفظ الكلمة إلا والمراد به الجملة التامة . فكثير من النحاة أو أكثرهم لا يعرفون ذلك بل يظنون ان اصطلاحهم في مسمى الكلمة ينقسم الى اسم وفعل وحرف هو لغة العرب ، والفاضل منهم (١) يقول * وكلمة بها كلام قديم * ويقولون : العرب قد تستعمل الكلمة في الجملة التامة وتستعملها في المفرد ، وهذا غلط لا يوجد قط في كلام العرب لفظ الكلمة إلا للجملة التامة

ومثل هذا اصطلاح المتكلمين على ان القديم هو مالا أول لوجوده أو مالم يسبقه عدم ، ثم يقول بعضهم وقد يستعمل القديم في المتقدم على غيره سواء كان أزليا أو لم يكن كما قال تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وقال (وإذا لم يبتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) وقوله تعالى (قلوا تالله انك في ضلالك القديم) وقال (أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) وتخصيص القديم بالاول عرف اصطلاحى ، ولا ريب انه أولى بالقدم في لغة العرب ، ولهذا كان لفظ المحدث في لغة العرب بازاء القديم ، قال تعالى (ما يأتيتهم من ذكر ربهم محدث) وهذا يقتضي ان الذى نزل قبله ليس بمحدث بل متقدم . وهذا موافق للغة العرب الذى نزل بها القرآن ، ونظير هذا

(١) هو ابن مالك صاحب الألفية المشهورة رحمه الله

لفظ القضاء فانه في كلام الله وكلام الرسول المراد به اتمام العبادة وإن كان ذلك في وقتها كما قال تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقوله (فاذا قضيت مناسككم) ثم اصطالح طائفة من الفقهاء فجعلوا لفظ القضاء مختصاً بفعلها في غير وقتها ، ولفظ الاداء مختصاً بما يفعل في الوقت ، وهذا التفريق لا يعرف قط في كلام الرسول ، ثم يقولون قد يستعمل لفظ القضاء في الاداء فيجعلون اللغة التي نزل القرآن بها من النادر ، ولهذا يتنازعون في مراد النبي ﷺ « فما أدر كنتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا » وفي لفظ « فأتموا » فيظنون ان بين اللفظين خلافا وليس الامر كذلك بل قوله « فاقضوا » كقوله « فأتموا » لم يرد بأحدهما الفعل بعد الوقت ، بل لا يوجد في كلام الشارع أمر بالعبادة في غير وقتها ، لكن الوقت وقتان : وقت عام ووقت خاص لاهل الاعذار كالنائم والناسي اذا صليا بعد الاستيقاظ والذكر فنما صايا في الوقت الذي أمر الله به ، وان هذا ليس وقتا في حق غيرهما .

ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله ان ينسأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحملة على تلك اللغة التي اعتادها . وما ذكر في مسمى الكلام مما ذكر دسيويه في كتابه عن العرب فقال واعلم ان (قلت) في كلام العرب انما وقعت على أن تحكى وانما تحكى بعد القول ما كان كلاما قولاً وإلا فلا يوجد قط لفظ الكلام والكامة الا للجملة التامة في كلام العرب ، ولفظ الحرف يراد به الاسم والفعل وحروف المعاني واسم الحروف الهجاء ، ولهذا سال الخليل اصحابه : كيف تنطقون بالزاي من زيد؟ فقلوا : زاي فقال نطقتم بالاسم ، والحرف زه^١ فبين الخليل ان هذه التي تسمى حروف الهجاء هي اسماء

(١) الهاء في قوله زه - سا كنة زيدت لاجل الوقف ، وانما مسمى الحرف الاول من زيد « ز » بالفتح والعرب لا تقف على متحرك كما أنها لا تتبدى بالنطق بساكن.

وكثيراً ما يوجد في كلام المتقدمين هذا حرف من الغريب يعبرون بذلك عن الاسم التام، فقوله صلى الله عليه وسلم «فله بكل حرف مثله» بقوله ^(١) «ولكن الف حرف ولا م حرف وميم حرف» وعلى نهج ذلك، وذلك حرف والكتاب حرف ونحو ذلك وقد قيل ان ذلك احرف والكتاب احرف وروي ذلك مفسراً في بعض الطرق والنحاة اصطلاحوا اصطلاحاً خاصاً فجعلوا لفظ الكلمة يراد به الاسم أو الفعل أو الحرف الذي هو من حروف المعاني، لأن سيبويه قل في أول كتابه: الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فجعل هذا حرفاً خاصاً، وهو الحرف الذى جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، لأن سيبويه كان حديث العهد بلغة العرب، وقد عرف انهم يسمون الاسم أو الفعل حرفاً، فقيّد كلامه بأن قل: ونقسموا الكلام إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وأراد سيبويه أن الكلام ينقسم إلى ذلك قسمة الكل إلى أجزائه لا قسمة الكل إلى جزئياته كما يقول الفقهاء بأن القسمة كما يقسم العقار والمنقول بين الورثة فيعطى هؤلاء قسم غير قسم هؤلاء، كذلك الكلام هو مؤلف من الأسماء والأفعال وحروف المعاني فهو مقسوم إليها. وهذا التقسيم غير تقسيم الجنس إلى أنواعه كما يقال الاسم ينقسم إلى معرب ومبني، وجاء الجزولي وغيره فاعترضوا على النحاة في هذا ولم يفهموا كلامهم فقالوا كل جنس قسم إلى نوعه أو أشخاص نوعه، قسم القسوم صادق على الأنواع والأشخاص والا فليست أقساماً له، وأراد بذلك الاعتراض على قول الزجاج: الكلام اسم وفعل وحرف. والذي ذكره الزجاج هو الذي ذكره سيبويه وسائر أئمة النحاة وأرادوا بذلك القسمة الأولى المعروفة وهي قسمة الأمور الموجودة إلى أجزائها كما يقسم العقار والمال. ولم يريدوا بذلك قسمة الكليات التي لا توجد كليات إلا في الذهن، كقسمة الحيوان إلى ناطق وبهيمة، وقسمة الاسم إلى العرب والعجم. فنقسم هنا هو معنى علمي كلي لا يكون كلياً إلا في الذهن

كما في الأصل الذي طبيناه عنه. ولفظ الحديث «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، الحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن أقول: الف حرف، ولا م حرف، وميم حرف» أخرجه الترمذي وصححه

فصل

ولفظ الحرف يراد به حروف المعاني التي هي قسيمة الاسماء والافعال ، مثل حروف الجر والجزم ، وحرفي التنفيس ، والحروف المشبهة للافعال مثل ان وأخواتها ، وهذه الحروف لها أقسام معروفة في كتب العربية كما يقسمونها بحسب الاعراب الى ما يختص بالاسماء والى ما يختص بالافعال ، ويقولون ما اختص باحد النوعين ولم يكن كالجزء منه كان عاملاً كما تعمل حروف الجر وان وأخواتها في الاسماء ، وكما تعمل النواصب والجوازم في الافعال . بخلاف حرف التعريف وحرفي التنفيس كالسين وسوف فهما لا يعملان لانهما كالجزء من الكلمة ، ويقولون كان القياس في « ما » انها لا تعمل لانها تدخل على الجمل الاسمية والفعلية ، ولكن أهل الحجاز أعملوها لمشايتها ليس وباقتهم جاء القرآن في قوله (ماهذا بشراً * ماهن امهاتهم) ويقسمون الحروف باعتبار معانيها الى حروف استفهام وحروف نفي وحروف تخصيص وغير ذلك ، ويقسمونها باعتبار بنيتها كما تقسم الافعال والاسماء الى مفرد وثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي . فسم الحرف هنا منقول عن اللغة الى عرف النحاة بالتخصيص ، والا فلفظ الحرف في اللغة يتناول الاسماء والحروف والافعال ، وحروف الهجاء تسمى حروفاً وهي أسماء كالخروف المذكورة في أوائل السور لان مسماها هو الحرف الذي هو حرف الكلمة .

وتقسم تقسيماً آخر الى حروف حلقية وشفهية والمذكورة في أوائل السور في القرآن هي نصف الحروف واشتملت من كل صنف على أشرف نصفه : على نصف الحلقية والشفهية والمطبقة والمصمتة ، وغير ذلك من أجناس الحروف

فإن لفظ الحرف أصله في اللغة هو الحد والطرف كما يقال حروف الرغيف وحروف الجبل ، قال الجوهري : حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ، ومنه

حرف الجبل وهو اعلاه المحدد ، ومنه قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف - الى قوله - والآخرة) فمن طرف الشيء اذا كان الانسان عليه لم يكن مستقرا فلماذا كان من عبد الله على السراء دون الضراء عابدا له على حرف تارة يظهره وتارة ينقلب على وجهه كالواقف على حرف الجبل ، فسميت حروف الكلام حروفا لانها طرف الكلام وحده ومنتهاه ، اذ كان مبدأ الكلام من نفس المتكلم ومنتهاه حده وحرفه القائم بشفيتيه ولسانه ، ولهذا قال تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) فلفظ الحرف يراد به هذا وهذا وهذا .

ثم اذا كتب الكلام في المصحف سمو اذلك حرفا فيراد بالحرف الشكل المخصوص والكلامه شكل مخصوص هي خطوطهم التي يكتبون بها كلامهم ، ويراد به المادة ويراد به مجموعهما ، وهذه الحروف المكتوبة تطابق الحروف المنطوقة وتبينها وتدل عليها فسميت باسمائها اذ كان الانسان يكتب اللفظ بقلمه ، ولهذا كان اول ما انزل الله على نبيه (اقرأ باسم ربك الذي خلق - الى قوله - ما لم يعلم) فبين سبحانه في أول ما أنزله انه سبحانه هو الخالق الهادي الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، كما قال موسى (ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فان الخالق يتناول كل ما سواه من المخلوقات ثم خص الانسان فقال (خالق الانسان من عاق) ثم ذكر انه علم فان الهدى والتعليم هو كمال المخلوقات

والعلم له ثلاث مراتب : علم بالجنان ، وعبارة باللسان ، وخط بالبنان (١) ولهذا قيل ان لكل شيء أربع وجودات : وجود عيني وعلمي ولفظي ورسمي ، وجود في الاعيان ، ووجود في الازدهان ، واللسان والبنان ، لكن الوجود العيني هو وجود الموجودات

(١) المر بتان الاوليان مما فطر عليه الانسان ، والثالثة وهي الخط صناعة استحدثها من قديم الزمان ، وقد استحدثت في هذا الزمان صناعات أخرى وهي نقل الكلام بالآلات الكهربائية كالنقاراف السلكي والنقاراف الهوائي والواح الالة التي تسمى (فونوغراف) ويدخل هذا في عموم قوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم)

في انفسها والله خالق كل شيء ، واما الذهني الجنائي فهو العلم بها الذي في القلوب ،
والعبارة عن ذلك هو اللساني ، وكتابة ذلك هو الرسمي البنائي ، وتعليم الخط يستلزم
تعليم العبارة واللفظ وذلك يستلزم تعليم العلم فقل (علم بالقلم) لان التعليم بالقلم
يستلزم المراتب الثلاث ، واطلق التعليم ثم خص فقال (علم الانسان ما لم يعلم)
وقد تنازع الناس في وجود كل شيء ، هل هو عين ماهيته ام لا . وقد بسط
الكلام على ذلك في غير هذا الموضع ، وبين ان الصواب من ذلك انه قد يراد
بالوجود ما هو ثابت في الاعميان ، ليس هو ماهيتها المتصورة في الاذهان . لكن الله
خلق الوجود الثابت في الاعميان وعلم الماهيات المتصورة في الاذهان ، كما انزل بيان
ذلك في اول سورة انزلها من القرآن . وقد يراد بالوجود والماهية كليهما ما هو
متحقق في الاعميان ، وما هو متحقق في الاذهان ، فإذا اريد بهذا وهذا ما هو متحقق
في الاعميان او ما هو متصور في الاذهان ، فليس هما اثنين (١) بل هذا هو هذا .
وكذلك الذهن اذا تصور شيئا فتلك الصورة هي المثال الذي تصورهما وذلك
هو وجودها الذهني الذي تصوره الازمان . فهذا فصل الخطاب في هذا الباب
ومن تدبر هذه المسائل وامثالها تبين له ان اكثر اختلاف العقلاء من جهة
اشتراك الاسماء (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) . وقد بسط الكلام على
اصول هذه المسائل وتفصيلها في مواضع اخرى . فان الناس كثير نزاعهم فيها حتى
قيل : مسألة الكلام ، حيرت عقول الانام . ولكن سؤال هذين لا يشمل البسط
الكثير فانهما يسألان بحسب ما سمعاه واعتقدها وتصورها ، فاذا عرف السائل اصل
مسألته ولوازمها وما فيها من الالفاظ الجملة والمعاني المشبهة تبين له ان من الخلق
من تكلم في مثل هذه الاسماء بالنفي والاثبات من غير تفصيل فلا بد له ان
يقابله آخر بمثل اطلاقه

(١) كانت في الاصل (في الايمان) ولا يمكن المعنى بها ظاهراً

ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان : نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبتته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله ، فاللفظ الذي أثبتته الله، أو نفاه (١) فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل والألفاظ الشرعية لها حرمة . ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبتته وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدق في كل ما أخبر، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر، ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والایمان، وقد قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فلهذه ليس على أحد أن يوافق من نقاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده ، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره . ثم التعبير عن تلك المعاني أن كان في ألفاظه اشتباه أو اجمال عبر بغيرها أو بين مراده بها، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي، فإن كثير من نزاع الناس سببه الألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة ، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق اللفاظ ونفيها ، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلا عن أن يعرف دليله، ونوع عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئا بل يكون في قوله نوع من الصواب ، وقد يكون هذا مصيبا من وجه وهذا مصيبا من وجه ، وقد يكون الصواب في قول ثالث .

وكثير من الكتب المصنفة في أصول العلوم الدين وغيرها تجرد الرجل المصنف فيها في المسألة العظيمة كمسألة القرآن والرؤية والصفات والمعاد وحدوث العالم وغير ذلك يذكر أقوالا متعددة . والقول الذي جاء به الرسول وكان عليه

(١) كذا في الأصل وقد سقط منه الخبر الذي يتم به الكلام ويعلم من القرينة وما بعده وهو : لا يكون إلا حقا في إثباته ونفيه

سلف الامة ليس في تلك الكتب ولا عرفه مصنفوها ولا شعروا به ، وهذا من أسباب تأكيد التفريق والاختلاف بين الامة وهو مما نهيته الامة عنه ، كما في قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة . وقد قال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله) وقال تعالى (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) وقد خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يتنازعون في القدر ، وهذا يقول ألم يقل الله كذا؟ وهذا يقول ألم يقل الله كذا؟ فقال « أبهذا أمرتم ؟ أم إلى هذا دعيتم ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا : أن ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، انظروا ما أمرتم به فافعلوه ، وما نهيتهم عنه فاجتنبوه » ومما أمر الناس به أن يعملوا بمحكم القرآن ويؤمنوا بمتشابهه

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وقد كتب في أصول هذه المسائل قواعد متعددة وأصول كثيرة ، ولكن هذا الجواب كتب وصاحبه مستوفز في قسدة واحدة ، والله تعالى يهدينا وسائر اخواننا لما يحبه ويرضاه . والحمد لله رب العالمين

فصل

في بيان أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم ليس شيء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرها ، قال الله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون * وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)

فأمره أن يقول (نزله روح اقدس من ربك بالحق) والضمير في قوله (نزله) ، عائذ على (ما) في قوله (بما ينزل) فالمراد به القرآن كما يدل عليه سياق الكلام وقوله (والله أعلم بما ينزل) فيه اخبار بأنه أنزله ، لكن ليس في هذه اللفظة بيان ان روح القدس نزل به ولا انه منزل منه .

ولفظ الانزال في القرآن قد يرد مقيداً بالانزال منه كنزول القرآن ، وقد يرد مقيداً بالانزال من السماء ويراد به العلو ، فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك . وقد يرد مطلقاً فلا يختص بنوع من الانزال بل ربما يتناول الانزال من رؤوس الجبال كقوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) ولانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك فقوله (نزله روح القدس من ربك) بيان لنزول جبريل به من الله عز وجل ، فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله تعالى (من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) وهو الروح الامين كما في قوله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به روح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وفي قوله الامين دلالة على انه مؤتمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص ، فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال تعالى في صفته في الآية الاخرى (انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاعاً ثم أمين)

وفي قوله (منزل من ربك) دلالة على امور : منها بطلان قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه في جسم من الاجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من المعتزلة والبخارية والضرارية وغيرهم ، فان السلف كانوا يسمون كل من نفي الصفات وقال ان اقرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة جهمياً ، فان جهماً اول من ظهرت عنه بدء نفي الاسماء والصفات ، وبالغ في نفي ذلك ، فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة إظهار ذلك

والدعوة اليه ، وان كان الجعد بن درهم قد سبقه الى بعض ذلك ، فان الجعد أول من أحدث ذلك في الاسلام فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر ، وقال « يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً » ثم نزل فذبجه ، ولكن المعتزلة إن وافقوا جهماً في بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك ، كمسائل الايمان والقدر وبعض مسائل الصفات أيضاً . ولا يبالغون في النفي مباالغته ، وجهم يقول ان الله لا يتكلم . أو يقول انه متكلم بطريق المجاز ، وأما المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم ، وجهم ينفي الاسماء أيضاً كما نفى الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة ، وأما جمهور المعتزلة فلا تنفي الاسماء .

فالقصود ان قوله (منزل من ربك) فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات . ولهذا قال السلف : منه بدأ ، أي هو الذي تكلم به لم يبتدي . من غيره كما قال الخلقية .

ومنها ان قوله (منزل من ربك) فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره (١) كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة . وهذا القول أعظم كفراً وضلالاً من الذي قبله ، ومنها ان هذه الآية أيضاً تبطل قول من قال ان القرآن العربي ليس منزلاً

(١) هذا يشبه قول بعض فلاسفة اوربة ان وحي الانبياء يفيض من أنفسهم في أحوال مخصوصة تستولي عليها وتستغرق ادراكها ووجدانها كاستيلاء كراهة الوثنية على نبينا صلوات الله عليه . ويرده ان الوحي لا يلهي لم يكن مقصوراً على إبطال الوثنية وخرافاتها وانبات التوحيد وما يناسبه من العبادات والفضائل ، بل فيه من اخبار الغيب الماضية والآتية ومن الحكمة واصول التشريع مالا يعقل ان يكون نابعا من نفس رجل امي ولا متعلم . وانما يعقل ان يكون وحياً من عالم الغيب والشهادة

من الله بل مخلوق إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما ، كما يقول ذلك الكلائية والاشعرية الذين يقولون : القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القسائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ، ثم إما أن يكون خلق في بعض الاجسام : الهواء أو غيره ، أو ألهمه جبريل فعبّر عنه بالقرآن العربي ، أو ألهمه محمد فعبّر عنه بالقرآن العربي ، أو يكون جبريل أخذه من اللوح المحفوظ أو غيره

فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول ، فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولاً قبل أن يصل إلينا. وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي ، وكذلك التوراة العبرية ، ويفارقه من وجهين : أحدهما أن أولئك يقولون أن المخلوق كلام الله وهم يقولون أنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازاً هذا قول ، أثمهم وجهورهم . وقال طائفة من متأخريهم : بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي ، لكن لفظ هذا الكلام ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير التكلم به ، ومع هذا لا يقولون أن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع قولهم أنه كلام حقيقة ، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله وهو كلام حقيقة ، وهذا شر من قول المعتزلة . وهذا حقيقة قول الجهمية . ومن هذا الوجه نقول : المعتزلة أقرب . وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة ، لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء ، وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني أن هؤلاء يقولون : لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته ، والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام ، ومن هذا الوجه الكلائية خير من الخلقية في الظاهر ، لكن جمهور الناس يقولون أن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلامه حقيقة غير المخلوق ، فإنهم يقولون أنه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر ، إن عبّر عنه بالعبرية كان قرآناً ، وإن عبّر عنه بالعبرية كان توراة . وإن عبّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . ومنهم من قال هو خمس معان

وجهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء الكثيرون لا يتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطئ واتفاق كما في الاخبار المتواترة ، وأما مع التواطئ فقد يتفقون على الكذب عمداً ، وقد يتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولم يفهم حقيقة القول الذي يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله ومحبه ليصير (١) ذلك اقول كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة

وقال جمهور العقلاء : نحن اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معاني هذا ليست معاني هذا (٢) وكذلك معنى (قل هو الله احد) ليس هو معنى (تبت يدا ابي لهب) ولا معنى آية الكرسي معنى آية الدين ، وقالوا اذا جوزتم ان تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة . فاعترف ائمة هذا القول بان هذا الالتزام ليس لهم عنه جواب عقلي

ثم منهم من قال الناس في الصفات اما مثبت لها قائل بالتعدد واما ناف لها ، واما اثباتها واتحادها فخلافاً للاجماع ، وهذه طريقة القاضي ابي بكر وابي المعالي وغيرهما . ومنهم من اعترف بانه ليس له عنه جواب كأبي حسن الآمدي وغيره والمقصود هنا ان هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما ثبت بطلان غيره فان قوله (نزله روح القدس من ربك) يقتضي نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه . بدليل قوله (فاذا قرأت القرآن) وانما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المحددة . وايضا فضمير المفعول في قوله (نزله)

(١) كذا في الاصل ولعله لنصر ذلك القول

(٢) ياض بالاصل قليل ، يظهر انه موضع شاهد كالشواهد التي بعده

عائد الى (ما) في قوله (والله اعلم بما ينزل) فالذي انزله الله هو الذي نزله روح القدس ، فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم ان يكون نزله من الله ، فلا يكون شيء منه نزله من عين من الاعدان المخلوقة ولا نزله من نفسه

وايضاً فانه قال عقب هذه الآية (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي) الآية . وهم كانوا يقولون انما يعلمه هذا القرآن العربي بشر ، لم يكونوا يقولون انما يعلمه بشر معانيه فقط ، بدليل قوله (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين) فانه تعالى أبطل قول الكفار بان لسان الذي ألحدوا اليه فجعله هو الذي يعلم محمداً القرآن لسان اعجمي ، واقرآن لسان عربي مبين . فلو كان الكفار قلوبا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم ، فان الانسان قد يتعلم من الاعجمي شيئاً بلغة ذلك الاعجمي ويعبر عنه بعباراته . وقد اشتهر في التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلمه من شخص كان بمكة اعجمي ، قيل انه كان مولى لابن الحضرمي

واذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك اعجمي وهذا لسان عربي مبين ، علم ان روح القدس نزل باللسان العربي المبين ، وان محمداً لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس ، واذا كان روح القدس نزل به من الله ، علم انه سمعه منه ولم يؤلفه هو ، وهذا بيان من الله ان القرآن الذي هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله ، وكذلك قوله (هو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلاً) الآية والكتاب اسم للكلام العربي بالضرورة والاتفاق ، فان الكلاية او بعضهم يفرق بين كلام الله وكتاب الله ، فيقول كلام الله هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق ، وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو المخلوق ، والقرآن يراد به تارة هذا وتارة هذا ، والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآناً وكتاباً وكلاماً ، فقال تعالى

(تلك آيات القرآن وكتاب مبين) وقال (طسم * تلك آيات الكتاب المبين)
 وقال (واذا صرفنا إليك نفراً من الجن) الآية ، فيبين ان الذي سمعوه هو القرآن
 وهو الكتاب وقل (بل هو قرآن) الآية ، وقال (انه لقرآن كريم) الآية وقال
 (يتلو صحفا) الآية . وقال (والطور) الآية . وقال (ولو نزلنا عليك كتابا)
 الآية . لكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به
 ما يكتب فيه كقوله (انه لقرآن كريم) الآية . وقال (ونخرج له يوم القيامة
 كتابا) الآية

والمقصود هنا ان قوله (وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا) يتناول
 نزول القرآن العربي على كل قول . وقد اخبر أن (الذين آتاهم الكتاب يعلمون انه
 منزل من ربك بالحق) إخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم . وقال انهم يعلمون
 ذلك لم يقل انهم يظنونوه او يقولونه ، والعلم لا يكون الا حقا مطابقا للعلوم بخلاف القول
 والظن الذي ينقسم الى حق وباطل ، فلم ان القرآن العربي ينزل من الله لا من الهواء ولا
 من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا محمد ولا غيرهما ، واذا كان أهل
 الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك
 خيرا منه من هذا الوجه

وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله (إنا أنزلناه
 في ليلة القدر) انه أنزله الى بيت العزة من السماء الدنيا . ثم أنزله بعد ذلك منجما
 مفرقا بحسب الحوادث ، ولا ينافي انه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله ، كما قال
 تعالى (بل هو قرآن مجيد) الآية . وقال (انه لقرآن كريم) الآية ، وقال (انها
 تذكرة) الآية ، وقال (وانه في أم الكتاب) الآية ، وكونه مكتوبا في اللوح المحفوظ
 وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء
 كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو غير ذلك ، واذا كان قد أنزله مكتوبا الى

بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله ، والله تعالى يعلم ما كان وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، وهو سبحانه قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوه ، كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة وآثار السلف . ثم انه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها ، فيقابل من الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنها فلا يكون بينهما تفاوت . هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف وهو حق ، فإذا كان ما يخلفه ثابتا عنه قبل كتبه أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به .

ومن قال ان جبريل أخذ القرآن عن الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه : منها أن يقال : ان الله تعالى كتب التوراة لموسى بيده فبنوا اسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه فيه (١) فان كان محمد أخذه من جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل أعلا من محمد بدرجة ، ومن قال انه ألقى الى جبريل معاني وأن جبريل عبر عنها بالكلام العربي ، فقوليه يستلزم أن يكون جبريل أهمه إلهاما ، وهذا الإلهام يكون لآحاد المؤمنين كما قال تعالى (وإذ أوحيت الى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي) وقال (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) وقد أوحى الى سائر النبيين ، فيكون هذا الوحي الذي لا يكون لآحاد الانبياء والمؤمنين أعلا من أخذ محمد القرآن عن جبريل لان جبريل الذي علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء ، ولهذا زعم ابن عربي ان خاتم الاولياء أفضل من ختم الانبياء ، قال : لانه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول . فجعل أخذه وأخذ الملك الذي جاء الى الرسول من معدن واحد ، وادعى ان أخذه عن الله أعلا من أخذ الرسول للقرآن ، ومعلوم أن هذا من أعظم الكفر ، وإن هذا القول من جنسه

(١) الذي عندهم ان الذي كتبه الله في الألواح هو الوصايا العشر لا كل ما يسمونه التوراة

وأيضاً فאלله تعالى يقول (إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح) الآية .
 ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن أوحى اليهم . وهذا يدل على أمور: على ان الله
 يكلم عبده تكلماً زائداً على الوحي الذي هو قسم التكليم الخاص ، فان لفظ
 التكليم والوحي كل منهما ينقسم الى عام وخاص ، والتكليم العام هو المقسوم في
 قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً) الآية . والتكليم المطلق هو قسم
 الوحي الخاص ليس قسماً منه ، وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاماً فيدخل فيه
 التكليم الخاص كما في قوله لموسى (فاستمع لما يوحى) وقد يكون قسم التكليم
 الخاص كما في سورة الشورى . وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم
 بالذات ، فانه حينئذ لا فرق بين التكليم الذي خص به موسى ، والوحي العام الذي
 هو لا حاد العباد ، ومثل هذا قوله في الآية الأخرى (وما كان لبشر أن يكلمه الله
 الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) فانه فرق بين
 الإيحاء وبين التكليم وراء من حجاب وبين ارسال الرسول يوحى باذنه ما يشاء ،
 فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الإيحاء
 وأيضاً فقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) وقوله (هم تنزيل
 الكتاب من الله العزيز الحكيم) وقوله (هم تنزيل من الرحمن الرحيم) وامثال ذلك
 يدل على انه منزل من الله لا من غيره . وكذلك قوله تعالى (بلغ ما انزل اليك
 من ربك) فانه يدل على انه مبلغ ما انزل اليه من ربه وانه مأثور بتبليغ ذلك
 وأيضاً فهم يقولون انه معنى واحد فان كان موسى سمع جميع المعنى فقد
 سمع جميع كلام الله ، وان كان سمع البعض فقد استمع بعضه فقد تبع بعض ، وكلاهما
 ينقض قولهم ، فانه هم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبع بعض . فان كان
 ما سمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع كلام الله
 وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع امره فيلزم ان يكون كل واحد ممن كله الله

هو أنزل عليه شيئاً في كلامه عالماً بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة. وإن كان الواحد من هؤلاء إنما سمع بعضه فقد تبع بعض كلامه وذلك يناقض قولهم

وأيضاً فقوله (وكلم الله موسى تكليماً) وقوله (ولما جاء موسى لميقاتنا) وقوله تعالى (وناديناه من جانب الطور الايمن) وقوله (فلما اتاها نودي) الآيات دليل على تكليم موسى. والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة. ومن قال انه يسمع فهو مكابر - ودليل أنه ناداه والنداء لا يكون الا صوتاً مسموعاً لا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازاً. وقد قال تعالى (فلما جاءها نودي ان بورك سن في البار - الى قوله - رب العالمين)

وأيضاً فقوله (فلما اتاها نودي يا موسى اني انار بك) وفي هذا دليل على انه حينئذ نودي ولم يناد قبل ذلك و(لما) فيها من معنى الظرف ، كافي قوله (وانه لما قام عبد الله يدعوه) ومثل هذا قوله (ويوم يناديهم فيقول اين شرائي الذين كنتم تزعمون) (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) فان النداء وقت بظرف محدود ، فدل على ان النداء يقع في ذلك الحين دون غيره وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء إلا فيه ومثل هذا قوله تعالى (واذا قل ربك الملائكة اني جاعل في الارض خليفة) وقوله (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وامثال ذلك مما فيه توقيت بعض اقوال الرب بوقت معين فان السكانية ومن وافقهم من اصحاب الائمة الاربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل الكلام المعين لازم لذاته كزوم الحياة لذاته ، ومن هؤلاء من قال انه معنى واحد لان الحروف والاصوات متعاقبة يمتنع ان تكون قديمة. ومنهم من قل بل الحروف والاصوات قديمة الاعيان وانها مترتبة في مقارنة وجودها لم تزل ولا تزال قائمة بذاته

ومنها من قال بل الحروف قديمة الاعدان بخلاف الاصوات ، وكل هؤلاء يقولون ان التكليم والنداء ليس إلا مجرد خلق إدراك في المخلوق بحيث يسمع ما لم يزل ولا يزال لا انه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم بكلام الله بمشيئته وقدرته ، بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعاً لما كان موجوداً قبل سماعه بمنزلة ما يجعل الاعى بصيراً لما كان موجوداً قبل رؤيته من غير إحداث شيء منفصل عنه ، وعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم ، لا انه حينئذ نودي ، ولهذا يقولون انه يسمع كلامه لخلقه بدل قول الناس يكلم خلقه ، وهؤلاء يردون على الخلقية الذين يقولون القرآن مخلوق ويقولون عن أنفسهم أنهم أهل السنة الموافقون للسلف الذين قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق وليس قولهم قول السلف لكن قولهم أقرب إلى قول السلف من وجه

أما كون قولهم أقرب فلا أنهم يشبّهون كلاماً قائماً بنفس الله وهذا قول السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه إلا ما خلقه في غيره ، فان قول هؤلاء مخالف لقول السلف . وأما كون الخلقية أقرب فلا أنهم يقولون ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته ، وهذا قول السلف ، وهؤلاء عندهم لا يقدر الله على شيء من كلامه فليس كلامه بمشيئته واختياره بل كلامه عندهم كحياته ، وهم يقولون الكلام عندنا صفة ذات لا صفة فعل ، والخلقية يقولون صفة فعل لا صفة ذات ، ومذهب السلف انه صفة فعل وصفة ذات معاً . فكل منهما موافق للسلف من وجه دون وجه .

واختلافهم في أفعاله ومسائل التقدير بنسبة اختلافهم في كلامه تعالى فن المعتزلة يقولون انه يفعل الحكمة مقصودة وإرادة الاحسان إلى العباد ، لكن لا يثبتون لفعله حكمة تعود اليه . وأوثك يقولون لا يفعل الحكمة ولا لمقصود أصلاً فأوثك أثبتوا حكمة لكن لا تقوم به ، وهؤلاء لا يثبتون له قصداً يتصف به

ولا حكمة تعود اليه . وكذلك في الكلام ، أولئك أثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به ، وهؤلاء يقولون ما لا يقوم به لا تعود حكمته اليه ، والفريقان يمنعون أن تقوم به حكمة مرادة له ، كما يمنع الفريقان أن يقوم به كلام وفعل يريده . وقول أولئك أقرب إلى قول السلف والفقهاء إذ أثبتوا الحكمة والمصلحة في أفعاله وأحكامه ، وأثبتوا كلاما يتكلم به بقدرته ومشئته ، وقول هؤلاء أقرب إلى قول السلف إذ أثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد الخلق المنفصل عنه الذي لم يقم به اصلا ، ولا يعود اليه حكم شيء لم يقم به ، فلا يكون متكلمًا بكلام لم يقم به ، ولا قديرًا بقدرته لم يقم به فكل من المعتزلة والاشعرية في مسائل كلام الله وأفعال الله وافقوا السلف واذنمة من وجهه وخالفوه من وجه ، وليس قول أحدهم قول السلف دون الآخر ، لكن الاشعرية في جنس مسائل الصفات واقدر أقرب إلى قول السلف والاذنمة من المعتزلة

(فن قيل) فقد قل تعالى (انه لقول رسول كريم) وهذا يدل على ان الرسول أحدث الكلام العربي (قيل) هذا باطل ، وذلك ان الله ذكر هذا في موضعين والرسول في أحد الموضعين محمد والرسول في الآية الاخرى جبريل ، قل تعالى في سورة الحاقة (انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون) الآية ، فالرسول هنا محمد ﷺ ، وقل في سورة التكوين (انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين) فالرسول هنا جبريل ، فلو كان أضافه إلى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئًا لكان الخبران متناقضين ، فانه إن كان احدهما الذي أحدثه امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثها وأيضا فانه قل (لقول رسول كريم) ولم يقل لقول ملك ولا نبي ، ولفظ الرسول يستلزم مراسلته ، فدل ذلك على أن رسول مبلغ لعن مرسله لانه أنشأ منه شيئًا من جهة نفسه ، وهذا يدل على انه أضافه إلى الرسول لانه باغه وأداه ، لالانه أنشأ منه شيئًا وابتدأه

وأيضاً فإن الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله (انه فكر وقدّر * فقتل كيف قدر* (١) ومحمد بشر ، فمن قال انه قول محمد فقد كفر ، ولا يفرق بين أن يقول بشر أوجني أو ملك ، فمن جعله قولاً لأحد من هؤلاء فقد كفر ، ومع هذا فقد قال (انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر) فجعله قول الرسول البشري مع تكفيره من يقول انه قول البشر ، فعلم ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن مرسله ، لا انه قوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام الله تعالى الذي أرسله ، كما قال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فالذي بلغه الرسول هو كلام الله تعالى لا كلامه ، ولهذا كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالوقوف ويقول « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي فان قريباً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » رواه أبو داود وغيره ، والكلام كلام من قاله مبتدئاً لا كلام من قاله مبلغاً مؤدياً

وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض ، فسمع موسى سماع مطلق بلا واسطة ، وسمع الناس سماع مقيد بواسطة ، كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم الانبياء بإرسال رسوله اليهم ، والناس يعلمون ان النبي ﷺ اذا تكلم بكلام تكلم بحروفه ومعانيه بصوته ﷺ ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بجر كلهم وأصواتهم كما قال ﷺ « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه » فالمستمع منه مبلغ حديثه كما سمعه ، لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول ، فالكلام هو كلام الرسول تكلم به بصوته ، والمبلغ بلغ كلام رسول الله بصوت نفسه

(١) يعني الى قوله (ان هذا الا قول البشر)

وإذا كان هذا معلوماً في تبليغ كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك ،
ولهذا قال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)
وقال النبي ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » فجعل الكلام كلام الباري ، وجعل
الصوت الذي يقرؤه به العبد صوت القاري . وأصوات العباد ليست هي الصوت
الذي ينادي الله به ويتكلم به ، كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله ، فإن الله
تعالى (ليس كمثله شيء) لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ، فليس علمه مثل علم المخلوقين
ولا قدرته مثل قدرتهم ، ولا كلامه مثل كلامهم ، ولا نداؤه مثل ندائهم ، ولا
صوته مثل أصواتهم ، فن قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام
الله أو هو كلام غير الله فهو ملحد مبتدع ضال ، ومن قل إن أصوات العباد أو
المداد الذي يكتب به القرآن قديم أزلي فهو ملحد مبتدع ، بل هذا القرآن
هو كلام الله ، وهو مثبت في المصاحف وكلام الله مبلغ عنه ، مسموع من القراء
ليس مسموعاً منه ، فالإنسان يرى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة
ويراها في ماء أو مرآة ، فهذه رؤية مقيدة بالواسطة ، وتلك مطلقة بطريق المباشرة ،
ويسمع من المبلغ عنه بواسطة ، والمقصود بالسمع هو كلامه في الموضعين كما أن
المقصود بالرؤية هو المرئي في الموضعين ،

فن عرف ما بين الحالين من الاجتماع والافتراق والاختلاف والاتفاق زالت
عنه الشبهة التي تصيب كثيراً من الناس في هذا الباب ، فإن طائفة قالت هذا
المسموع كلام الله ، والمسموع صوت العبد وصوته مخلوق ، فكلام الله مخلوق . وهذا
جهل فانه مسموع من المبلغ ، ولا يلزم إذا كان صوت المبلغ مخلوقاً أن يكون نفس
الكلام مخلوقاً ، وطائفة قالت هذا المسموع صوت العبد وهو مخلوق والقرآن
ليس بمخلوق ، ولا يكون هذا المسموع كلام الله ، وهذا جهل ، فإن المخلوق هو
الصوت لا نفس الكلام الذي يسمع من المتكلم به ومن المبلغ عنه ، وطائفة قالت هذا

كلام الله وكلام الله غير مخلوق، فيكون هذا الصوت غير مخلوق. وهذا جهل. فانه إذا قيل هذا كلام الله فالشار اليه هو الكلام من حيث هو، وهو الثابت إذا سمع من الله وإذا سمع من المبلغ عنه. وإذا قيل لا مسموع انه كلام الله فهو كلام الله مسموعاً من المبلغ عنه لا مسموعاً منه، فهو مسموع بواسطة صوت العبد وصوت العبد مخلوق، وأما كلام الله منه فهو غير مخلوق حيث ما تصرف، وهذه نكت قد بسط الكلام فيها في غير هذا الموضع

فصل

فان قيل: ما منشأ هذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف؟ قيل: منشؤه هو الكلام الذي ذمه السلف وعبوه، وهو الكلام المشتبه المشتمل على حق وباطل، فيه ما يوافق العقل والسمع، وفيه ما يخالف العقل والسمع، فيأخذ هؤلاء جانب النقي المشتمل على نفي الحق والباطل، وهؤلاء جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق وباطل، وجماعه هو الكلام المخالف للكتاب والسنة واجماع السلف. فكل كلام خالف ذلك فهو باطل، ولا يخالف ذلك الا كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انه لما تناظرنا في مسألة حدوث العالم وإثبات الصانع استدلت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف الكلام على "بان ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، ثم إن المستدلين بذلك على حدوث الاجسام قلوا ان الاجسام لا تخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، ثم توسعت طرقهم في لادلة في المسئلة المتقدمة فتارة يثبتونها بان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان، وتارة يثبتونها بان الاجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق وهما حادثان. وتارة يثبتونها بان الاجسام لا تخلو عن الاكوان الاربعة: الاجتماع والافتراق والحركة والسكون،

١، يياض في الاصل والمعروف انهم استدلوا بما ذكر على قدم الصانع واجب الوجود

الاستدلال على حدوث العالم بملازمة الحوادث وامتناع حوادث لا أول لها ١٠٣

وهي حادثة. وهذه طرق المعتزلة ومن وافقهم على ان الاجسام قد تخلو عن بعض أنواع الاعراض، وتارة يثبتونها بان الجسم لا يخلو من كل جنس من الاعراض عن عرض منه، ويقولون ان الاعراض يمتنع بها ولا ان العرض لا يبقى زمانين، وهي الطريقة التي اختارها الامدي وزيف ماسواها، وذكر أن جمهور أصحابه اعتمدوا عليها، وقد وافقهم عليها طائفة من الفقهاء من أصحاب الائمة الاربعة كقاضي أبي يعلى والعويني والباجي وغيرهم

وأما الهشامية والكرامية وغيرهما من الطوائف الذين لا يقولون بحدوث كل جسم يقولون ان القديم تقوم به الحوادث، فهو لا اذا قالوا بان ما يخلو عن الحوادث فهو حادث كما في قول الكرامية وغيرهم مرافقة المعتزلة في هذا الاصل فانهم قالوا ان الجسم القديم لا يخلو عن الحوادث بخلاف الاجسام المحدثه

والناس متنازعون في السكون هل هو امر وجودي او عديمي، فمن قل انه وجودي قال الجسم الذي لا يخلو عن الحركة والسكون فاذا انتفت عنه الحركة فالسكون به وجودي. وهذا قول من يحتاج بتعاقب الحركة والسكون على حدوث المتصف بذلك، ومن قال انه عديمي لم يلزم من عدم الحركة عن المل ثبوت أن السكون وجودي. فمن قال انه يقوم به الحركة او الحوادث بعد ان لم تكن مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث كما هو في قول الكرامية وغيرهم يقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم بقيامها سكون وجودي، بل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة والاشعرية وغيرهم فانه يفعل بعد ان لم يكن فعلا، ولا يقولون ان عدم الفعل امر وجودي كذلك الحركة عند هؤلاء

وكان كثير من اهل الكلام يقولون ما يخلو عن الحوادث فهو حادث، او ما لا يسبق الحوادث فهو حادث، بناء على ان هذه مقدمة ظاهرة بان ما لا يسبق الحادث فلا بد ان يقارنه او يكون بعده، وما قارن الحوادث فهو حادث وما كان بعده فهو حادث، وهذا

الكلام مجمل، فانه اذا اريد به ما لا يخلو عن الحوادث المعينة او ما لا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا ريب ولا نزاع فيه. وكذلك اذا اريد بالحادث حكم ماله اول او ما كان بعد العدم ونحو ذلك. واما اذا اريد الحوادث الامور التي تكون شيئا بعد شيء، لا الى اول وقيل انه ما لا يخلو عنها وما لم يخل فهو حادث لم يكن ذلك ظاهرا ولا بيّنا. بل هذا المقام، حار فيه كثير من الافهام، وكثر فيه النزاع والخصام. ولهذا صار المستدلون بقولهم: ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، يعلمون ان هذا الدليل لا يتم الا اذا اثبتوا امتناع حوادث لا اول لها، فذكروا في ذلك طرقا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع

وهذا الاصل تنازع الناس فيه على ثلاثة اقول : قليل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وبامتناع حوادث لا اول لها مطلقا. وهذا قول المعتزلة. ومن اتبعهم من الكرامية والاشعرية ومن دخل معهم من الفقهاء وغيرهم. وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقا، وليس كل ما قارب حادثا بعد حادث لا الى اول يجوز ان يكون حادثا، بل يجوز ان يكون قديما سواء كان واجبا بنفسه او بغيره. وربما عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعلية والمفعول ونحو ذلك. وهذا قول الفلاسفة القائلين بقدم العالم والافلاك كارسطو واتباعه مثل ثامبوس والاسكندر الافرديومى وبوملس والفارابي وابن سينا وامثالهم واما جمهور الفلاسفة المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا يقولون بهذا وقيل بل ان كان الملتزم للحوادث ممكننا بنفسه. وجب ان يكون حادثا فان كان واجبا بنفسه لم يجز ان يكن حادثا. وهذا قول ائمة اهل الملل واساطين الفلاسفة وهو قول جماهير اهل الحديث

وصاحب هذا القول يقول ما لا يخلو عن الحوادث وهو ممكن بنفسه فهو حادث، وما لا يخلو عن الحوادث وهو معلول او مفعول او مبتدع او مصنوع فهو حادث، لانه ان كان مفعولا ملتزما للحوادث امتنع ان يكون قديما، فان القديم للمعلول لا يكون قديما الا اذا كان له موجب قديم بذاته يستلزم معلوله بحيث يكون

معه ازليا لا يتقدم عنه ، وهذا ممتنع فان ما استلزم الحوادث يمتنع ان يكون فاعله موجبا بذاته يستلزم معلوله في الازل فان الحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء لا يكون مجموعها في الاول ولا يكون شيء منها ازليا بل الازلي هو ذاتها واحد بعد واحد والموجب بذاته الملتزم لمعلوله في الازل لا يكون معلوله شيئا بعد شيء سواء كان صادرا عنه بواسطة او بغير واسطة فان ما كان واحداً بعد واحد يسكون متعاقبا حادثا شيئا بعد شيء فيمتنع ان يكون معلولا مقاربا لعلمته في الازل بخلاف ما اذا قيل ان المقارن لذلك هو الموجب بذاته الذي يفعل شيئا بعد شيء فانه على هذا لا يكون في الازل موجبا بذاته ولا علة سابقة تامة فلا يكون معه في اول شيء من المخلوقات ، لكن فاعليته للمفعولات تكون شيئا بعد شيء ، وكل مفعول يأخذ عنده وجود كمال فاعليته ، اذ المؤثر التام الملتزم لجميع شروط التأثير لا يتخلف عنه اثره اذ لو تخلف لم يكن مؤثراً تاماً ، فوجود الاثر يستلزم وجود المؤثر التام ، ووجود المؤثر التام ، يستلزم وجود الاثر ، فليس في الاول مؤثر تام ، فليس مع الله شيء من مخلوقاته قديم بقدمه . والاول ليس هو حداً محدوداً ولا وقتاً معيناً بل كل بتقدير العقل من الغاية التي ينتهي اليها ، فالاول قبل ذلك كما هو قبل ما قدره ، فالازل لا أول له ، كما ان الابد لا آخر له . وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ كان يقول « أنت الاول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء » فلو قيل انه مؤثر تام في الازل لشيء من الاشياء لزم أن يكون مقارناً له دائماً ، وامتنع أن يقوم بالآثر شيء من الحوادث ، لان كل حادث يحدث لا يحدث الا إذا وجد مؤثره اتمام عند حدوثه ، وان كانت ذات المؤثر موجودة قبل ذاك لكن لا بد من وجود شروط التأثير عند وجود الأثر والالزام الترجيح من غير مرجح وتختلف العلول عن العلة التامة ووجود الممكن بدون المرجح التام وكل هذا ممتنع . وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

فصل

واذا عرف الاصل الذي منه تفرع نزاع الناس فالذين قالوا مالا يسبق
 الحوادث فهو حادث، تنازعوا في كلام الله تعالى، فقال كثير من هؤلاء: الكلام
 لا يكون إلا بمشيئة المتكلم وقدرته فيكون حادث، كغيره من الحوادث، ثم قالت طائفة
 والرب تعالى لا يقوم به الحوادث فيكون الكلام مخلوقا في غيره، فجعلوا كلامه
 مخلوقا من المخلوقات، ولم يفرقوا بين قل وفعل، وقد علم ان المخلوقات لا يتصف
 بها الخالق فلا يتصف بما يخلقه في غيره من الالوان والاصوات والروائح والحركة
 العلم والقدرة والسمع والبصر، فكيف يتصف بما يخلقه في غيره من الكلام. ولو
 جاز ذلك لكان ما يخلقه من انطاق الجمادات علامة، ومن علم انه خالق كلام
 العباد وأفعالهم يلزمه أن يقول كل كلام في الوجود فهو كلامه كما قال بعض الاتحادية^(١)
 وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان هؤلاء يقولون انه خالق
 أفعال العباد وكلامهم مع قولهم ان كلامه مخلوق فيلزمهم هذا. وأما المعتزلة فلا يقولون
 ان الله تعالى خالق أفعال العباد لكن الحجة توجب القول بذلك، وقالت طائفة: بل
 الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم ويمتنع أن لا يكون كلامه إلا مخلوقا في غيره، وهو متكلم
 بمشيئته وقدرته، فيكون كلامه حادثا بعد ان لم يكن لامتناع حوادث لا أول لها. وهذا
 قول الكرامية وغيرهم. وقال كثير من هؤلاء الذين يقولون بامتناع حوادث لا أول لها
 مطاء الكلام لازم لذات الرب كزوم الحياة ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته بل هو قديم
 كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بمشيئته وقدرته لزم أن يكون حادثا وحينئذ يلزم أن يكون
 مخلوقا أو قائما بذاته فيلزم قيام الحوادث به وذلك مستلزم لتسلسل الحوادث
 لان القابل للشيء لا يخلو عنه أو عن ضده، فلما وتسلسل الحوادث امتنع إذا التفرع
 على هذا الاصل

ثم ان هؤلاء لما قالوا بقدم عين الكلام تنازعوا فيه ، فقالت طائفة القديم لا يكون حروفا ولا أصواتا ، لان تلك الحروف لا تكون كلاما إلا اذا كانت متعاقبة والقديم لا يكون مسبوقا بغيره ، فلو كانت الميم من (بسم) قديمة مع كونها مسبوقة بالسین والباء لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا ممتنع فيلزم أن يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده ، لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحاً من غير مرجح ، وإلا كان لا ينافي لزوم وجود أعداد لا نهاية لها في آن واحد . قالوا وهذا ممتنع ، فيلزم أن يكون معنى واحداً هو الأمر والخبر ومعنى التوزاة والانجيل والقرآن وهذا أصل قول الكلائية والاشعرية .

وقالت طائفة من أهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم بل هو حروف قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال . وهي مترتبة في ذاتها لا في وجودها كالخروف الموجودة في المصحف وليس بأصوات قديمة ، ومنهم من قال بل هو أيضاً أصوات قديمة ، ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التي لا توجد إلا متعاقبة وبين الحروف المكتوبة التي توجد في وقت واحد كما يفرق بين الاصوات والمداد ، فان الاصوات لا تبقى بخلاف المداد فانه جسم يبقى . فاذا كان الصوت لا يبقى امتنع أن يكون الصوت المعين قديماً ، لان ماوجب قدمه ، لم يبقاؤه وامتنع عدمه ،

والحروف المكتوبة قديراد بها نفس الشكل القائم بالمداد وما يقدر تقدير المداد كالشكل المصنوع في حجر وورق فزاله بعض أجزائه (١)

وقد يراد بالحروف نفس المداد ، وأما الحروف المنطوقة فقد يراد بها أيضاً الاصوات المقطعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات وأطرافها كما يراد بالحروف في الجسم حده ومنتهاه فيقل حرف الرغيف وحرف الجبل ومنه قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ونحو ذلك ، وقد يراد بالحروف الحروف الخيالية وهي ما يسجل في باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل أن يتكلم به وقد تنازع الناس هل يتمكن وجود حروف بدون أصوات قديمة لم تزل

(١) سقط من الأصل خبر المبتدأ فتركنا له بيضا يضعه فيه من علمه

ولا تزال، ثم القائلون بقديم الاصوات المعينة تنازعوا في المسموع من القاري، هل سمع منه الصوت القديم؟ قيل المسموع هو الصوت القديم، وقيل بل المسموع هو صوتان أحدهما القديم والآخر المحدث، فما لا بد منه في وجود القرآن فهو القرآن وما زاد على ذلك فهو المحدث. وتنازعوا في القرآن هل يقال انه حال في المصحف والصدور أم لا؟ يقال على قولين: فقيل هو ظاهر في المحدث ليس بحال فيه، وقيل بل القرآن حال في الصدور والمصاحف

فهؤلاء الخلقية والحادثية والاتحادية والاقرائية أصل قولهم إن ما لا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقاً، ومن قال بهذا الأصل فإنه يلزم بعض هذه الأقوال أو ما يشبه ذلك، فإنه إما أن يجعل كلام الله حادثاً أو قديماً، وإذا كان حادثاً إما أن يكون حادثاً في غيره، وإما أن يكون حادثاً في ذاته، وإذا كان قديماً فاما أن يكون القديم المعنى فقط أو اللفظ، أو كلاهما، فإذا كن القديم هو المعنى فقط لزم أن لا يكون الكلام المقروء كلام الله. ثم الكلام في ذلك المعنى قد عرف

وأما قدم اللفظ فقط فهذا لم يقل به أحد لكن من الناس من يقول إن الكلام القديم هو اللفظ، وأما معناه فليس هو داخل في معنى الكلام. فهذا يقول الكلام القديم هو اللفظ فقط: إما الحروف المؤلفة وإما الحروف والاصوات، لكنه يقول إن معناه قديم، وأما الفريق الثاني الذين قالوا بجواز حدوث لا أول لها مطلقاً، وإن القديم يجوز أن يعتقب عليه الحوادث مطلقاً وإن كان ممكناً لا واجباً بنفسه، فهؤلاء هم القائلون بقديم العالم كما يقولون بقديم هذه الافلاك، وإنما لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة أزلية، لكن المنتسبون إلى الملل كابن سينا ونحوه منهم قالوا إنها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته

وأما أرسطو وأتباعه فأنهم قالوا إن لها علة غائية تتحرك للتشبه بهافي تحركها كما يحرك العشوق عاشقه، ولم يثبتوا لها مبدعاً قائماً بذاته. وإنما أثبت الواجب الوجود بطريقة ابن سينا وأتباعه، وحققة قول هؤلاء بوجود الحوادث بلا محدث أصلاً،

أما على قول من جعل الازل علة غائية للحركة فظاهر فانه لا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعلا لها، فتوهم في حركات الافلاك نظير قول القدرية في حركة الحيوان، وكل من الطائفتين قد تناقض قولهم، فان هؤلاء يقولون بأن فعل الحيوان صادر عن غيره لكون القدرة والداعي يستلزمان وجود الفعل، والقدرة والداعي كلاهما من غير العبد، فيقال لهم تقولون هكذا في حركة الفلك بقدرته وداعيه انه يجب أن يكون صادرا من غيره، وحينئذ فيكون الواجب بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث شيئا بعد شيء، وان كان ذلك بواسطة العقول، وهذا القول الذي يقوله ابن سينا وأتباعه باطل أيضا لان الموجب بذاته القديم الذي يقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع أن يصدر عنه حادث بواسطة أو بلا واسطة، فان صدور الحوادث عن العلة التامة الازلية يمتنع بذاته، وإذا قلوا بالمجرة توسطه قيل لهم فالكلام انما هو في حدوث الحركة، فان الحركة الحادثة شيئا بعد شيء يمتنع ان يكون مقتضي لها علة تامة ازلية مستلزمة لمعلولها، فان ذلك جمع بين النقيضين. اذ القول بمقارنة المعلول لعلته في الازل ووجوده معها يناقض أن يتخلف المعلول أو شيء من العلول عن الازل، فصاح حقيقة قولهم ان الحوادث العلوية والسفلية لا يحدث بها

وهؤلاء يقولون كلام الله ما يفيض على النفوس الصافية كما ان ملائكة الله عندهم ما يتشكل فيها من الصور النورانية، فلا يثبتون له كلاما خارجا عما في نفوس البشر، ولا ملائكة خارجة عما في نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة، مع ان أكثرهم يقولون انها أعراض

وقد تبين في غير هذا الموضع أن ما يثبتونه من المجردات العقلية الحوادث (١) التي هي العقول والنفوس والمواد والصور انما وجودها في الازدهان لا في الاعيان

وأما الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب والممكن والخالق والمخلوق والغني الذي لا يفقر إلى غيره، والفقير الذي لا قوام له إلا بالغير، فقالوا: كل ما قارن

الحوادث من الممكنات فهو حادث كثر بعد ان لم يكن ، وهو مخلوق مصنوع
 مرهوب ، وانه يمتنع أن يكون فيما هو فقير ممكن مرهوب شيئا قديما فضلا عن أن
 يقارن حوادث لا أول لها ، ولهذا كانت حركة الفلك دايلا على حدوثه كما تقدم
 التنبيه عليه . وأما الرب تعالى إذا قيل لم يزل متكلا إذا شاء ولم يزل فاعلا لم يكن
 دوام كونه متكلا بمشيئته وقدرته ودوام كونه فاعلا بمشيئته وقدرته متمعا ، بل هذا
 هو الواجب لان الكلام صفة كل لا نقص فيه ، فرب تعالى أحق أن يتصف به
 من كل موصوف بالكلام ، إذ كل كل يثبت للمخلوق فالخلق أولى به . لان القديم
 الواجب الخالق أحق بالكمال من المحدث الممكن المخلوق ، ولان كل كمال يثبت
 للمخلوق فتما هو من الخالق وما جاز اتصافه به من الكمال وجب له ، فنه لو لم يجب
 له الكمال اما متمعا وهو محل بخلاف الفرض ، واما ممكنا يتوقف ثبوته له على غيره
 والرب تعالى لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره ، فإن معطي الكمال أحق بالكمال ،
 فيلزم أن يكون غيره أكمل منه او كان غيره معطيا له الكمال وهذا ممتنع ، بل هو
 بنفسه انقذة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلا على غيره ،
 فيجب ثبوت كونه متكلا وان ذلك لم يزل ولا يزل ، واستكمل بمشيئته وقدرته أكمل
 ممن يكون الكلام لازما له بدون قدرته ومشيئته ، والذي لم يزل يتكلم اذا شاء ،
 أكمل ممن صار الكلام بمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكنا له (١)

وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته ، ون قيل انه ينادي ويتكلم
 بصوت لا يلزم من ذلك قدم صوت معين وإذا كان قد تكلم بالقرآن والتوراة والانجيل
 بمشيئته وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين ، ون كان نوع الباء والسين قديما لم
 يستلزم أن تكون الباء المعينة والسين المعينة قديما ، لما علم من اقرآن من الفرق بين النوع
 والعين ، وهذا الفرق ثابت في الكلام والارادة والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات
 وبه تحل هذه الاشكالات الواردة على وحدة هذه الصفات وتعددتها وقدمها وحدوثها
 (١) هذا المذهب هو الذي قرره شيخنا في رسالة اتوحيد بأوضح بيان عند
 اثبات الصفات ولكنه لم يفصل فروعه الآتية

وكذلك تزول به الاشكالات الواردة في فعل الرب وقدمها وحدوثها وحدوث العالم
واذا قيل ان حروف المعجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكنا بخلاف
ما اذا قيل اللفظ الذي نطق به زيد وعمر قديم ، فان هذا مكابرة للحس ، وانما تكلم
يعلم ان حروف المعجم كانت موجودة قبل وجودها بنوعها ، وانما نفس الصوت
المعين الذي قام به التقطيع والتأليف المعين فيعلم ان عينه لم تكن موجودة قبله

والمقول عن الامام احمد وغيره من أئمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا
أنكروا على من زعم ان حرف من حروف المعجم مخلوق ، وأنكروا على من قل
لما خلق الله الحروف سجدت له الالف فقات لا أسجد حتى أؤمر ، مع ان
هذه الحكاية نقلت لاحمد عن سري السقطي وهو نقلها عن بكر بن خنيس
العابد ، ولم يكن قصد اولئك الشيوخ الا اثبات ان العبد الذي يتوقف
فعاله على الأمر والشرع هو أكمل من العبد الذي يعبد الله بغير شرع ، فان كثيرا
من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم وإن لم يكونوا مأمورين به ، فقصد اولئك
الشيوخ ان من عبد الله بالأمر ولم يفعل شيئا حتى يؤمر به ، فهو أفضل ممن عبده
بما لم يؤمر به ، وذكروا هذه الحكاية لاسرئية شاهدة لذلك ، مع ان هذه
لا إسناد لها ولا يثبت بها حكم . وإن كان الاسرئيليات اذا ذكرت على طريق
الاستشهاد بها لما عرف حتمه لم يكن بذكرها بأس

وقصدوا بذلك الحروف المكتوبة لان الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك
مع ان هذا أمر اصطلاحى وخط غير العرب لا يمثّل خط العرب ، ولم يكن قصد
أوائلئك الاشيوخ ان نفس الحروف المنطوقة التي هي مباني اسماء الله الحسنی
وكتبه المنزلة مخفوقة ثابتة عن الله ، بل هذا شيء لعله لم يخطر بقلوبهم والحروف
المنطوقة لا يقال فيها بأنها منتصبة ولا ساجدة ، فمن احتج بهذا من قولهم على أنهم
يقولون ان الله لم يتكلم بالعربي ولا بتوراة العبرية فقد قل عنهم ما لم يقولوه .
وأما الامام أحمد فانه أنكر اطلاق هذا القول وما يفهم منه عند الاطلاق وهو

ان نفس حروف المعجم مخلوقة كما نقل عنه انه قال: ومن زعم ان حرفا من حروف المعجم مخلوق فقد سلك طريقا الى البدعة، قال ان ذلك مخلوق، وقد قال ان القرآن مخلوق ولا ريب انه من جعل نوع الحروف مخلوقا ثابتا عن الله كاننا بعد ان لم يكن لزم [عنده] أن يكون كلام الله العربي والعبري ونحوهما مخلوقا، وامتنع أن يكون الله متكلمًا بكلامه الذي أنزله الى عباده، فلا يكون شيء من ذلك كلامه فطريقة الامام أحمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثابت الموافق لصريح

المعقول وصحيح المنقول

وقال الشيخ الامام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي في كتابه الذي سماه (الفصول في الاصول) سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول. ما بهي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قل مخلوق فهو كافر، والقرآن حملة جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي ﷺ وهو الذي نتلوه بالسنتنا وفيما بين الدفتين، وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا، وكل حرف منه كالباء والتاء كاه كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوقا فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس اجمعين

والكلام في هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع وذكر ما يتعلق بهذا الباب من الكلام في سائر الصفات كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام في تعدد الصفات وايجادها وقدمها وحدثها، او قدم النوع دون الالعيان، او اثبات صفة كلية، فان عمومها متأولة بالالعيان مع تجديد كل معين من الالعيان أو غير ذلك مما قيل في هذا الباب فان هذه امور مشككة ومحارات للعقول ولهذا اضطرب فيها طوائف من الناس ونظارهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والله سبحانه أعلم اهـ

ذكر

✽ ملخصه الامام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى أيضا في كتابه ✽

(منهاج السنة في مسئلة الكلام : ص ٢٢١ ج ١)

هذه مسئلة كلام الله تعالى . الناس فيها مضطربون ، قد بلغوا فيها الى سبعة أقوال :
 (أحدها) قول من يقول : إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض ، أما من العقل الفعال عند بعضهم ، وأما من غيره . وهذا قول الصائبة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثلة ، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم ، كأصحاب وحدة الوجود . وفي كلام صاحب الكتب (المضمون بها على غير أهلها) (١) ورسالة (مشكاة الانوار) وأمثلة ما قد يشار به الى هذا . وهو في غير ذلك من كتبه يقول ضده ، لكن كلامه يوافق هؤلاء تارة وتارة يخالفه . وآخر أمره استقر على مخالفتهم ومطابقة الاحديث النبوية (وثانيها) قول من يقول : بأه معنى واحد قديم قائم بذات الله ، هو الامر والنهي والخبر والاستخبار ، إن عبر عنه بالعربية كن قرآنا ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا . وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالاشعري وغيره

(ورابعها) (٢) قول من يقول : انه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الازل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث ، ذكره الاشعري في (المقاتلات) (٣) عن طائفة . وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم . وهؤلاء

(١) هو ابو حامد الغزالي ولا نعرف له الا كتابا واحدا بهذا الاسم وما ذكر من الاشارات ليس فيها نص يدل على اعتقاده هذا المذهب وأما ابن سينا في قوله في حكاية مذهب الفلاسفة وهو يثبت الملائكة (٢) سقط الثالث من الاصل

(٣) كتاب طبعه بعض المستشرقين من الالمان حديثا في الآستانة

قال طائفة منهم : ان تلك الاصوات القديمة هي الصوت المسموع من النار . او هي بعض الصوت المسموع من النار (١) . وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك . وقالوا هذا مخالفة لضرورة العقل

(وخامسها وسادسها) قول من يقول : انه حروف وأصوات ، لكن تكلم بعد أن لم يكن متكلماً ، وكلامه حادث في ذاته كما أن فعله حادث في ذاته ، بعد ان لم يكن متكلماً ولا فاعلاً ، وهذا قول الكرامية وغيرهم . وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة

(وسابعها) قول من يقول : انه لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به ، وهو متكلم بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم ، وان لم يجعل نفس الصوت المعين قديماً . وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة

وبالجملة أهل السنة والجماعة - أهل الحديث ومن انتسب إلى السنة والجماعة كالكلابية والكرامية والاشعرية والسالمية - يقولون ان الكلام غير مخلوق ، وهذا هو المتواتر عن السلف والأئمة من أهل البيت وغير أهل البيت ، ولا يكن تنازعوا بعد ذلك على الاقوال الخمسة المتأخرة

أما القولان الاولان فالاول قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم والصابئة المتفلسفة ونحوهم ، والثاني قول الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم كالنجدية والضرارية وأما الشيعة فمتنازعون في هذه المسئلة . وقد حكينا النزاع عنهم فيما تقدم (٢) وقدماءهم كانوا يقولون القرآن غير مخلوق كما يقوله أهل السنة والحديث ، وهذا هو المعروف عند أهل البيت كعلي بن أبي طالب وغيره مثل أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق وغيرهم ، ولكن الامامية تخالف أهل البيت في عامة اصولهم فليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد

(١) أي في خطاب الله لموسى (٢) أي من كتاب منهاج السنة المنقول عنه هذا

من كان ينكر الرؤية، ولا يقول بخلق القرآن ولا ينكر القدر ولا يقول بالنص على علي (١) ولا بمصبة الأئمة الاثني عشر، ولا يسب ابا بكر وعمر، والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة، وكانت مما يعتمد عليه أهل السنة. وشيوخ الرافضة معترفون بان هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه الا عن كتاب ولا سنة ولا عن أئمة أهل البيت وانما يزعمون ان العقل دلم عليه كما يقول ذلك المعتزلة وانما يزعمون انهم تلقوا عن الأئمة الشرائع، وقولهم في الشرائع غالبه موافق لمذهب أهل السنة، ولهم مفردات شنيعة لم يوافقهم عليها احد. ولهم مفردات عن المذاهب الاربعة قد قال بها غيرهم من السلف وأهل الظاهر وفقهاء المعتزلة وغير هؤلاء، فهذه ونحوها من مسائل الاجتماع التي يهون الامر فيها، بخلاف الشاذ الذي يعرف انه لا أصل له لا في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا سبقهم اليه احد.

واذا عرفت المذاهب فيقول لهذا [أي ابن المطهر الذي رد عليه ابن تيمية في هذا البحث] قولك « ان أمره ونهيه واخباره حادث لاستحالة أمر المعدوم ونهيه واخباره، أتريد به انه حادث في ذاته، ام حادث منفصل عنه؟ والاول قول أئمة الشيعة المتقدمة والجممية والرجئية والكرامية، مع كثير من أهل الحديث وغيرهم. ثم اذا قيل حادث، اهو حادث النوع، فيكون الرب قد صار متكلماً بعد ان يكن متكلماً، او حادث الافراد وانه لم يزل متكلماً اذا شاء؟ والكلام الذي كلم به موسى هو حادث، وان كان نوع كلامه قديماً لم يزل؟ فهذه ثلاثة انواع تحت قولك، وقد علم انك اردت النوع الاول وهو قول الذين جمعوا بين التشيع والاعتزال، فقالوا: انه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه. فيقال لك: اذا كان الله قد خلقه منفصلاً عنه لم يكن كلامه، فان الكلام والقدرة والعلم وسائر الصفات انما يتصف بها من قامت به لا من خلقها وفعلها في غيره، ولهذا اذا خلق الله حركة

وعلمنا وقدرة في جسم كان ذلك الجسم هو المتحرك العالم القادر بتلك الصفات ولم تكن تلك صفات الله بل مخلوقات له، ولو كان متصفا بمخلوقاته المنفصلة عنه لكان اذا أنطق الجامدات - كما قال (يا جبال اوبي معه والطير)، وكما قال : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قلوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) وكما قل (اليوم نخم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) ومثل تسليم الحجر على النبي ﷺ وتسبيح الحصى بيده، وتسبيح الطعام وهم يأكلونه، فإذا كان كلام الله لا يكون الا ما خلقه في غيره وجب ان يكون هذا كله كلام الله فانه خلقه في غيره، واذا تكلمت الايدي فينبغي ان يكون ذاك كلام الله كما يقولون انه خلق كلاما في الشجرة كلم الله به موسى بن عمران

وأیضا فاذا كان الدليل قد قام على ان الله تعالى خالق أفعال العباد وقواهم وهو المنطق لكل ناطق وجب ان يكون كل كلام في الوجود كلامه، وهذا ما قالته الحلوية (١) من الجهمية كصاحب الفصوص ابن عربي قل

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وحينئذ فيكون قول فرعون (انا ربكم الاعلى) كلام الله كما ان الكلام المخلوق في الشجرة (اننى انا الله لا اله الا انا) كلام الله،

وأیضا فالرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم ان الله قال، ونادى، وناجى، ويقول، لم يفهموهم ان هذه مخلوقات منفصلة عنه بل الذي افهموهم اياه ان الله نفسه الذى تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، ولهذا عاب الله من يعبد الهالا يتكلم فقال :

(١) اعلمه سقط من هنا امط الاتحادية الذي يطلقه عليهم دائما في كتبه فان عربي وابن العارض وأمثالهم يقولون باتحاد الخالق بالخلق وان هذا عين هذا الا أنه غيره وحال فيه وانه ما ثم غيره وهذا مفصل في رده عليهم من هذا المجموع

(افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وقال (الم يروا انه لا يسكاهم ولا يهديهم سبيلا) ولا يحمده شيء بانه متكلم ويندم بانه غير متكلم الا اذا كان الكلام قائما به. والجملة لا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم الا من يقوم به القول والكلام، كما لا يعقل حي الا من يقوم به الحياة، ولا عالم الا من يقوم به العلم، ولا متحرك الا من يقوم به الحركة. ولا فاعل الا من يقوم به الفعل، فمن قول: ان المتكلم هو الذي يكون كلامه منفصلا عنه. قل مالا يعقل، ولم يفهم الرسل الناس هذا، بل كل من سمع ما بلغته الرسل عن الله يعلم بالضرورة ان الرسل لم ترد بكلام الله ما هو منفصل بل ما هو متصف به

قولوا: المتكلم من فعل الكلام والله تعالى لما احدث الكلام في غيره صار متكلمًا. فيقال لهم: المتأخرين المختلفين هنا ثلاثة اقوال، قيل: المتكلم من فعل الكلام ولو كان منفصلا عنه، وهذا انما قلّه هؤلاء، وقيل المتكلم من قام به الكلام ولو لم يكن بفعله ولا هو بمشيئته ولا قدرته، وهذا قول الكلالية والسالمية ومن وافقهم. وقيل المتكلم من تكلم بفعله ومشيئته وقدرته فقام به الكلام، وهذا قول اكثر اهل الحديث وطوائف من الشيعة والرجئة والكرامية وغيرهم، فواثك يقولون هو صفة فعل منفصل عن الموصوف لا صفة ذات، والصنف الثاني يقولون: صفة ذات لازمة للموصوف لا تتعلق بمشيئته ولا قدرته والآخر يقولون: هو صفة ذات وصفة فعل، وهو قائم به يتعاق بمشيئته وقدرته

اذا كان كذلك فقولكم انه صفة فعل ينازعكم فيه طائفة، واذا لم ينازعوا في هذا فيقال: هب انه صفة فعل لكن صفة فعل منفصل عن القائل الفاعل او قائم به؟ اما الاول فهو قواكم الفاسد، وكيف تكون الصفة غير قائمة بالموصوف، او القول غير قائم بالقائل؟

فان قلتم: هذا بناء على أن فعل الله لا يقوم به لانه لو قام به لقامت به

الحوادث؟ قيل: والجمهور ينازعونكم في هذا الأصل ويقولون: كيف يعقل فعل لا يقوم بفعل (١) ونحن نعقل الفرق بين نفس التكوين وبين المخلوق المكون؟ وهذا قول جمهور الناس كاصحاب أبي حنيفة وهو الذي حكاه البغوي وغيره من اصحاب الشافعي عن أهل السنة، وهو قول أئمة اصحاب أحمد كابن إسحاق بن شاقلا وأبي بكر بن عبد العزيز وأبي عبد الله بن حامد وإقاضي أبي يعلى في آخر قوله وقول أئمة الصوفية وأئمة اصحاب الحديث. وحكاه البخاري في كتاب أفعال العباد عن العلماء مطلقا. وهو قول طوائف من المرجئة والشيعة والكرامية ثم القائلون بقيام فعله به منهم من يقول فعله قديم والمفعول متأخر، كما إن ارادته قديمة والمراد متأخر، كما يقول ذلك من يقول من اصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم، ومنهم من يقول بل هو حادث النوع كما يقول ذلك من يقول من الشيعة والمرجئة والكرامية. ومنهم من يقول بمشيئته وقدرته شيئا فشيئا ولكنه لم يزل متصفا به فهو حادث الآحاد قديم النوع، كما يقول ذلك من يقول من أئمة اصحاب الحديث وغيرهم من اصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف

وإذا كان الجمهور ينازعونكم فتقدر المنازعة بينكم وبين أئمتكم من الشيعة ومن وافقهم، فإن هؤلاء يوافقونكم على أنه حادث لكن يقولون هو قديم بذات الله فيقولون قد جمعنا حججتنا وحجتكم فقلنا العدم لا يؤمر ولا ينهى، وقلنا الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم

فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب. قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل، ومن لم يقل أن الباري يتكلم ويريد ويحب ويبغض ويرضى ويأني ويحيي، فقد ناقض كتاب الله. ومن قال أنه لم يزل ينادي موسى

(١) لعل الأصل بفعله فإن المردود عليهم يقولون الكلام فعله ولكنه قام بغيره فيجعلون الفعل عين المفعول كما شرحه في مواضع تقدمت

في الازل فقد خالف كلام الله مع مكابرة العقل، لان الله تعالى يقول (فلما جاءها نودي) وقال (انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال

قالوا: وبالجملة فكل ما يحتاج به المعتزلة والشيعة مما يدل على أن كلامه متعلق بمشيئته وقدرته وأنه يتكلم إذا شاء وأنه يتكلم شيئاً بعد شيء، فنحن نقول به، وما يقول به من يقول ان كلام الله قائم بذاته وأنه صفة له والصفة لا تقوم إلا بالموصوف فنحن نقول به، وقد أخذنا بما في قول كل من الطائفتين من الصواب وعدلنا عما يردده الشرع والعقل من قول كل منهما، فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به، قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، وهو قول لازم لجميع الطوائف، ومن أنكره فلم يعرف لوازمه وملزوماته

ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الاعراض والنقائص والله منزّه عن ذلك ولكنه يقوم به ما شاء ويقدر عليه من كلامه وأفعاله ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة. ونحن نقول لمن أنكر قيام ذلك به: أنتكره لانكارك قيام الصفة به كانكار المعتزلة، ثم تنكره لان من قامت به الحوادث لم يخل منها ونحو ذلك مما يقوله الكلامية؟ فإذا قال بالاول كان الكلام في أصل الصفات وفي كون الكلام قائماً بالمتكلم لا منفصلاً منه كافيافي هذا الباب،

وان كان الثاني قلنا لهؤلاء: أتجوزون حدوث الحوادث بلاسبب حادث أم لا؟ فان جوزتم ذلك وهو قولكم لزم أن يفعل الحوادث ما لم يكن فاعلا لها ولا لضدها، فإذا جاز هذا فلم لايجوز أن تقوم الحوادث بمن لم تكن قائمة به هي ولا ضدها؟ ومعلوم أن الفعل أعظم من القبول فإذا جاز فعلها بلاسبب حادث فكذلك قيامها بالخل، فن قلتم: "قابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده لزم تسلسل الحوادث، وتسلسل

الحوادث إن كان ممكنا كان القول الصحيح قول أهل الحديث الذين يقولون لم يزل متكلما إذا شاء، كما قاله ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة، وإن لم يكن جائزا كان قوله هو الصحيح، فقولكم أنتم باطل على كلا التقديرين

فإن قلتم لنا: أنتم توافقوننا على امتناع تسلسل الحوادث وهو حجتنا وحجتكم على قدم العالم، قلنا لكم موافقتنا لكم حجة جدلية، وإذا كنا قد قلنا بامتناع تسلسل الحوادث موافقة لكم وقلنا بأن الفاعل للشيء قد يخلو عنه وعن ضده مخالفة لكم، وأنتم تقولون إن قيل بالحوادث لزم تسلسلها وأنتم لا تقولون بذلك، قلنا: إن صحت هاتان المقدمتان ونحن لا نقول بموجبهما لزم خطؤنا إما في هذه وإما في هذه، وليس خطؤنا فيما سلمناه لكم بأولى من خطئنا فيما خالفناكم فيه. فقد يكون خطؤنا في منع تسلسل الحوادث لا في قولنا إن القابل للشيء يخلو عنه وعن ضده، فلا يكون خطؤنا في إحدى المسئلتين دليلا على جوابكم في الأخرى التي خالفناكم فيها، أكثر ما في هذا الباب أن نكون متناقضين والتناقض شامل لنا ولكم ولا أكثر من تكلم في هذه المسئلة ونظائرها، وإذا كنا متناقضين فرجوعنا إلى قول نوافق فيه العقل والنقل أولى من رجوعنا إلى قول نخالف فيه العقل والنقل،

فنقول: إن كون المتكلم يتكلم بكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته، أو منفصل عنه لا يقوم به، مخالف للعقل والنقل، بخلاف تكلمه بكلام يتعلق بمشيئته وقدرته قائم به فإن هذا لا يخالف لاعتقلا ولا نقلا، لكن قد نكون ممن نقله بلوازمه فنكون متناقضين، وإذا كنا متناقضين كان الواجب أن نرجع عن القول الذي أخطأنا فيه لنوافق ما أصبنا فيه، لا نرجع عن الصواب ليطرد الخطأ، فنحن نرجع عن تلك المناقضات ونقول بقول أهل الحديث

فإن قلتم: إثبات حادث بعد حادث لا إلى أول قول الفلاسفة الدهرية؛ قلنا: بل قولكم إن الرب تعالى لم يزل معظلا لا يمكنه أن يتكلم بشيء، ولا أن يفعل شيئا

ثم صار يمكنه أن يتكلم وأن يفعل بلا حدوث سبب يقتضي ذلك قول مخالف.
لصرح العقل ولما عليه المسلمون، ون المسلمين يعلمون أن الله لم يزل قادراً، وإثبات
القدرة مع كون المقدور متمتعاً غير ممكن، لأنه جمع بين التقيضين، فكان في إعاقة المسلمين
من أنه لم يزل قادراً ما بين أنه لم يزل قادراً على الفعل والكلام بقدرته ومشيتته،
والقول بدوام كونه متكلاً ودوام كونه فاعلاً بمشيئته منقول عن السلف وأئمة
المسلمين من أهل البيت وغيرهم كالأب المبارك وأحمد بن حنبل والبخاري وعثمان
ابن سعيد الدارمي وغيرهم، وهو منقول عن جعفر الصادق بن محمد في الأفعال المتعدية
فضلاً عن اللازمة وهو دوام إحسانه،

والفلاسفة الدهرية قالوا يقدم العلم وأن الحوادث فيه لا إلى أول وإن الباري
موجب بذاته للعالم ليس فاعلاً بمشيئته وقدرته ولا يتصرف بنفسه، وأنهم وافقتموهم على
طائفة من باطلهم، حيث قلتم أنه لا يتصرف بنفسه ولا يقوم به أمر يختار، ويتقدر عليه،
وجعلتموه كالجماد الذي لا يتصرف به ولا فعل، وهم جعلوه كالجماد الذي لزمه وعلق
به مالا يمكنه دفعه عنه ولا قدرته على التصرف فيه فوافقتموهم على بعض باطلهم
ونحن نقننا بما يوافق العقل والعقل، من كمال قدرته ومشيتته وأنه قادر على
الفعل بنفسه كيف شاء، وقلنا أنه لم يزل موصوفاً بصفات الكمال متكلاً ذاتاً، فلا نقول
أن كلامه مخلوق منفصل عنه، فن حقيقة هذا القول أنه لا يتكلم، ولا نقول أنه
شيء واحد أمر ونهي وخبر، وأن معنى النوراة والأنجيل واحد، وأن الأمر والنهي
صفة لشيء واحد، فإن هدام كبرية للعقل، ولا نقول أنه أصوات متقطعة متضادة
أزلية فإن الأصوات لا تبقى زمانين

وأيضاً فلو قلنا بهذا القول والذي قبله لزم أن يكون تكليم الله للملائكة
ولموسى وخلقه يوم القيامة ليس إلا مجرد خالق الإدراك لهم لما كان أزلياً لم يزل،
ومعلوم أن التصوير دلت على ضد ذلك، ولا نقول أنه صار متكلاً بعد أن لم.

يمكن متكلماً، فانه وصفه بالكمال بعد القص وانه صار محلاً للحوادث التي كل
بها بعد نقصه، ثم حدوث ذلك الكمال لا بدله من سبب . واقول في الثاني
كالقول في الاول، ففيه تجدد جلاله ودوام افعاله وبهذا يمكن ان يكون العالم وكل ما
فيه مخلوقاً له حادثاً بعد ان لم يكن، لانه يكون بسبب الحدوث وهو ما قام بذاته
من كلياته وافعاله وغير ذلك، فيعقل سبب حدوث الحوادث، ومع هذا يمنع ان
يقال بتقديم شيء من العالم لانه لو كان قديماً لكان مبدعه موجبا بذاته يلزمه
موجبه ومقتضاء، فاذا كان الخالق فعلاً بفعل يقوم بنفسه بمشيئته واختياره امتنع
ان يكون موجبا بذاته لشيء من الاشياء، فامتنع قدم شيء من العالم، واذا امتنع
من الفاعل المختار ان يفعل شيئاً منفصلاً عنه مقارناً له مع انه لا يقوم به فعل اختياري
فلأن يمتنع ذلك اذا قام به فعل اختياري بطريق الاولى والاخرى، لانه على هذا
التقدير الاول يكفي في نفس المشيئة والفعل الاختياري والقدرة، ومعلوم ان ما
يتوقف على المشيئة والفعل الاختياري القائم به ان يكون اولى بالحدوث والتأخر
حما لم يتوقف الاعلى بعض ذلك

والكلام على هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع
واكثر الناس لا يعلمون كثيراً من هذه الاقوال ولذلك كثر بينهم القيل
والقال وما ذكرناه اشارة الى مجامع المذاهب انتهى



فصل آخر

فيما قاله في... ثمة اللفظ كما في كتابه (موافقة صريح المنقول لصحيح المنقول^(١)) وهذا نصه :

لما كان السلف والائمة متفقين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقد علم المسلمون ان القرآن بلفه جبريل عن الله الى محمد وبلغه محمد الى الخلق، وان الكلام اذا بلفه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه، بل هو كلام لمن قاله مبتدئا، لا كلام من بلفه عنه مؤديا. فلنبي ﷺ إذا قل «انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى» وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد حتى وصل الينا كان من المعلوم اننا اذا سمعناه من المحدث به انما سمعنا كلام رسول الله ﷺ الذي تكلم به بلفظه ومعناه، وانما سمعناه عن المبلغ عنه بفعله وصوته، ونفس الصوت الذي تكلم به النبي ﷺ لم نسمعه، وانما سمعنا صوت المحدث عنه والكلام كلام رسول الله ﷺ لا كلام المحدث، فمن قال ان هذا الكلام ليس كلام رسول الله ﷺ كان مقتريا، وكذلك من قال ان هذا لم يتكلم به رسول الله ﷺ وانما أحدثه في غيره أو ان النبي ﷺ لم يتكلم بلفظه وحروفه بل كان ساكنا او عاجزا عن التكلم بذلك فعلم غيره ما في نفسه فنظم هذه الالفاظ ليعبر عما في نفس النبي ﷺ ونحو هذا الكلام - فمن قال هذا كان مقتريا، ومن قال ان هذا الصوت المسموع صوت النبي ﷺ كان مقتريا، فإذا كان هذا معقولا في كلام المخلوق فكلام المخلوق أولى باثبات ما يستحقه من صفات الكمال وتنزيهه الله أن تكون صفاته وأفعاله هي صفات العباد وأفعالهم او مثل صفات العباد وأفعالهم

فالسلف والائمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله كما قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)

ليس هو كلاما لغيره لالفظه ولا معناه، ولكن بلغه عن الله جبريل وبلغه محمد عن جبريل، ولهذا أضافه الله الى كل من الرسولين، لانه بلغه وأداه لالانه أحدثه لالفظه ولا معناه، اذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك لم يصح اضافة الاحداث الى الآخر فقل تعالى (انه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليل لا تؤمنون، ولا بقول كاهن قليل ما تدكرون، تنزيل من رب العالمين) فهذا محمد ﷺ وقال تعالى (انه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين) فهذا جبريل عليه السلام. وقد توعد تعالى من قل (ان هذا الا قول البشر) فمن قال ان هذا القرآن قول البشر فقد كفر، وقل بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر، ومن قال ان شيئا منه قول البشر فقد قال ببعض قوله، ومن قال انه ليس بقول رسول كريم وانما هو قول شاعر او مجنون او مفتر او قل هو قول شيطان نزل به عليه ونحو ذلك فهذا أيضا كافر ملعون،

وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه او من المبلغ عنه، وان موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة، وانما نسمع كلام الله من المبلغين عنه، وان كان الفرق ثابتا بين من سمع كلام النبي ﷺ منه ومن سمعه من صاحب المبلغ عنه فالفرق هنا اولى، لان أفعال المخلوق وصفاته أشبه بأفعال المخلوق وصفاته، من أفعاله وصفاته بأفعال الله وصفاته

ولما كان الجهمية يقولون ان الله لم يتكلم في الحقيقة بل خلق كلاما في غيره ومن أطلق منهم ان الله تكلم حقيقة فهذا مراده فالنزاع بينهم لفظي، كان من المعلوم ان القائل اذا قل هذا القرآن مخلوق كان مفهوم كلامه ان الله لم يتكلم بهذا القرآن، وانه هو ليس بكلامه بل خلقه في غيره، واذا فسر مراده باني أردت أن حركات العبد وصوته والمداد مخلوق كان هذا المعنى وان كان صحيحا ليس هو مفهوم كلامه ولا معنى قوله. فان المسلمين إذا قالوا هذا القرآن كلام الله، لم

يريدوا بذلك ان أصوات القائلين وحركاتهم قائمة بذات الله ، كما انهم اذا قالوا هذا الحديث حديث رسول الله ﷺ لم يريدوا بذلك أن حركات المحدث وصوته قامت بذات رسول الله ﷺ ، بل وكذلك اذا قلوا في انشاد المنشد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * هذا شعر ليبدو كلاما ليبد ، لم يريدوا بذلك ان صوت المنشد هو صوت ليبد بل أرادوا أن هذا القول المؤلف لفظه ومعناه هو ليبد وهذا منشد له ، فمن قل : ان هذا القرآن مخلوق او ان القرآن المنزل مخلوق او نحو هذه العبارات كان بمنزلة من قال ان هذا الكلام ليس هو كلام الله ، وبمنزلة من قل عن الحديث المسموع من المحدث : ان هذا ليس كلام رسول الله ﷺ ، وان النبي ﷺ لم يتكلم بهذا الحديث ، وبمنزلة من قل ن هذا الشعر ليس هو شعر ليبد ولم يتكلم به ليبد ، ومعلوم أن هذا كله باطل

ثم ان هؤلاء صاروا يقولون : هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن وقراءة القرآن مخلوقة ، ويقولون : تلاوتنا للقرآن مخلوقة ، وقرائتنا له مخلوقة . ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع ويقولون : لفظنا بالقرآن مخلوق . ويدخلون في ذلك القرآن المنفوظ المتلو المسموع ، فانكر الامام أحمد وغيره من أئمة السنة هذا وقالوا : اللفظية جهمية . وقالوا افرقت الجهمية ثلاث فرق : فرقة قالت : القرآن مخلوق ، وفرقة قالت : نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق ، وفرقة قالت : تلاوة القرآن واللفظ بالقرآن مخلوق ، فلما انتشر ذلك عن أهل السنة غلطت طائفة فقالت : لفظنا بالقرآن غير مخلوق وتلاوتنا له غير مخلوقة . فبدع الامام أحمد هؤلاء وأمر بهجرهم ، ولهذا ذكر الاشعري في مقالاته هذا عن أهل السنة وأصحاب الحديث فقال : والقول باللفظ والوقف عندهم بدعة : من قال اللفظ بالقرآن مخلوق فهو مبتدع عندهم ومن قل غير مخلوق فهو مبتدع . وكذلك ذكر محمد بن جرير الطبري في صريح السنة ، انه سمع غير واحد من

أصحابه يذكر عن الامام أحمد انه قال : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي .
ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع . وصنف أبو محمد بن قتيبة في ذلك كتابا
وقد ذكر أبو بكر الخلال هذا في كتاب السنة وبسط القول في ذلك وذكر ما صنفه
أبو بكر المروزي في ذلك ، وذكر قصة أبي طالب المشهورة عن أحد التي نقاها عنه
أكابر أصحابه كعبدالله وصالح ابنه والمروزي وأبي محمد فوزان ومحمد بن إسحاق
الصنعاني وغير هؤلاء .

وكان أهل الحديث تد افترقوا في ذلك فصار طائفة منهم يقولون لفظا
بالقرآن غير مخلوق ، ومرادهم ان القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم
صوت العبد ، كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي وطوائف
غير هؤلاء . وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد او فعله في ذلك او يوقف ،
ففهم ذلك بعض الأئمة فصار يقول : افعال العباد اصواتهم مخلوقة رداً لهؤلاء
كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما من أهل العلم والسنة وصار يحصل
بسبب كثرة الخوض في ذلك الفاظ مشتركة واهواء للنفوس حصل بذلك نوع
من الفرقة والفتنة

وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ما هو معروف
وصار قوم مع البخاري كسليم بن الحجاج ونحوه وقوم عليه كابي رزعة وابي حاتم
وغيرهما ، وكل هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث وهم من اصحاب احمد بن
حنبل ولهذا قال ابن قتيبة : ان أهل السنة لم يختلفوا في شيء من اقوالهم الا في مسألة اللفظ
وصار قوم يطلقون القول بان التلاوة هي التلو والقراءة هي المقروء وليس
مرادهم بالتلاوة المصدر ولكن الانسان اذا تكلم بالكلام فلا بد له من حركة ومما
يكون عن الحركة من اقواله التي هي حروف منظومة ومعان مفهومة .
والقول والكلام يراد به تارة المجموع فتدخل الحركة في ذلك ويكون الكلام

نوعا من العمل وقسمائه ، ويراد به تارة ما يقترن بالحركة ويكون عنها لانفس الحركة فيكون الكلام قسما للعمل ونوعا آخر ايس هو منه

ولهذا تمازع العلماء في لفظ العمل المطلق هل يدخل فيه الكلام على قولين معروفين لاصحاب احمد وغيرهم ونوا على ذلك ما اذا حلف لا يعمل اليوم عملا فتكلم هل يبحث ؟ على قولين : وذلك لان لفظ الكلام قد يدخل في العمل وقد لا يدخل ، فاول كما في قول النبي ﷺ « لا تحاسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فهو يقول لو او تيت مثل ما اوتي هذا لعملت مثل ما يعمل » كما اخرجه الشيخان في الصحيحين ، فقد جعل فعل هذا الذي يتلوه آناء الليل والنهار عملا كما قال لعملت فيه مثل ما يعمل الثاني كما في قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقوله تعالى (وماتكون في شأن وماتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا شهدوا اذ تفيضون فيه) فلذين قالوا التلاوة هي المتلو من أهل العلم والسنة قصدوا ان التلاوة هي اقول والكلام المتلو ، وآخرون قالوا: بل التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقرء

والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث ارادوا بذلك ان افعال العباد ليست هي كلام الله ولا اصوات العباد هي صوت الله ، وهذا الذي قصده البخاري وهو مقصود صحيح

وسبب ذلك ان لفظ التلاوة والقراءة واللفظ مجمل مشترك ، يراد به المصدر ويراد به المفعول ، فمن قال اللفظ ايس هو الملفوظ واقول ليس هو المقول واراد باللفظ والقول المصدر كان معنى كلامه ان الحركة ليست هي الكلام المسموع وهذا صحيح ، ومن قال اللفظ هو الملفوظ والقول هو نفس المقول واراد باللفظ والقول نفس المقول واراد باللفظ والقول مسمى المصدر ، صار حقيقة مراده ان اللفظ والقول هو الكلام المقول الملفوظ وهذا صحيح

فمن قال اللفظ بالقرآن أو القراءة أو التلاوة مخلوقة أو لفظي بالقرآن أو تلاوتي - دخل في كلامه نفس الكلام المقرء المتلو ، وذلك هو كلام الله تعالى ، وإن اراد بذلك مجرد فعله وصوته كان المعنى صحيحاً ، لكن إطلاق اللفظ يتناول هذا وغيره ، ولهذا قل أحمد في بعض كلامه : من قل لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي ، احترازاً عما إذا اراد به فعله وصوته .

وذكر اللالكائي : أن بعض من كان يقول ذلك رأى في منامه كان عليه ففرة ورجل يضربه فقال له لا تضربني فقال اني لا اضربك وإنما اضرب الففرة ، سئل : ان الضرب إنما يقع ألمه علي . فقال هكذا إذا قلت لفظي بالقرآن مخلوق وقع الخلق على القرآن

ومن قل : لفظي بالقرآن غير مخلوق أو تلاوتي دخل في ذلك المصدر الذي هو عمله ، وأفعال العباد مخلوقة ، ولو قل أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق لا نفس حركاني ، قيل : لفظك هذا بدعة وفيه اجمل وإيهام ، وإن كان مقصودك صحيحاً فهذا منعائمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا وكان هذا وسطاً بين الطرفين وكان أحمد وغيره من الأئمة يقولون القرآن حيث تصرف كلام الله غير مخلوق ، من غير أن يقرن بذلك ما يشعر أن أفعال العباد وصفاتهم غير مخلوقة وصارت كل طائفة من العقاة والمثبته في مسألة التلاوة تحكي قولها عن أحمد ، وهم كما ذكر البخاري في كتاب خلق الأفعال ، وقال : أن كل واحدة من هاتين الطائفتين تذكر قولها عن أحمد وهم لا يفتهمون قوله لدقة معناه .

ثم صار ذلك التفرق موروثاً في اتباع الطائفتين ، فصارت طائفة تقول إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق موافقة لأبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي وأمثالهما . كأبي عبد الله بن منده وأهل بيته وأبي عبد الله بن حامد وأبي نصر السجزي وأبي إسماعيل الأنصاري وأبي يعقوب الفرات الهروي وغيرهم . وقوم يقولون

فقبض هذا القول من غير دخول في مذهب ابن كلاب مع اتفاق الطائفتين على أن القرآن كله كلام الله لم يحدث غيره شيئاً منه، ولا خاق منه شيئاً في غيره، لا حروفه ولا معانيه، مثل حسين الكرايسي وداود بن علي الاصماني وامثالهما

وحدث مع هذا من يقول بقول ابن كلاب : أن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه المتكلم هو الامر بكل ما أمر به والنهي عن كل ما نهى عنه والاخبار بكل ما أخبر به، وأنه أن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن وأن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة . وجمهور الناس من أهل السنة والمعتزلة وغيرهم أنكروا ذلك وقالوا أن فساد هذا معلوم بصريح العقل فن التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن ولا معنى (قل هو الله أحد) هو معنى (تبت) وكان يوافقهم على إطلاق أقول بأن التلاوة غير المتلو وانها مخلوقة من لا يوافقهم على هذا المعنى، بل قصده أن التلاوة أفعال العباد وأصواتهم، وصاروا قوام يطلقون أقول بأن التلاوة غير المتلو وأن اللفظ بالقرآن مخلوق. فنههم من يعرف أنه موافق لابن كلاب، ومنهم من يعرف مخالفته له؛ ومنهم من لا يعرف منه لا هذا ولا هذا، وصار أبو الحسن الأشعري ونحوه ممن يوافق ابن كلاب على قوله موافقاً للإمام أحمد وغيره من أئمة السنة في المنع من إطلاق هذا وهذا، فيمنعون أن يقل اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق. وهؤلاء ممنوعوه من جهة كونه يقال في القرآن أنه باهظ أولاً بلفظ، وقالوا: اللفظ الطرح والرمي . ومثل هذا لا يقال في القرآن . ووافق هؤلاء على التعليل بهذا طائفة ممن لا يقول بقول ابن كلاب في الكلام كلقاضي أبي يعلى وامثله . ووقع بين أبي نعيم الاصماني وأبي عبد الله بن منده في ذلك ما هو معروف وصنف أبو نعيم في ذلك كتابه في الرد على اللفظية والحلولية ومل فيه إلى جانب النفاة القائلين بأن التلاوة مخلوقة، كما مال ابن مندة إلى جانب من يقول أنها غير مخلوقة . وحكى كل منهما

عن الأئمة ما يدل على كثير من مقصوده لا على جميعه. فما قصده كل منعه من الحق
وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة ما يوافق

وكذلك وقع بين أبي ذر الهروي وأبي نصر السجزي في ذلك حتى صنف
أبو نصر السجزي كتابه الكبير في ذلك المعروف بالإبانة وذكر فيه من الفوائد
والآثار والاتصار للسنة وأهلها أموراً عظيمة المنفعة. لكنه نصر فيه قول من يقول
لفظي بالقرآن غير مخلوق. وأنكر على ابن قتيبة وغيره ما ذكره من التفصيل، ورجح
طريقة من هجر البخاري، وزعم أن أحمد بن حنبل كان يقول لفظي بالقرآن غير
مخلوق، وأنه رجع إلى ذلك، وأنكر ما نقله الناس عن أحمد من إنكاره على الطائفتين
وهي مسألة أبي طالب المشهورة، وليس الأمر كما ذكره، فإن الإنكار على الطائفتين
مستفيض عن أحمد عند أخص الناس به من أهل بيته وأصحابه الذين اعتنوا
بجمع كلام أحمد، كالمروذى والحلال وأبي بكر عبد العزيز وأبي عبد الله بن بطة
وأمثالهم. وقد ذكروا من ذلك ما يعلم كل عارف أنه من أثبت الأمور عن أحمد،
وهؤلاء العراقيون أعلم بأحوال أحمد من المنتسبين إلى السنة والحديث من أهل
خراسان الذين كان ابن منده وأبو نصر وأبو اسماعيل الهروي وأمثالهم يسألون
حذوهم، ولهذا صنف عبد الله بن عطاء الأبراهيمي كتاباً فيمن أخذ عن أحمد العلم،
فذكر طائفة ذكر منهم أبا بكر الحلال وضمن أنه أبو محمد الحلال شيخ القاضي أبي يعلى
وأبي بكر الخطيب فشقبه عليه هذا بهذا، وهذا كما أن العراقيين المنتسبين إلى أهل
الاثبات من أتباع ابن كلاب كافي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري
وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري والقاضي أبي بكر الباقلاني وأمثالهم أقرب إلى
السنة وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثالهم من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كلاب،
ولهذا كان القاضي أبو بكر بن الطيب يكتب في أجوبته أحياناً «محمد بن الطيب الحنبل»
كما كان يقول الأشعري إذ كان الأشعري وأصحابه منتسبين إلى أحمد بن حنبل

وأما له من أئمة السنة ، وكان الاشعري أقرب الى مذهب احمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين الى احمد الذين مالوا الى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل وصدقة بن الحسين وابن الجوزي وأمثالهم ،

وكان ابو ذر الهروي قد أخذ طريقة الباقلاني وأدخلها إلى الحرم ، ويقال انه أول من أدخلها إلى الحرم ، وعنه أخذ ذلك من أخذه من أهل المغرب ، فانهم كانوا يسمعون عليه البخاري ويأخذون ذلك عنه كما أخذه ابو الوليد الباجي . ثم رحل الباجي إلى العراق فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل صاحب الباقلاني ،

ونحن قد بسطنا الكلام في هذه المسائل وبيننا ما حصل فيها من النزاع والاضطراب في غير هذا الموضع اهـ

فصل آخر

او فتوى في مسألة الكلام لشيخ الاسلام رحمه الله

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رجل قال : ان الله لم يكلم موسى تكليماً ، وإنما خلق الكلام والصوت في الشجرة ، وموسى عليه السلام سمع من الشجرة لا من الله ، وان الله عز وجل لم يكلم جبريل بالقرآن وإنما أخذه من اللوح المحفوظ ، فهل هو على الصواب ام لا ؟

فاجاب : الحمد لله ، ليس هذا على الصواب ، بل هذا ضال مفتر كاذب بانفاق سلف الامة وأئمتها ، بل هو كافر يجب أن يستتاب فان تاب ولا قتل ، واذا قل لا أكذب بلفظ القرآن وهو قوله (وكلم الله موسى تكليماً) بل أقر بأن هذا اللفظ حق لكن أنفي معناه وحقيقته (١)

(١) اي هو كافر وان قال لا أكذب بلفظ القرآن الخ

فمن هؤلاء هم الجهمية الذين اتفق السلف والأئمة على أنهم من شر أهل الأهواء والبدع حتى أخرجهم كثير من الأئمة عن الائمتين والسبعين فرقة

وأول من قل هذه المقالة في الإسلام كان يقل له الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم أضحى، فإنه خطب الناس فقال في خطبته: ضحوا أيها الناس، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا. تهلى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا. ثم نزل فذبجه. وكان ذلك في زمن التابعين فشكروا ذلك، وأخذ هذه المقالة عنه جهم بن صفوان وقتله بخراسان سامة بن أحور، وإليه نسبت هذه المقالة التي تسمى مقالة الجهمية، وهي نفي صفات الله تعالى، فانهم يقولون: إن الله لا يرى في الآخرة ولا يكلم عباده، وأنه ليس له علم ولا حياة ولا قدرة ونحو ذلك من الصفات، ويقولون: اقرآن مخلوق

ووافق الجهم على ذلك المعتزلة أصحاب عمرو بن عبيد وضموا إليها بدعًا أخرى في القدر وغيره، لكن المعتزلة يقولون إن الله كلم موسى حقيقة وتكلم حقيقة، لكن حقيقة ذلك عندهم أنه خالق كلامًا في غيره إما في شجرة وإما في هواء وإما في غير ذلك من غير أن يقوم بذات الله عندهم كلام ولا علم ولا قدرة ولا رحمة ولا مشيئة ولا حياة ولا شيء من الصفات

والجهمية تارة يباحون بحقيقة القول، فيقولون: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا ولا يتكلم، وتارة لا يظفرون هذا اللفظ لما فيه من الشناعة المخالفة لدين الإسلام واليهود والنصارى، فيقرون باللفظ ولكن يقرنون أنه خلق في غيره كلامًا

وأئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة من أن الله كلم موسى تكليمًا وإن اقرآن كلام الله غير مخلوق، وإن المؤمنين

يرون ربهم في الآخرة، كما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ وإن لله علما وقدره ونحو ذلك.

ونصوص الأئمة في ذلك مشهورة متواترة حتى إن بائعهم الطبري حافظ لما ذكر في كتابه في شرح أصول السنة مقالات السلف والأئمة في الأصول ذكر من قل القرآن كلام الله غير مخلوق وقل: في هؤلاء خمسمائة وخمسون نفسا أو أكثر من التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة أمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم. ولو اشتملت بنقل قول أهل الحديث لبغت أنماؤهم الوفاء، لكنني اختصرت فنقلت عن هؤلاء عصرا بعد عصر لا ينكر عليهم منكر، ومن نكر قولهم استتابوه وأمرؤا بقتله أو نفيه أو صلبه، قل: ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال القرآن مخلوق جعد بن درهم في سني نيف وعشرين ومائة، ثم جهم بن صفوان، فاما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسري. واما جهم فقتل بمرور في خلافة هشام بن عبد الملك

وروى بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من وجهين أنهم قالوا له يوم صفين: حكمت رجلين؟ فقال: ما حكمت مخوفا ما حكمت الا القرآن، وعن عكرمة قال كان ابن عباس في جنازة فلما وضع الميت في لحده قام رجل وقال: اللهم رب القرآن اغفر له. فوثب إليه ابن عباس فقال: مه، القرآن منه، وعن عبد الله بن مسعود قل: من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين. وهذا ثابت عن ابن مسعود، وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله، منه بدأ رايه يعود، وفي الخطيب يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال حرب الكرماني ثنا اسحق بن ابراهيم يعني ابن راهويه عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قل: أدركت الناس منذ سبعين

سنة ادركت اصحاب النبي ﷺ فمن دونهم يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق
الا القرآن فانه كلام الله، منه خرج واليه يعود
وهذا قد رواه عن ابن عيينة اسحق واسحق اما أن يكون سمعه منه أو من
بعض اصحابه عنه، وعن جعفر الصادق بن محمد وهو شهرور عنه. أنهم سأله عن
القرآن أخالق هو أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله
وهكذا روى عن الحسن البصري وأيوب السختياني وسليمان التيمي وخلق
من التابعين. وعن مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري وابن أبي ليلى
وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه، وأمثلة هؤلاء من الأئمة،
وكلام هؤلاء الأئمة واتباعهم في ذلك كثير مشهور بل اشتهر عن أئمة السلف تكفير
من قال القرآن مخلوق وانه يستتاب فإن تاب والاقتل، كما ذكروا ذلك عن
مالك بن أنس وغيره، ولذلك قال الشافعي لحفص الفرد وكان من اصحاب ضرار
ابن عمر من يقول القرآن مخلوق، فلما نظر الشافعي وقال انه القرآن مخلوق، قال له
الشافعي، كفرت بالله العظيم، ذكره ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية، قل كان في
كتابي عن الربيع بن سليمان قل حضرت الشافعي أو حدثني ابو شعيب الا أني أعلم
حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد فسأل حفص عبد الله قال:
ما تقول في القرآن؟ فبني أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه، وكلاهما اشار الى
الشافعي، فسأل الشافعي فاحتج عليه وطالت فيه المناظرة، فقال الشافعي بالحجة بان
القرآن كلام الله غير مخلوق وكفر حفصا الفرد قال الربيع فلقيت حفصا في المسجد
بعد هذا فقال اراد الشافعي قتلي

وأما مالك بن أنس فنقل عنه من غير وجه الرد على من يقول القرآن مخلوق
واستتابته، وهذا المشهور عنه متفق عليه بين أصحابه. وأما ابو حنيفة وأصحابه فقد
ذكر ابو جعفر الطحاوي في الاعتقاد الذي قال في أوله (ذكر بيان اعتقاد أهل

السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة) إبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وإبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني) قل فيه «وان القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على نبيه وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأثبتوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده عذابه وتوعده حيث قال (سأصليه سقر) فلما أوعده الله سقر لمن قال (ان هذا إلا قول البشر) علمنا انه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر »

وما أحمد بن حنبل في كلامه في مثل هذا مشهور متواتر، وهو الذي اشتهر بمحنة هؤلاء الجهمية، فانهم أظهروا القول بانكار صفات الله تعالى وحقائق اسمائه وان القرآن مخلوق، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى، ودعوا الناس الى ذلك، وعاقبوا من لم يحبهم إما بالقتل وإما بقطع الرزق وإما بالعزل عن الولاية وإما بالحبس او بالضرب وكفروا من خالفهم، فثبت الله تعالى الامام احمد حتى أظهر الله به باطلهم، ونصر أهل الايمان والسنة عليهم، واذلهم بعد العز، وأخلهم بعد الشهرة، واشتهر عند خواص الامة وعوامها ان القرآن كلام الله غير مخلوق واطلاق القول ان من قال انه مخلوق فقد كفر

وأما اطلاق القول بان الله لم يكلم موسى فهذه مناقضة لنص القرآن فهو أعظم من القول بان القرآن مخلوق، وهذا بلا ريب يستتاب من تاب والاقتل، فانه أنكر نص القرآن، وبذلك أفتى الأئمة والسلف في مثله، ولذي يقول القرآن مخلوق فهو في المعنى موافق له فلذلك كفره السلف

قال البخاري في كتاب (خلق الافعال) قل سفيان الثوري من قال القرآن مخلوق فهو كافر، قل وقال عبد الله بن المبارك من قال (اني أنا الله لا اله الا أنا) مخلوق، فهو كافر ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك، قل وقال ابن المبارك: لا نقول.

كما قالت الجهمية انه في الارض ههنا بل على العرش استوى ، وقيل له كيف نعرف ربنا ؟ قال فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه

وقل : من قل « لا اله الا الله » مخلوق فهو كافر ، وانا نمحي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع ان نمحي كلام الجهمية . قال وقال علي بن عاصم : ما الذين قالوا ان لله ولداً أ كفر من الذين قالوا ان الله لا يتكلم

قال البخاري وكان اسماعيل بن أبي ادريس يسميهم زنادقة العراق ، وقيل له : سمعت أحداً يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : هؤلاء الزنادقة . قال وقال ابو الوليد سمعت يحيى بن سعيد - وذ كر نه ان قوما يقولون القرآن مخلوق - فقال كيف يصنعون (بقل هو الله أحد) كيف يصنعون بقوله (اني أنا الله لا اله الا أنا) ؟ قال : وقال ابو عبيد القاسم بن سلام نظرت في كلام اليهود والمجوس فما رأيت قوما أضل في كفرهم منهم ، واني لاستجمل من لا يكفرهم الا من لا يعرف كفرهم . قال وقال سليمان بن داود الهاشمي : من قال القرآن مخلوق فهو كافر ، وان كان القرآن مخلوقا كما زعموا ، فلم صار فرعون اولى بان يخلد في النار اذ قال (أنا ربكم الاعلى) ؟ وزعموا ان هذا مخلوق والذي قل (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدي) هذا أيضا قد ادعى ما ادعى فرعون ، فلم صار فرعون اولى ان يخلد في النار من هذا ؟ وكلاهما عنده مخلوق . فأخبر بذلك ابو عبيد فاستحسنه وأعجبه

ومعنى كلام هؤلاء السلف رضي الله عنهم : ان من قال ان كلام الله مخلوق خلقه في الشجرة أو غيرها كما قال هذا الجهمي المعتزلي المسؤول عنه ، كان حقيقة قوله ان الشجرة هي التي قالت لموسى (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدي) ومن قال هذا مخلوق قال ذلك ، فهذا الخلق عنده كفر عن الذي قل : أنا ربكم الاعلى ، كلاهما مخلوق ، وكلاهما قال ذلك . فان كان قول فرعون كفراً فنقول هؤلاء أيضا كفر . ولا ريب ان قول هؤلاء يؤول الى قول فرعون ، وان كانوا لا يفهمون

ذلك، فان فرعون كذب موسى فيما أخبر به : من أن ربه هو الاعلى، وانه كله كما
 قال تعالى (وقال فرعون يا امان بن لي صر حامي ابغ لا سباب * أسباب السموات
 فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا) وهو قد كذب موسى في ان الله كله ،
 وليكن هؤلاء يقولون إذا خالق كلاما في غيره صار هو المتكلم به وذلك
 باطل وضلال من وجوه كثيرة

(أحدها) ان الله سبحانه أنطق الاشياء كلها نطقا متاداً ونطقا خارجا عن
 المعتاد، قال تعالى (اليوم نختم على قلوبهم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا
 يكسبون) وقال تعالى (حتى اذا ماجءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
 بما كانوا يعملون * وقالوا الجلود لم تشهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء)
 وقال تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)
 وقد قال تعالى (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق) وقد ثبت ان
 الحصى كن يسبح في يد النبي ﷺ ، وان الحجر كان يسلم عليه . وامثل ذلك
 من نطق الجمادات . فلو كان إذا خلق كلاما في غيره كان هو المتكلم به كان هذا
 كله كلام الله تعالى ويكون قد كلم من سمع هذا الكلام كما كلم موسى بن عمران ،
 بل قد ثبت ان الله خالق أفعال العباد . فكل نطق فالله خالق نطقه وكلامه .
 فلو كان متكلماً به خالقه من الكلام لكان كل كلام في الوجود كلاما حتى كلام
 إبليس والكفار وغيرهم ، وهذا تقول غلاة الجهمية كابن عربي وأمثاله (١) يقولون :

(١) يكثر شيخ الاسلام في هذا البحث من هذا الجمع او التنظير بين الجهمية
 وابن عربي وامثاله من القائلين بوحدة الوجود ولا يذكر فيه الفرق بينهما وهو
 ان الجهمية ينكرون صفات الخالق هربا من تشبيهه بخلقهم فخلوه كالعدم ، والاتحادية
 زعموا انه لا موجود غيره فهو الخالق والخلق عيناً وصفة ، ومن ثم كان كل كلام
 في الوجود كلامه اذ لا وجود كغيره ، وشيخ الاسلام قد فعل مذهبهم هذا وين .
 بطلانه في رسالة أخرى من هذا المجموع

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا شره ونظامه

وهكذا أشباه هؤلاء من غلاة المشبهة الذين يقولون: ان كلام آدميين غير مخلوق، فان كل واحد من الطائفتين يجعلون كلام المخلوق بمنزلة كلام الخالق فأولئك يجعلون الجميع مخلوقاً وان الجميع كلام الله، وهؤلاء يجعلون الجميع كلام الله وهو غير مخلوق، ولهذا كان قد حصل اتصال بين شيخ الجهمية الحلوية وشيخ المشبهة الحلوية بسبب هذه البدع وأمثالها من المنكرات المخالفة لدين الاسلام سلط الله أعداء الدين (١) فن الله يقول (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز* الذين ان مكاهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرهم بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور) وأي معروف أعظم من الايمان بالله واسمائه وآياته؟ وأي منكر أعظم من الالحاد في اسماء الله وآياته؟

(الوجه الثاني) أن يقال هؤلاء الضالين: ما خلقه الله في غيره من الكلام وسائر الصفات فتمايمود حكمه على ذلك المحل لا على غيره، فإذا خلق الله في بعض الاجسام حركة أو طمأ أو لونا أو ريحاً كان ذلك الجسم هو المتحرك المتلون المتروح الطعوم، وإذا خلق بمحل حياة أو علماً أو قدرة أو إرادة أو كلاماً كان ذلك المحل هو الحي العالم القادر المريد المتكلم. فإذا خلق كلاماً في الشجرة أو في غيرها من الاجسام كان ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام، كما لو خلق فيه إرادة أو حياة أو علماً، ولا يكون الله هو المتكلم به، كما إذا خلق فيه حياة أو قدرة أو سمعاً أو بصرًا كان ذلك المحل هو الحي به والقادر به والسميع به والبصير به، فكما انه سبحانه لا يجوز أن يكون متصفاً بما خلقه من الصفات المشروطة بالحياة وغير المشروطة بالحياة، فلا يكون هو المتحرك بما خلقه في غيره من الحركات، ولا المصوت بما خلقه في غيره من

(١) في الكلام نقص امامه (حتى سلط الله علماً السنة ففضحوا أعداء الدين) لمحو نحو هذا مما يتنظم به الكلام

الاصوات، ولا سمعه ولا بصره وقدرته ما خلقه في غيره من السمع والبصر والقدرة،
فكذلك لا يكون كلامه ما خلقه في غيره من الكلام ولا يكون متكلماً بذلك الكلام.
(الوجه الثالث) ان الاسم المشتق من معنى لا يتحقق بدون ذلك المعنى،
فاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل يتمتع بثبوت معناها
دون معنى المصدر التي هي مشتقة منه، والناس متفقون على انه لا يكون متحرك ولا
متكلم الا بحركة وكلام، فلا يكون مريد الا بارادة، وكذلك لا يكون عالم الا
بعلم ولا قادر الا بقدرة ونحو ذلك

ثم هذه الاسماء المشتقة من المصدر انما يسمى بها من قام به مسمى المصدر،
فانما يسمى بالحى من قامت به الحياة، وبالمتحرك من قامت به الحركة، وبالعالم من
قام به العلم، وبالقادر من قامت به القدرة. فاما من لم يقم به مسمى المصدر فيمتنع
أن يسمى باسم الفاعل ونحوه من الصفات. وهذا معلوم بالاغتبار في جميع النظائر،
وذلك لان اسم الفاعل ونحوه من المشتقات هو مركب يدل على الذات وعلى الصفة
والمركب يتمتع بتحقيقه بدون تحقق مفرداته. وهذا كما انه ثبت في الاسماء المشتقة
فكذلك في الافعال مثل تكلم وكلم ويتكلم وتعلم ويعلم وسمع ويسمع ورأى ويرى
ونحو ذلك سواء، قيل ان الفعل المشتق من مصدر أو المصدر مشتق من الفعل،
لانزاع بين الناس ان فاعل الفعل هو فاعل المصدر. فذا قيل كلم أو علم أو تكلم
أو تعلم ففاعل التكلم والتعليم هو المكلم والمعلم. وكذلك تعلم والتكلم، والفاعل
هو الذي قام به المصدر الذي هو التكلم والتعليم والتعلم فاذا قيل : تكلم
فلان او كلم فلان فلانا فلان هو المتكلم والمكلم، فقوله تعالى (وكلم الله موسى
تكليماً) وقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله، ورفع بعضهم
درجات) وقوله (ولما جاء موسى ليقاتلنا وكلمه ربه) يقتضي ان الله هو المتكلم، فكما
يمتنع ان يقال : هو متكلم بكلام قائم بغيره يمتنع أن يقال كلم بكلام قائم بغيره

فهذه ثلاثة أوجه " (أحدها) أنه يلزم الجهمية على قولهم أن يكون كل كلام خلقه الله كلاما له إذ لا معنى لكون القرآن كلام الله إلا كونه خلقه، وكل من فعل كلاما ولو في غيره كان متكلما به عندهم، وليس للكلام عندهم مدلول يقوم بذات الرب تعالى لو كان مدلول قائما يدل لكونه خالق صوتا في محل والدليل يجب طرده فيجب أن يكون كل صوت يخلق له كذلك وهم يجوزون أن يكون الصوت المخلوق على جميع الصفات، فلا يبقى فرق بين الصوت الذي هو كلام الله تعالى على قولهم والصوت الذي هو ليس بكلام (الثاني) أن الصفة إذا قامت بمحل كالعلم والقدرة والكلام والحركة عاد حكمه إلى ذلك المحل ولا يعود حكمه إلى غيره (الثالث) أنه مشتق المصدر منه اسم الفاعل والصفة المشبهة به ونحو ذلك ولا يشتق ذلك لغيره. وهذا كانه بين ظاهر وهو ما يبين قول السلف والأئمة أن من قال أن الله خلق كلاما في غيره لزمه أن يكون حكم التكلم عاداً إلى ذلك المحل لا إلى الله

(الرابع) أن الله أكد تكليم موسى بالمصدر فقال (تكليما) قال غير واحد من العلماء: التوكيد بالمصدر ينفي الجواز، لئلا يظن أنه أرسل إليه رسولا أو كتب إليه كتابا بل كلمه منه إليه
(والخامس) أن الله فضل موسى بتكليمه إياه على غيره ممن لم يكلمه وقال (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) الآية، فكان تكليم موسى من وراء الحجاب، وقال (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) وقال (انا أو حينا إليك كما أو حينا إلى نوح والأنبياء من بعده - إلى قوله - وكلم الله موسى تكليما) والوحي هو ما نزل الله على قلوب

(١) قوله فهذه ثلاثة أوجه، يعني ما تقدم وقد لخصها فيما يأتي وزاد عليه وجهين آخرين كان ينبغي أن يصرح بزيادتهما

الانبياء بلا واسطة، بلو كان تكليمه لموسى انما هو صوت خلقه في الهواء لكان
وحي الانبياء أفضل منه، لان اولئك عرفوا المعنى المقصود بلا واسطة، وموسى
انما عرفه بواسطة، ولهذا كان غلاة الجهمية من الاتحادية ونحوهم يدعون أن ما
يحصل لهم من الالهام أفضل مما حصل لموسى بن عمران وهذا من أعظم الكفر
باتفاق المسلمين،

ولما فهم السلف حقيقة مذهب هؤلاء وانه يقتضي تعطيل الرسالة (١) فن
الرسول انما بعثوا ليلغوا كلام الله، بل يقتضي تعطيل التوحيد، فن من لا يتكلم
بولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات، بل من لا تقوم به الصفات فهو عدم محض
اذ ذات لا صفة لها انما يمكن تقديرها في الذهن لا في الخارج كتقدير وجود مطلق
لا يتعين ولا يتخصص.

فكان قول هؤلاء مضاهيا لقول المتفلسفة الدهرية الذي يحملون وجود الرب
وجودا مطلقا بشرط الاطلاق لا صفة له. وقد علم ان المطلق بشرط الاطلاق
لا يوجد الا في الذهن وهؤلاء الدهرية ينكرون أيضا حقيقة تكليمه لموسى ويقولون
انما هو فيض فض عايمه من العقل الفعال، وهكذا يقولون في الوحي الي جميع
الانبياء. وحقيقة قولهم أن القرآن قول البشر لكنهم صدر عن نفس صافية شريفة. وإذا
كانت المعتزلة خيرا من هؤلاء وقد كفر السلف من يقول بقولهم فكيف هؤلاء؟
وكلام الساف ولائمة في مثل هؤلاء لا يحصى قال حرب بن اسماعيل الكرمني:
سمعت اسحاق بن راهويه يقول: بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام
الله وائس بمخلوق، وكيف يكون شيء من الرب عز ذكره مخلوقا؟ ولون كان كما
يقولوا لزمهم أن يقولوا علم الله وقدرته ومشيتته مخلوقة، فان قالوا ذلك لزمهم أن
يقولوا كان الله تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة، وهو الكفر المحض الواضح،

(١) سقط جواب لما ونقديره ما يناسب المقام نحو (كفر وهم، او انكروا عليهم)

لم يزل الله عالماً متكلاً له المشيئة والقدرة في خلقه، والقرآن كلام الله وليس بمخلوق .
فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر ،

وقل وكيع بن الجراح : من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من
الله مخلوق . فقليل له : من أين قلت هذا ؟ قل لأن الله يقول (ولكن حق القول
مني) ولا يكون من الله شيء مخلوق . وهذا أقول قاله غير واحد من السلف .
وقال أحمد بن حنبل كلام الله من الله ليس بيبائن منه ، وهذا معنى قول
السلف القرآن كلام الله منه بدا ومنه خرج واليه يعود كافي الحديث الذي رواه
أحمد وغيره عن جبير بن نفير قال قل رسول الله ﷺ « انه لم ينزل من السماء
شيء أفضل مما خرج منه » يعني القرآن وقد روي أيضاً عن أبي أمامة مرفوعاً .
وقل أبو بكر الصديق لأصحاب مسيلة الكذاب ، لما سمع قرآن مسيلة « ويحكم أين
يذهب بعقولكم ؟ ان هذا كلاماً لم يخرج من إِبِّ » أي من رب

وليس معنى قول السلف والائمة : إنه منه خرج ومنه بدا ، انه فارق ذاته وحل
بغيره فان كلام المخلوق اذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره ، فكيف يكون كلام
الله : قال تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً) فقد أخبر
أن الكلمة تخرج من أفواههم ومع هذا فلم تفارق ذاتهم

وأيضاً فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره ، لا صفة الخالق ولا صفة
المخلوق ، والناس اذا سمعوا كلام النبي ﷺ ثم بلغوه عنه كان الكلام الذي بلغوه
كلام رسول الله ﷺ وقد بلغوه بحركاتهم وأصواتهم فالقرآن أولى بذلك ،
فالكلام كلام الباري والصوت صوت انقاري ، قل تعالى (وإن أحد من المشركين
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وقل ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم »
ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية فزعموا ان القرآن خلقه
الله في غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله ، كما

القرآن منزل من الله لا من اللوح المحفوظ واستعمل لفظ الانزال فيه ١٤٣-

يقولون كلامه لموسى خرج من الشجرة ، فبين السلف والائمة ان القرآن من الله بدأ وخرج وذكروا قوله (ولكن حق اقول مني) فأخبر ان اقول منه لا من غير ومن المخلوقات ،

و « من » هي لا ابتداء الغاية ، فن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لما يكن صفة لله كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) وقوله في المسيح (وروح منه) وكذلك ما يقوم بالاعيان كقوله (وما بكم من نعمة فمن الله) وأما اذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله (ولكن حق اقول مني) وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن ان القرآن نزل منه وانه نزل به جبريل منه ردّاً على هذا المبتدع المقتري وأمثله ممن يقول انه لم ينزل منه قل تعالى (قل أفغير الله أتبغي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وقال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وروح القدس هو جبريل ، كما قال في الآية الأخرى (نزل به الروح الامين على قلبك) وقال (من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) وقال هنا (نزله روح القدس من ربك) فبين ان جبريل نزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك ، وكذلك سائر آيات القرآن كقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) وقوله (حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) وقوله (حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم) وقوله (ألم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) وقوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) فقد بين في غير موضع انه منزل من الله ، فمن قل انه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مقرر على الله مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين ، ألا ترى ان الله فرق بين ما نزل منه وما نزل من بعض المخلوقات كالمنزل بأن قال (أنزل من السماء ماء) فذكر المطر في غير موضع وأخبر انه نزل من السماء ، واطمأن

أخبر انه منزل من السماء وأخبر بتنزيله طمق في مش قوله (وأترانا الحديد) لان الحديد ينزل من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء وكذلك الحيوان فن الذكر ينزل الماء في الاناث فلم يقل فيه من السماء ، ولو كان جبريل أحد اقرآن من الموح المحفوظ لسكان اليهود أكرم على الله من مة محمد ، لانه قد ثبت بالنقل الصحيح ان الله كتب لموسى ان توراة بيده ونزلها مكتوبة (١) فيكون بنو اسرائيل قد قرأوا الاالواح التي كتبها الله ، وأما المسلمون فأخذوه عن محمد ﷺ ، ومحمد أخذ عن جبريل وجبريل عن اللوح ، فيكون بنو اسرائيل بمنزلة جبريل . وتكون منزلة بني اسرائيل أرفع من منزلة محمد ﷺ على قول هؤلاء الجهمية ، والله سبحانه جعل من فضائل أمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه نزل عليهم كتابا لا يغسله الماء وانه نزل عليهم تلاوة لا كتابة ، وفرقه عليهم لاجل ذلك . فقل (وقرآن فرقناه لقراءه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) وقول تعالى (وقرأوا لولا نزل عليه اقرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)

ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله وإنما وجدته مكتوبا كانت العبارة عبارة جبريل وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله كما يترجم عن الاخرس الذي كتب كلاما ولم يقدر أن يتكلم به . وهذا خلاف دين المسلمين ،

وإن احتج محتج بقوله (انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين) قيل له فقد قل في الآية الأخرى (انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا مذكرون) فالرسول في هذه الآية محمد ﷺ والرسول في الأخرى جبريل ، فلو أريد به ان الرسول أحدث عبارته لتناقض

(١) المراد بالنزوة هنا أصول الشريعة وهي الرصايا التي في الاالواح لاكل أحكام الشريعة من عبادات واحتفالات وقربات وغيرها فن هذه ثمرات التدرج فوهذا يجمع عليه عند اليهود

الخبر ان. فعلم أنه أضافه اليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث ولهذا قل (تقول رسول) ولم يقل ملك ولا نبي، ولا ريب ان الرسول بلغه كما قال (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) فكان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموسم ويقول «ألا رجل يحملي الى قومه لأبلغ كلام ربي، فان قریشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» ولما أنزل الله (ألم غلبت الروم) خرج أبو بكر الصديق فقرأها على الناس فقالوا: هذا كلامك أم كلام صاحبك؟ فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله وان احتج بقوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) قيل له هذه الآية حجة عليك، فانه لما قال (ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث) علم ان الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث، لان النكرة اذا وصفت ميز بها بين الموصوف وغيره، كما لو قل: ما يأتي من رجل مسلم إلا أكرمه، وما آكل إلا طعاما حلالا ونحو ذلك. ويعلم ان المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي ولكنه الذي أنزل جديداً، فان الله كان ينزل اقرآن شيئاً بعد شيء، فلينزل أولاً هو قديم بالنسبة الى المنزل آخر. وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال (كالمرجون القديم) وقال (تالله انك لفي ضلالك القديم) وقال (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) وقال (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) وكذلك قوله (جعلناه قرآنا عربيا) لم يقل جعلناه فقط حتى يظن انه بمعنى خلقناه ولكن قال (جعلناه قرآنا عربيا) أي صيرناه عربيا لانه قد كان قادراً على أن ينزله عجميا، فلما أنزله عربيا كان قد جعله عربيا دون عجمي. وهذه المسئلة في أصول أهل الايمان والاسنة التي فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم، والكلام عليها مبسوط في غير هذا الموضع والله أعلم.

فتوى أخرى

﴿ لشيخ الاسلام في تكليم الله لموسى عليه السلام ﴾

(وهل هو بحرف وصوت ام لا ؟ ومن أنكره)

﴿ مسألة ﴾ فيمن قال : ان الله لم يكلم موسى تكليماً ، فقال له آخر : بل كليمه تكليماً ، فقال : ان قلت كليمه فالكلام لا يكون الا بحرف وصوت ، والحرف والصوت محدث ، ومن قل : ان الله كلم موسى بحرف وصوت فهو كافر ، فهو كما قال اولاً ؟
(الجواب) الحمد لله : اما من قال ان الله لم يكلم موسى تكليماً فهذا ان كان لم يسمع القرآن فانه يعرف ان هذا نص القرآن ، فان انكره بعد ذلك استتيب فان تاب والا قتل ، ولا يقبل منه ان كان كلامه بعد (١) ان يجحد نص القرآن ، بل لو قال ان معنى كلامي انه خلق صوتاً في الهواء فاستمع به موسى كان كلامه ايضاً كفراً ، وهو قول الجهمية الذين كفروهم السلف قالوا : يستتابون فان تابوا والا قتلوا ، لكن من كان مؤمناً بالله ورسوله مطلقاً ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب فانه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر . اذ كثير من الناس يخطيء فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيراً مما يرد من معاني الكتاب والسنة ، والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الامة . والكفر لا يكون الا بعد البيان

والأئمة الذين امرؤا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله في الآخرة ويقولون القرآن مخلوق ونحو ذلك ، قيل انهم امرؤا بقتلهم لكفرهم ، وقيل لانهم اذا دعوا الناس الى بدعتهم اضلوا الناس فقتلوا لاجل الفساد في الارض وحفظا لدين الناس ان يضلوه

(١) كذا وله (وان كان كلامه من غير أن)

وبالجملة فقد اتفق سلف الامة وأئمتها على ان الجهمية من شر طوائف أهل البدع ، حتى أخرجهم كثير عن الثنتين والسبعين فرقة

ومن الجهمية المتفلسفة والمعتزلة الذين يقولون ان كلام الله مخلوق وان الله انما كلم موسى بكلام مخلوق خلقه في الهواء ، وانه لا يرى في الآخرة ، وانه ليس مباني خلقه ، وأمثال هذه المقلات التي تستلزم تعطيل الخالق وتكذيب رسله وإبطال دينه وأما قول الجهمي : ان قلت كلمة الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ، والحرف والصوت محدث ، ومن قال ان الله كلم موسى بحرف وصوت فهو كافر . فيقال لهذا الملاحد : أنت تقول انه كلم بحرف وصوت ، لكن تقول بحرف وصوت خلقه في الهواء وتقول : انه لا يجوز أن تقوم به الحروف والاصوات لانها لا تقوم الا بمتحيز ، والباري ليس بمتحيز ، ومن قال انه متحيز فقد كفر . ومن المعلوم ان من جحد ما نطق به الكتاب والسنة كان أولى بالكفر ممن أقربا جاء به الكتاب والسنة

وان قال الجاحد انص الكتاب والسنة ان العقل معه قل له الموافق للنصوص : بل العقل معي وهو موافق للكتاب والسنة ، فهذا يقول ان معه السمع والعقل ، وذلك انما يحتاج لقوله بما يدعيه من العقل الذي يبين منازعه فساد ، ولو قدر أن العقل معه والكفر هو من الاحكام الشرعية وليس كل من خالف شيئا علم بنظر العقل يكون كافرا ، ولو قدر أنه جحد بعض صرائح العقول لم يحكم بكفره حتى يكون قوله كفرا في التريعة

وأما من خالف ما علم أن الرسول جاء به فهو كافر بلا نزاع . وذلك أنه ليس في الكتاب والسنة ولا في قول أحد من سلف الامة وأئمتها الاخبار عن الله بانه متحيز أو انه ليس بمتحيز ، ولا في الكتاب والسنة أن من قال هذا وهذا يكفر . وهذا اللفظ مبتدع والكفر لا يتعلق بمجرد اسماء مبتدعة لا أصل لها في الكتاب والسنة ، بل يستفسر هذا القائل اذا قل ان الله متحيز أو ليس بمتحيز فان قال اعني بقولي انه

متحيز: انه دخل في المخلوقات وإن المخلوقات قد حازته وأحاطت به فهذا باطل. وإن قل اعني به انه محاز عن المخلوقات مبين لها، فهذا حق

وكذلك فوله ليس بمتحيز، ان اراد به ان المخلوق لا يحوز الخالق فقد أصاب، وإن قال ان الخالق لا يباين المخلوق وينفصل عنه فقد أخطأ

وإذا عرف ذلك فالناس في الجواب عن حجة الداحضة وهي قوله « لو قلت انه كلمة فالكلام لا يكون الا بحرف وصوت والحرف والصوت محدث » ثلاثة أصناف. صنف ممنوعه المقدمة الاولى. وصنف ممنوعه المقدمة الثانية وصنف لم يمنعوه المقدمة بل استفسروه وبينوا أن ذلك لا يمنع أن يكون الله كلم موسى تكليما فالصنف الاول ابو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب وأبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ومن اتبعهما قالوا: لا نسلم أن الكلام لا يكون الا بحرف وصوت بل الكلام معنى قائم بذات التكلم والحروف والاصوات عبارة عنه، وذلك المعنى القائم بذات الله تعالى يتضمن الامر بكل ما أمر به والخبر عن كل ما أخبر عنه، فان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا، وقالوا: انه اسم الكلام حقيقة، فيكون اسم الكلام مشتركا أو مجازا في كلام الخالق، وحقيقة في كلام المخلوق

والصنف الثاني سلموا لهم ان الكلام لا يكون الا بحرف وصوت ومنعوه المقدمة الثانية، وهو ان الحرف والصوت لا يكون إلا محدثا، وصنف (١) قالوا إن المحدث كالحادث سواء كان قائما بنفسه أو بغيره وهو يتكلم بكلام لا يكون قديما به وهو بحرف وصوت، وهذا قول من يقول القرآن قديم وهو بحرف وصوت كأبي الحسن بن سالم واتباعه السالمية وطوائف ممن اتبعه، وقال هؤلاء في الحرف والصوت نظير ما قاله الذين قباهم في المعاني،

(١) أي وصنف آخر من هذا الصنف الثاني ولذلك تكرر والا صارت

الاصناف اربعة

وقالوا كلام لا بحرف ولا صوت لا يعقل ، ومعنى يكون أمراً ونهياً وخبراً
ممتنع في صريح العقل ، ومن ادعى ان معنى التوراة والانجيل والقرآن واحد وانما
اختلفت العبارات الدالة عليه - فقولهم معلوم الفساد بالاضطرار عقلاً وشرعاً وإخراج
الحروف عن مسمى الكلام مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات وإن جاز أن
يقول : ان الحروف والاصوات المخلوقة في غير كلام الله حقيقة أمكن حينئذ أن
يكون كلم موسى بكلام مخلوق في غيره ،

وقالوا لاخوانهم الاولين : اذا قلتم ان الكلام هو مجرد المعنى وقد خلق
عبارة بيان (١) فان قلتم ان تلك العبارة كلامه حقيقة بطلت حجبتكم على المعتزلة
فان أعظم حجبتكم عليهم قولكم انه يمتنع أن يكون متكلماً بكلام يخلقه في غيره ،
كما يمتنع أن يعلم بعلم قائم بغيره ، وأن يقدر بقدره قائمة بغيره ، وأن يريد بارادة
قائمة بغيره ، وإن قلتم هي كلام مجازاً لزم أن يكون الكلام حقيقة في المعنى مجازاً
في اللفظ، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات

والصنف الثالث : الذين لم يمتنعوا المتقدمين ولكن استفسروهم ويذنبوا ان هذا لا يستلزم
صحة قولكم ، بل قالوا : إن قلتم ان الحرف والصوت محدث بمعنى انه يجب أن يكون مخلوقاً
منه منضلاً عنه ، فهذا دليل على فساد قولكم وتناقضه ، وهذا قول ممنوع ، وإن قلتم
بمعنى انه لا يكون قديماً فهو مسلم لكن هذه التسمية محدثة ،

وهؤلاء صنفان : صنف قالوا ان المحدث هو المخلوق المنفصل عنه فاذا قلنا : الحرف
والصوت لا يكون إلا محدثاً كان بمنزلة قولنا لا يكون إلا مخلوقاً ، وحينئذ فيكون هذا
المعتزلي أبطل قوله بقوله حيث زعم انه يتكلم بحرف وصوت مخلوق ، ثم استدلل على
ذلك بما يقتضي انه يتكلم لا يتكلم بكلام مخلوق وفيه تلبيس

ونحن لا نقول كلم موسى بكلام قديم ولا بكلام مخلوق ، بل هو سبحانه

يتكلم اذا شاء ويسكت اذا شاء ، كما انه سبحانه وتعالى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وانه سبحانه استوى الى السماء وهي دخان ، وانه سبحانه يأتي في ظلل من الغمام والملائكة ، كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (وقال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك) (وقال تعالى (انما امره إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (وقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (وأمثل ذلك في القرآن والحديث كثير ، يبين الله سبحانه أنه اذا شاء فعل ما أخبر عنه من تكليمه وأفعاله القائمة بنفسه ، وما كان قائماً بنفسه هو كلامه لا كلام غيره . والمخلوق لا يكون قائماً بالخالق ، ولا يكون الرب محلاً للمخلوقات ، بل هو سبحانه يقوم به ماشاء من كلماته وأفعاله ، وليس من ذلك شيء مخلوقاً ، انما المخلوق ما كان باثنا عنه . وكلام الله من الله ليس بيائن منه ، ولهذا قال السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، فقالوا : منه باء أي هو انتكلم به ، لا انه خلقه في بعض الاجسام المخلوقة وهذا الجواب هو جواب أئمة اهل الحديث والتصوف والفقه وطوائف من أهل الكلام من أئمتهم : من الهشامية والكرامية وغيرهم وأتباع الأئمة الاربعة اصحاب ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ، منهم من يختار جواب الصنف الاول ، وهم الذين يرتضون قول ابن كلاب في اقرآن ، وهم طوائف من متأخري اصحاب مالك والشافعي واحمد وأبي حنيفة ، ومنهم من يختار جواب الصنف الثاني ، وهم الطوائف الذين ينكرون قول ابن كلاب ويقولون ان اقرآن قديم كالسالمية وطوائف من اصحاب مالك والشافعي واحمد وابي حنيفة ، ومنهم من يختار جواب الطائفة الثالثة ، وهم الذين ينكرون قول الطائفتين المتقدمتين الكلاية والسالمية

نعم من هؤلاء من يقول بقول الكرامية ، والكرامية ينتسبون الى ابي حنيفة ، ومنهم من لا يختار قول الكرامية أيضاً لما فيه من تناقض آخر ، بل يقول بقول أئمة

الحديث كالبخاري وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن اسحاق بن خزيمة ومن قبلهم من السلف، كابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعبد الله بن المبارك واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه. وما نقل من ذلك عن الصحابة والتابعين، وفي ذلك آثار كثيرة معروفة في كتب السنن والآثار تضيق عنها هذه الورقة.

وبين الاصناف الثلاثة منازعات ودقائق تضيق عنها هذه الورقة، وقد بسطنا الكلام عليها في مواضع وبيننا حقيقة كل قول، وما هو القول الصواب في صريح العقول وصحيح المنقول (١) لكن هؤلاء الطوائف كلهم متفقون على تضليل من يقول ان كلام الله مخلوق. والامة متفقة على ان من قال ان كلام الله مخلوق لم يكلم موسى تكليماً يستتاب فان تاب والا يقتل

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً

فتوى أخرى

شيخ الاسلام رحمه الله في القرآن هل هو بحرف وصوت أم لا ؟

وفي نقط المصحف وشكله، هل هما منه أم لا ؟

سئل رحمه الله تعالى عن رجلين تباحثا، فقال أحدهما: القرآن حرف وصوت وقال الآخر: ليس هو بحرف ولا صوت، وقال أحدهما: النقط التي في المصحف والشكل من القرآن، وقال الآخر: ليس ذلك من القرآن، فما الصواب في ذلك؟ (فاجاب رضي الله عنه) الحمد لله رب العالمين. هذه المسئلة يتنازع فيها كثير من الناس ويخطئون الحق بالباطل، فالذي قال: ان القرآن حرف وصوت إن أراد بذلك ان هذا القرآن الذي يقرأ للمسلمين هو كلام الله الذي نزل به

(١). وقد تقدم كل هذا في مواضع من هذه المجموعة

الروح الامين على محمد صلوات الله وسلامه عليه خام النبيين والمرسلين وان جبريل سمعه من الله والنجي صلوات الله وسلامه عليه سمعه من جبريل ، والمسلمون سمعوه من النبي صلوات الله وسلامه عليه كما قال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) فقد أصاب في ذلك ، فإن هذا مذهب سلف الامة وأئمتها والدلائل على ذلك كثيرة من الكتب والسنة والاجماع ،

ومن قل : إن القرآن العربي لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبريل أو غيره عبر به عن المعنى القائم بذات الله ، كما يقول ذلك ابن كلاب والاشعري ومن وافقهما فهو قول باطل من وجوه كثيرة

فان هؤلاء يقولون : انه معنى واحد قائم بالذات ، وان معنى التوراة والانجيل والقرآن واحد ، وانه لا يتعدد ولا يتبعض ، وأنه ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وبالعبرانية كان توراة وبالسريانية كان انجيلا ، فيجملون معنى آية الكرسي وآية الدين (قل هو الله أحد) (ثبت يدا أبي لهب) والتوراة والانجيل وغيرها معنى واحداً ، وهذا قول فاسد بالعقل والمشاهدة ، وهو قول أحدثه ابن كلاب لم يسبقه اليه غيره من السلف ،

وان أراد انقائل بالحرف والصوت أن الاصوات المسموعة من القراء ، والمداد الذي في المصاحف قديم أزلي ، أخطأ وابتدع ، وقال ما يخالف العقل والشرع ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قل « زينوا القرآن بأصواتكم » فبين أن الصوت صوت القارئ ، والكلام كلام الباري ، كما قال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فاتقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله لا كلام غيره كما ذكر الله ذلك ، وفي السنن عن جابر بن عبد الله أن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول « الا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » وقالوا لا بي بكر الصديق ، لما قرأ عليهم

(ألم غلبت الروم) أهذا كلامك أم كلام صاحبك ؟ فقال : ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله تعالى .

والناس إذا بلغوا كلام النبي ﷺ كقولهم « إنما الأعمال بالنيات » ان الحديث الذي يسمعون به حديث النبي ﷺ تكلم به بصوته وبحروفه ومعانيه ، والمحدث بلغه عنه بصوت نفسه لا بصوت النبي ﷺ ، فالقرآن أولى أن يكون كلام الله إذا بلغته الرسل . عنه وقرنه الناس بأصواتهم

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه ونادى موسى بصوت نفسه ، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته ، فإن الله ليس كمثل شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ،

وقد نص أئمة الاسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من ان الله ينادي بصوت ، وان القرآن كلامه تكلم بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً تعبده ، لا جبريل ولا غيره ، وان العباد يقرؤنه بأصوات أنفسهم وأفعالهم ، فالصوت المسموع من العبد صوت القاري . والكلام كلام البارئ .

وكثير من الخاضعين في هذه المسئلة لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب بل يجعل هذا هو هذا فينفهم جميعاً أو يثبتهما جميعاً ، فإذا نفى الحرف والصوت نفى أن يكون القرآن عربي كلام الله ، وأن يكون منادياً لعباده بصوته ، وأن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله كما نفى أن يكون صوت العبد صفة لله عز وجل ، ثم جعل كلام الله المتنوع شيئاً واحداً لا فرق بين القديم والحديث ، وهو مصيب في هذا الفرق دون ذلك الثاني الذي فيه نوع من الالحد والتعطيل ، حيث جعل الكلام المتنوع شيئاً واحداً لا حقيقة عند التحقيق .

وإذا ثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد أو سكت عن التمييز بينهما : مع قوله ان الحروف متعاقبة في الوجود ، فقرة في الذات قديمة أزلية الاعيان فجعل .

عين صفة الرب تحمل في العبد أو يتحد بصفته فقل بنوع من الحلول والاتحاد ينفضي الى نوع من التعطيل .

وقد علم ان عدم الفرق والمباينة بين الخلق وصفاته والمخلوق وصفاته خطأ وضلال لم يذهب اليه أحد من سلف الامة وأئمتها، بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد، ومتفقون أن الله تكلم بالقرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ وحروفه ومعانيه، وأنه ينادي عباده بصوته، ومتفقون على ان الاصوات المسموعة من اقراء أصوات العباد، وعلى انه ليس شيء من أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديم، بل ان قرآن مكتوب في مصاحف المسلمين مقروء بألسنتهم محفوظ بقلوبهم وهو كله كلام الله . والصحابة كتبوا المصاحف لما كتبوها بغير شكل ولا نقط لانهم كانوا عربا لا يملكون، ثم لما حدث اللاحق نقط الناس المصاحف وشكوا، فان كتبت بلا شكل ولا نقط جاز، وإن كتبت بنقط وشكل جاز ولم يكره في أظرفي العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد وحكم النقط والشكل حكم الحروف، فان الشكل يبين إعراب القرآن كما يبين النقط الحروف، والمداد الذي يكتب به الحروف يكتب به الشكل والنقط مخلوق، وكلام الله العربي الذي أنزله وكتب في المصاحف بالشكل والنقط وبغير شكل ونقط ليس بمخلوق، وحكم الاعراب حكم الحروف، لكن الاعراب لا يستقل بنفسه بل هو تابع للحروف المرسومة فلهذا لا يحتاج لتجريدتها وإفرادها بالكلام، بل القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله ومعانيه وحروفه وإعرابه، والله تكلم بالقرآن العربي الذي أنزله على محمد ﷺ والناس يقرءونه بأفعالهم وأصواتهم . والمكتوب في مصاحف المسلمين هو كلام الله وهو القرآن العربي الذي أنزل على نبيه سواء كتب بشكل ونقط أو بغير شكل ونقط، والمداد الذي كتب به القرآن ليس بقديم بل هو مخلوق، والقرآن الذي كتب في المصحف بالمداد هو كلام الله منزل غير مخلوق، والمصاحف يجب احترامها

باتفاق المسلمين لان كلام الله مكتوب فيها ، واحترام النقط والشكل اذا كتب
المصحف مشكلا منقوطة كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين ، كما ان حرمة
إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين . ولهذا قال أبو بكر وعمر :
حفظ إعراب القرآن أحب اليينا من حفظ بعض حروفه .

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه فجميعه كلام الله فلا يقل بعضه كلام الله وبعضه
ليس بكلام الله وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، فنه قد أخبر انه نادى
موسى في غير موضع من القرآن ، قال تعالى (هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه
بالواد المقدس طوى) والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة ، وقد قال تعالى
(إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم
واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان
وأتيناه داود زبوراً *) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك ، وكلم الله موسى تكليماً) فقد فرق الله بين إحيائه الى النبيين وبين تكليمه
لموسى ، فمن قل ان موسى لم يسمع صوتا بل ألهم معناه ، لم يفرق بين موسى وغيره
وقد قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات) وقال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء
حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء) فقد فرق بين الإحياء والتكلم
من وراء حجاب كما كلم الله موسى ، فمن سوى بين هذا وهذا كان ضالاً ،
وقد قال الامام أحمد رضي الله عنه وغيره : لم يزل الله متكلماً اذا شاء وهو يتكلم
بمشيئته وقدرته ، يتكلم بشيء بعد شيء ، كما قال تعالى (فلما أتاه نودي يا موسى)
فناداه حين أتاه ولم يناده قبل ذلك ، وقال تعالى (فأكلا منها فبست لهما
سواتهما وطبقنا بخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكما
الشجرة وقلا لئما ان الشيطان لكما عدو مبين) فهو سبحانه ناداهما حين أكلا

منها ولم ينادها قبل ذلك ، وكذلك قال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك ، وكذا قوله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فأخبر انه قال له كن فيكون بعد أن خلقه من تراب ، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر انه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين . وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه لما خرج الى الصفا قرأ قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال « نبدأ بما بدأ الله به » فأخبر ان الله بدأ بالصفا قبل المروة والسلف اتفقوا على : ان كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود . فظن بعض الناس ان مرادهم انه قديم العين ، ثم قالت طائفة : هو معنى واحد وهو الامر بكل ما مور والنهي عن كل منهي ، والخبر بكل مخبر ، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآن ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا ، وإن عبر عنه بالسريانية كان انجيل . وهذا القول مخالف للشرع والعقل .

وقالت طائفة : هو حروف وأصوات قديمة الاعيان لازمة لذات الله لم تزل لازمة لذاته ، وإن الباء والسين والميم موجودة مقترنة بعضها ببعض معاً زلاً وأبداً لم تزل ولا تزال لم يسبق منها شيء شيئاً . وهذا أيضاً مخالف للشرع والعقل ، وقالت طائفة : ان الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وان في الازل كان متكلماً بالنداء الذي سمعه موسى ، وانما تجدد استماع موسى لأنه ناداه حين أتى الوادي المقدس بل ناداه قبل ذلك بما لا يتناهى ولكن تلك الساعة سمع النداء . وهؤلاء وافقوا الذين قالوا ان القرآن مخلوق في أصل قولهم . فان أصل قولهم ان الرب لا تقوم به الامور الاختيارية فلا يقوم به كلام ولا فعل باختياره ومشيئته ، ولو احدثه حوادث والرب لا تقوم به الحوادث فخلعوا صحيح المنقول وصريح المعقول واعتقدوا انهم بهذا يردون على الفلاسفة ويثبتون حدوث العالم ، وأخطأوا في ذلك ، فلا للاسلام نصروا ، ولا للفلاسفة كسروا

حوادعوا ان الرب لم يكن قادراً في الازل على كلام يتكلم به ولا فعل يفعله، وانه صار قادراً بعد ان لم يكن قادراً بغير أمر حدث، او يغيرون العبارة فيقولون لم يزل قادراً، لكن يقولون ان المقدور كان ممتنعاً، وان الفعل صار ممكناً له بعد أن صار ممتنعاً عليه من غير تجديد شيء، وقد يعبرون عن ذلك بان يقولوا كان قادراً في الازل على ما يمكن فيما لا يزل، لا على ما لا يمكن في الازل، فيجمعون بين المنقيضين، حيث يثبتونه قادراً في حال كون المقدور عليه ممتنعاً عندهم، ولم يفرقوا بين نوع الكلام والفعل وبين عينه كما لم يفرق الفلاسفة بين هذا وهذا بل الفلاسفة ادعوا ان مفعوله المعين قديم بدمه، فضلوا في ذلك وخالفوا صريح العقول وصحيح المنقول. فان الادلة لا تدل على قدم شيء بعينه من العالم بل تدل على ان ماسوى الله مخلوق حادث بعد ان لم يكن، اذ هو فاعل بقدرته ومشيتته كما تدل على ذلك الدلائل القطعية، والفاعل بمشيئته لا يكون شيء من مفعوله لازماً بصريح العقل. واتفق عامة العقلاء، بل وكل فاعل لا يكون شيء من مفعوله لازماً لذاته، ولا يتصور مقارنة مفعوله المعين له، ولو قدر انه فاعل بغير ارادة فكيف الفاعل بالارادة، وما يذكربان العلول يقارن علته انما يصح فيما كان من العلل يجري مجرى الشروط فان الشرط لا يجب أن يتقدم على الشروط بل قد يقارنه كما تقارن الحياة العلم، وأما ما كان فاعلاً سواء سمي علة او لم يسم علة فلا بد أن يتقدم على الفعل المعين، والفعل المعين لا يجوز أن يقارنه شيء من مفعولاته، ولا يعرف العقلاء فاعلاً فقط يلتزمه مفعول معين، وقول القائل حركت يدي فتحرك الخاتم هو من باب الشروط لا من باب الفاعلين (١) ولانه لو كان العالم قديماً لكان فاعله موجبا بذاته في الازل ولم يتأخر عنه موجهه ومقتضاه، ولو كان كذلك لم يحدث شيء من الحوادث وهذا خلاف المشاهدة، وان كان هو سبحانه لم يزل قادراً على الكلام والفعل (١) بل لم يزل متكلماً اذا شاء فاعلاً لما يشاء، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال،

(١) لينظر العطف في هذه الجملة الشرطية على أي شيء يقابله، ولينظر

جواب شرطها ابن هـ ؟

منعوتا بنعوت الجلال والاكرام ، والعالم فيه من الاحكام والاتقان ما دل على علم الرب ، وفيه من الاختصاص ما دل على مشيئته ، وفيه من الاحسان ما دل على رحمته ، وفيه من العواقب الحميدة ما دل على حكمته ، وفيه من الحوادث ما دل على قدرة الرب تعالى ، مع ان الرب مستحق لصفات الكمال لذاته ، فانه مستحق لكل كمال ممكن للوجود لا نقص فيه منزعه عن كل نقص ، وهو سبحانه ليس له كفو في شيء من أموره ، فهو موصوف بصفات الكمال على وجه التفصيل منزعه فيها عن التشبيه والتمثيل ، ومنزه عن النقائص مظلمة ، فان وصفه بها من أعظم الاباطيل ، وكما هو من لوازم ذاته المقدسة لا يستفيد من غيره بل هو المنعم على خلقه بالخلق والانشاء وما جعله فيهم من صفات الاحياء ، وخالق صفات الكمال أحق بها ، ولا كفو له فيها . وأصل اضطراب الناس في مسألة كلام الله ان الجهمية والمعتزلة ناظرت .

الفلاسفة في مسألة حدوث العالم اعتقدوا ان ما يقوم به من الصفات والافعال المتعاقبة لا يكون الا حادثا بناء على أن ما لا يتناهى لا يمكن وجوده (١) ، والتزموا ان الرب كان في الازل غير قادر على الفعل والكلام بل كان ذلك ممتهما عليه وكان معطلا عن ذلك وقد يبرون عن ذلك بأنه كان قادراً في الازل على الفعل فيما لا يزال مع امتناع الفعل عليه في الازل فيجمعون بين النقيضين حيث يصفونه بالقدرة في حال امتناع المقدور لذاته إذ كان الفعل يستلزم أن يكون له أول والازل لا أول له والجمع بين إثبات الاولية ونفيها جمع بين النقيضين

ولم يهتدوا الى الفرق بين ما يستلزم الاولية والحدوث وهو الفعل المعين والمفعول المعين ، وبين ما لا يستلزم ذلك وهو نوع الفعل والكلام بل هذا يكون دائماً وإن كان كل من آحاده حادثاً كما يكون دائماً في المستقبل وإن كان كل من آحاده فانياً ، بخلاف خالق يلزمه مخلوقه المعين دائماً فان هذا هو الباطل في صريح العقل

(١) يعني في الازل ، تركه لئلا يهبط به او سقط من الناسخ

وصحيح النقل ولهذا اتفقت فطر العقلاء على إنكار ذلك لم ينازع فيه الاشرذمة من المتفلسفة كابن سينا وأمثاله الذين زعموا أن الممكن المفعول قد يكون قديما واجب الوجود بغيره فخالفوا في ذلك جمهير العقلاء مع مخالفتهم لسلفهم إرسطو و تباعه فنه لم يكونوا يقولون ذلك وإن قالوا بدم الافلاك ، وأرسطو أول من قل بقدمها من الفلاسفة المشائين بناء على إثبات علة غائية لحركة الفلك يتحرك الفلك للتشبه بها لم يشبتوا له فاعلا مبدعا ولم يشبتوا ممكنا قديما واجبا بغيره وهم وإن كانوا أجهل بالله واكفر من متخريهم فهم يسلمون لجمهور العقلاء ان ما كان ممكنا بذاته فلا يكون إلا محدثا مسبوقا بالعدم فحتاجوا أن يقولوا كلامه مخلوق منفصل عنه ،

وظائفة وافقتهم على امتناع وجود ما لا نهاية له لئكن قالوا تقوم به الامور الاختيارية فقالوا أنه في الازل لم يكن متكلاما بل ولا كان الكلام مقدورا له ثم صار متكلاما بلا حدوث حادث بكلام يقوم به وهو قول الهاشمية والكرامية وغيرهم ، وظائفة قالت إذ كان القرآن غير مخلوق فلا يكون الا قديما العين لازما لذات الرب فلا يتكلم بمشيئته وقدرته ، ثم منهم من قال هو معنى واحد قديم ، فجعل آية الكرسي وآية الدين وسائر آيات القرآن التوراة والانجيل وكل كلام يتكلم الله به معنى واحدا لا يتعدد ولا يتبعض ، ومنهم من قال انه حروف وأصوات مقررنة لازمة للذات ، وهؤلاء أيضا وافقوا الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم انه متكلم بكلام لا يقوم بنفسه ومشيئته وقدرته وأنه لا تقوم به الامور الاختيارية ، وأنه لم يستوعب عرشه بعد أن خلق السموات والارض ، ولا يأتي يوم القيامة ، ولم يناد موسى حين ناداه ، ولا تفضبه المعاصي ولا ترضيه الطاعات ولا تفرحه توبة التائبين وقالوا في قوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ونحو ذلك : إنه لا يراها إذا وجدت بل إما أنه لم يزل رائها لها وإما .

أنه لم يتجدد شيء موجود بل تماق معدوم ، إلى أمثال هذه المقالات التي خالفوا فيها نصوص الكتاب والسنة مع مخالفة صريح العقل ،

والذي الجاهم لذلك موافقتهم للجهمية على أصل قولهم في أنه سبحانه لا يقدر في الازل على الفعل والكلام وخالفوا السلف والأئمة في قولهم : لم يرزل الله متكلماً إذ شاء ثم افرقوا أحزاباً أربعة كما تقدم ، الخلقية ، والحدوثية ، والاتحادية ، والاقترانية ، وشر من هؤلاء الصابئة والفلاسفة الذين يقولون أن الله لم يتكلم لا بكلام قائم بذاته ولا بكلام يتكلم به بمشيئته وقدرته لا قديم النوع ولا قديم العين ولا حادث ولا مخلوق ، بل كلامه عندهم ما يفيض على نفوس الانبياء ويقولون نه كلم موسى من سماء عتله ، وقد يقولون انه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات ، فنه انما يعلمها على وجه كلي ، ويقولون مع ذلك انه يعلم نفسه ويعلم ما يفعله ،

وقولهم بعلم نفسه ومفعولاته حق ، كما قل تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) لكن قولهم مع ذلك : انه لا يعلم الاعيان المعينة جهل وتناقض فان نفسه المقدسة معينة والافلاك معينة وكل موجود معين ، فن لم يعلم المعينات لم يعلم شيئاً من الموجودات ، إذ الكليات انما تكون كليات في الازهان لا في الاعيان ، فن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . وهم انما الجاهم الى هذا الالحاد فرارهم من تجدد الاحوال للباريء تعالى ، مع ان هؤلاء يقولون ان الحوادث تقوم بالقديم وان الحوادث لا أول لها ، لكن نفوا ذلك عن الباريء لاعتقادهم انه لا صفة له بل هو وجود مطلق ، وقالوا ان العلم نفس عين العالم ، والقدرة نفس عين القادر والعلم والعالم شيء واحد ، والمريد والارادة شيء واحد ، فجعلوا هذه الصفة هي الاخرى وجعلوا الصفات هي الموصوف ،

ومنهم من يقول بل العلم كل المعلوم كما يقوله الطوسي صاحب شرح الاشارات فانه أنكر على ابن سينا اثباته لعلمه بنفسه وما يصدر عن نفسه ، وابن

سينا أقرب الى الصواب لكنه تناقض مع ذلك حيث نفى قيام الصفات به، وجعل
الصفة عين الموصوف وكل صفة هي الأخرى

ولهذا كان هؤلاء هم أوغل في الاتحاد والاحاد ممن يقول معاني الكلام شيء
واحد، لكنهم أنزموا قولهم لا أولئك، فقالوا اذا جاز أن تكون المعاني المتعددة شيئاً
واحداً، جاز أن يكون العلم هو القدرة والقدرة هي الإرادة. فاعترف حذاق أولئك
بأن هذا الالتزام لا جواب عنه

ثم قالوا واذا جاز أن تكون هذه الصفة هي الأخرى والصفة هي الموصوف
جاز أن يكون الموجود الواجب القديم الخالق هو الموجود الممكن المحدث المخلوق،
فقالوا إن وجود كل مخلوق هو عين وجود الخالق، وقالوا الوجود واحد، ولم يفرقوا
بين الواحد بالنوع والواحد بالعين، كما لم يفرق أولئك بين الكلام الواحد بالعين
والكلام الواحد بالنوع،

وكان منتهى أمر أهل الاحاد في الكلام الى هذا التعطيل والكفر
والاتحاد الذي قاله أهل الوحدة والحلول والاتحاد في الخالق والمخلوقات، كما ان
الذين لم يفرقوا بين نوع الكلام وعينه وقالوا هو يتكلم بحرف وصوت قديم،
قالوا أولاً انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا تسبق الباء السين، بل لما نادى موسى
فقال (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني - الى (١) - انا الله رب العالمين) كانت الهمزة
والنون وما بينهما موجودات في الأزل يقارن بعضها بعضاً، لم تزل ولا تزال لازمة
لذات الله،

ثم قال فريق منهم: ان ذلك القديم هو نفس الاصوات المسموعة من
(١) كذا في الاصل والآية الاولى من سورة طه والتي بعد الى من سورة
الفصص فهي ليست غاية لما قبلها فيظهر ان في الكلام تحريفاً أو سقطاً من النسخ
والمراد مفهوم على كل حال

القرء . وقال بعضهم : بل المسموع صوتان قديم ومحدث - وقال بعضهم : أشكال المداد قدينة أزلية . وقال بعضهم محل المداد قديم أزلي . وحكي عن بعضهم انه قال : المداد قديم أزلي . وأكثرهم يتكلمون بلفظ القديم ولا يفهمون معناه بل منهم من يظن انه قديم في علمه ومنهم من يظن ان معناه متقدم على غيره ، ومنهم من يظن ان معنى اللفظ انه غير مخلوق ، ومنهم من لا يميز بين ما يقول ، فصار هؤلاء حلولية اتحادية في الصفات ، ومنهم من يقول بالحلول والاتحاد في الذات والصفات ، وكان منتهى أمر هؤلاء وهؤلاء الى التعطيل .

والصواب في هذا الباب وغيره مذهب سلف الامة وأئمتها انه سبحانه لم يزل متكلماً اذا شاء ، وانه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وان كلماته لانهاية لها ، وانه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، وانما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك ، وان صوت الرب لا يماثل أصوات العباد ، كما ان علمه لا يماثل علمهم وقدرته لا تماثل قدرتهم ، وانه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وان أقوال اهل التعطيل والاتحاد ، الذين عطلوا الذات او الصفات او الكلام او الافعال باطلة ، وأقوال اهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات او الصفات باطلة ، وهذه الامور مبسوسة في غير هذا الموضع وقد بسطناها في الواجب الكبير والله أعلم بالصواب .

فتوى أمري لشيخ الاسلام

﴿ في اثبات أن الكلام صفة التكلم لا عينه ولا غيره ﴾

(سئل أيضاً رضي الله عنه) ما تقول السادة العلماء الجهابذة أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين : فيمن يقول الكلام غير التكلم ، والقول غير القائل ، والقرآن والمقروء ، والقاريء كل واحد منها له معنى ، بينوا لنا ذلك بياناً شافياً ليصل الى ذهن الحاذق والبلید أنابكم الله بمنه

(فأجاب رضي الله عنه)

الحمد لله ، من قال : ان الكلام غير المتكلم والقول غير القائل وأراد انه مبين له ومنفصل عنه فهذا خطأ وضلال ، وهو قول من يقول ان القرآن مخلوق فانهم يزعمون ان الله لا يقوم به صفة من الصفات لا القرآن ولا غيره ، وبوهون الناس بقولهم العلم غير العلم والقدرة غير القادر والكلام غير المتكلم . ثم يقولون : وما كان غير الله فهو مخلوق ، وهذا تلبيس منهم

فان لفظ الغير يراد به ما يجوز مباينته للآخر ومفرقة له ، وعلى هذا فلا يجوز أن يقال علم الله غيره ، ولا يقال ان الواحد من العشرة غيرها ، وأمثال ذلك ، وقد يراد بلفظ الغير ما ليس هو الآخر ، وعلى هذا فتكون الصفة غير الموصوف لكن على هذا المعنى لا يكون ما هو غير ذات الله الموصوفة بصفاته مخلوقا ، لان صفاته ليست هي الذات لكن قائمة بالذات ، والله سبحانه وتعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات كماله ، وليس الاسم اسم الذات لصفات لها بل يتمتع وجود ذات لصفات لها

والصواب في مثل هذا أن يقال الكلام صفة المتكلم ، والقول صفة القائل ، وكلام الله ليس مباينا منه بل أسمعه لجبريل ونزل به على محمد ﷺ كما قال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) ولا يجوز ان يقال ان كلام الله فارق ذاته وانتقل إلى غيره . بل يقال كما قال السلف : انه كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود . فقولهم منه بدأ على من قال : انه مخلوق في بعض الاجسام ومن ذلك الخلق ابتداء : فيمنوا ان الله هو المتكلم به « ومنه بدأ » لا من بعض الخلوقات « واليه يعود » أي فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف حرف ، وأما القرآن فهو كلام الله ،

فمن قال ان القرآن الذي هو كلام الله غير الله فخطؤه وتلبسه كخطأ من قال ان الكلام غير المتكلم ، وكذلك من قال ان كلام الله له مقروء غير القرآن الذي تكلم به فخطؤه .

ظاهر ، وكذلك من قل ان القرآن الذي يقرؤه المسلمون غير المقروء الذي يقرؤه المسلمون فقد أخطأ

وإن اراد بالقرآن مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرأ ناو قال أردت أن القراءة غير المقروء فلفظ القراءة مجمل ، قد يراد بالقراءة القرآن وقد يراد بالقراءة المصدر ، فمن جعل القراءة التي هي المصدر غير المقروء كما يجعل التكلم الذي فعله غير الكلام الذي هو يقوله ، وأراد بالغير أنه ليس هو إياه فقد صدق ، فان الكلام الذي يتكلم به الانسان يتضمن فعلا كالحركة ويتضمن ما يقترن بالفعل من الحروف والمعاني ، ولهذا يجعل القول قسما للفعل تارة وقسما منه أخرى فالاول كما يقول : الايمان قول وعمل : ومنه قوله ﷺ « ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به » ومنه قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومنه قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل) وأمثال ذلك فيما يفرق بين القول والعمل ، وأما دخول القول في العمل ففي مثل قوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقد فسروه بقول لا إله الا الله ، ولما سئل ﷺ أى الاعمال أفضل ؟ قل « الايمان بالله » مع قوله « الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن الطريق » ونظائر ذلك متعددة

وقد تنوزع فيمن حلف لا يعمل عملا إذا قل قولاً كالقراءة ونحوها هل يبحث ؟ على قولين في مذهب احمد وغيره بناء على هذا

فهذه الالفاظ التي فيها اجمال واشتباه إذا فصلت معانيها والا وقع فيها نزاع واضطراب والله سبحانه وتعالى أعلم

تم الكتاب المجموع لله الحمد

﴿ كلية المطبعة في هذا المجموع ﴾

يقول محمد رشيد آل رضا : قد جمع هذه المباحث والفتاوى عالم الشام السلفي الاثري، الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي الشهير (رح) من كتاب الكواكب وغيره من كتب شيخ الاسلام وفتاويه ، وأرسله إلى صديقنا السلفي الاثري السري ، صاحب الفضيلة الشيخ محمد نصيف الحجازي . وقد رفعه هذا الى الامام الهام، ومحبي مذهب السلف وستة خير الامام ، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها فبادر إلى اصدار أمره الينا بطبعه مع رسائل أخرى لشيخ الاسلام قدس الله روحه ونشره في مملكته وغيرها كسائر مطبوعاته النافعة (وهي ماحواه هذا المجموع) وكنا نظن أن المرحوم القاسمي عني بقراءته وتصحيحه بنفسه، فأراحنا من التعب في طبعه، ولكننا وجدنا فيه من الغلط والتحريف ما استبعدنا معه أن يكون عني بتصحيحه، وقد هون علينا تصحيحه ما فيه من تكرار المسائل فاستفدنا من مقابلة بعضها ببعض

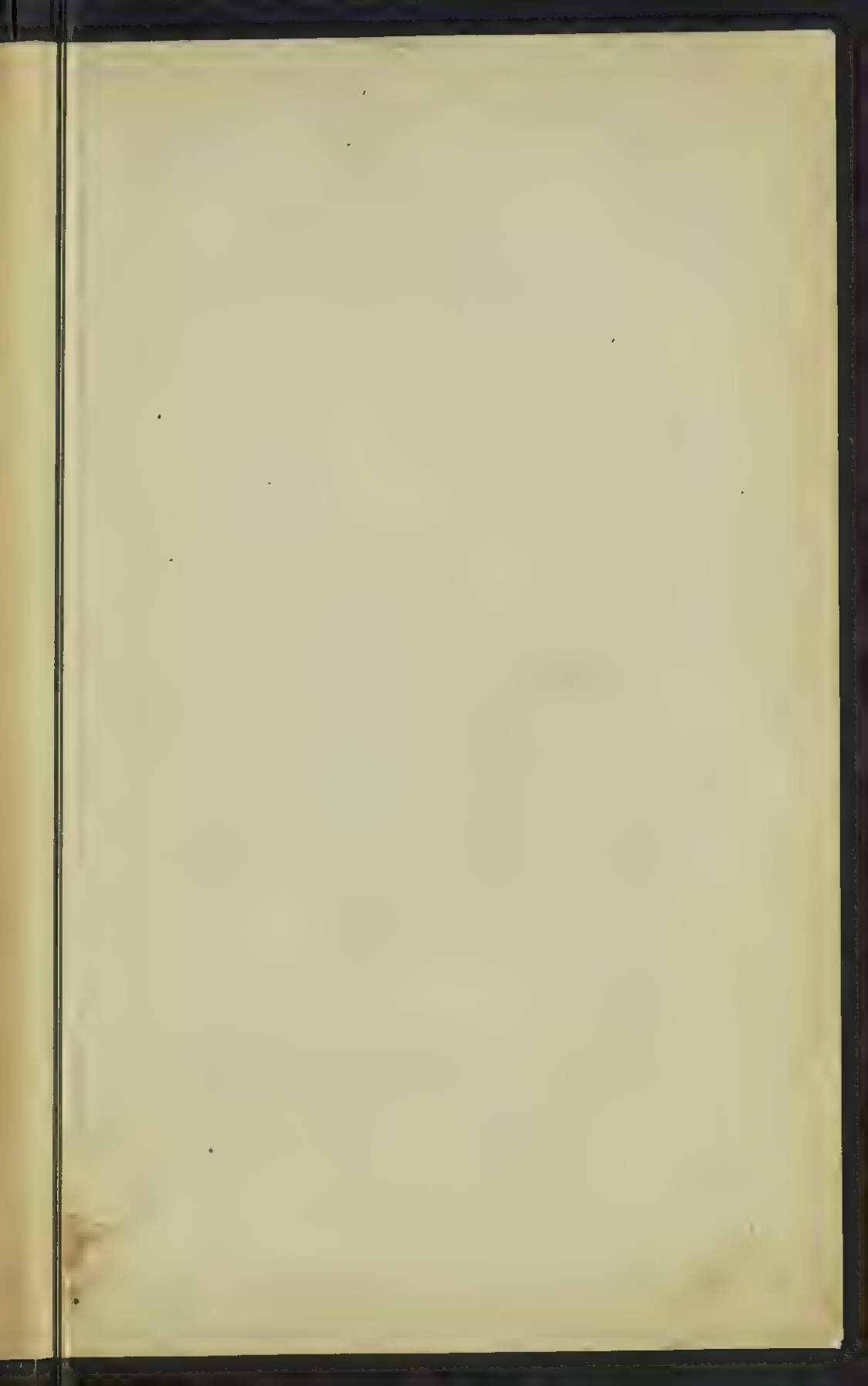
وأما قيمة هذا المجموع الدينية العلمية فهي لا تقدر، والتكرار فيه مفيد فإن هذه التحقيقات الواسعة قلما يراها أحد إلا اذا تكررت على ذهنه مراراً كثيرة ومن الغريب أن هذه المسائل كان يكتبها شيخ الاسلام قدس الله روحه أو يملأها من غير مراجعة كتاب من الكتب ، وهي من الآيات البينات، والبراهين الواضحات ، على ان هذا الرجل من أكبر آيات الله في خلقه، أيديها كتابه الذي قال فيه انه (يهدي للتي هي أقوم) وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه السلف الصالح من فهمها ، والاعتصام بها .

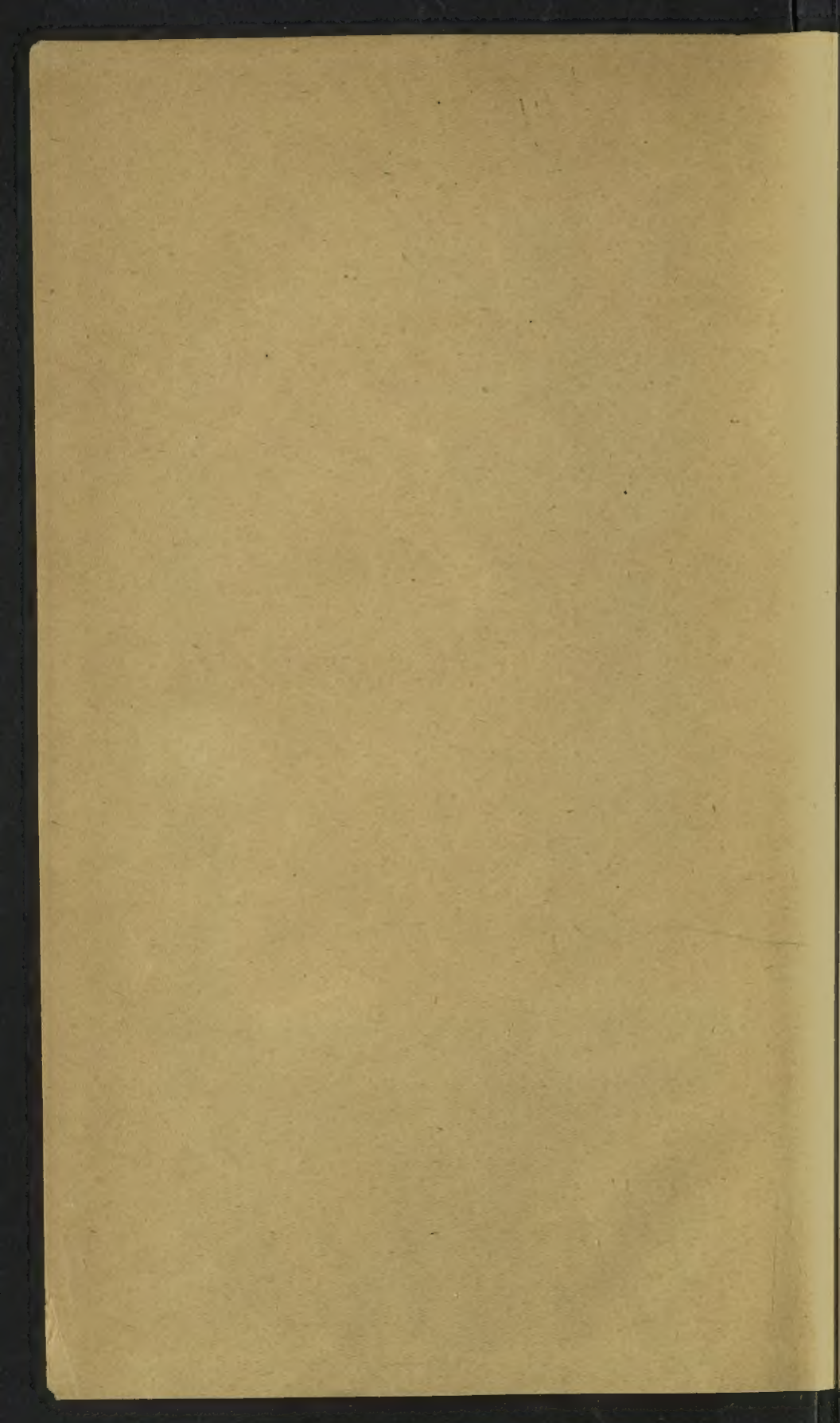
ويعلم من كل فتوى منها — بله جملتها ومجموعها — انه رحمه الله تعالى قد جمع من العلوم الثقيلة والعقلية الشرعية والتاريخية والفلسفية ومن الاحاطة بمذاهب الملل والنحل وآراء المذاهب ومقالات الفرق حفظاً وفهماً ما لا نعلم مثله عن أحد من علماء الارض قبله ولا بعده ، وأغرب من حفظه لها استحضارها إياها عند التكلم والاملاء أو الكتابة ، وأعظم من ذلك ما آتاه الله من قوة الحكم في ابطال الباطل واحقاق الحق في كل منها بالبراهين الثقيلة والعقلية، ونصر مذهب السلف في فهم الكتاب والسنة على كل ما خالفه من مذاهب المتكلمين والفلاسفة وغيرهم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

فهرس عناوين كتاب

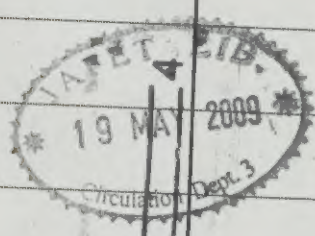
مذهب السلف القويم ، في تحقيق مسألة كلام الله الكريم

- (١) سؤال من كيلان عن كلام الله :ز وجل وكلام البشر وحكم من قال كل منها قديم وما نقل عن الامام احمد في المسألة — وجوابه ص ٢ — ١٦
- (٢) فصل في مسأله القرآن العزيز ودلالة الكتاب والسنة على ما انفق عليه السلف الصالح فيهم من الصحابة والتابعين والأئمة الاربعة وغيرهم وما حدث فيها من الاقوال بعدم ١٧ — ٣٤
- (٣) مسألة الاحرف التي انزلها الله على آدم (ع م) وهل هي قديمة او مخلوقة ٣٥
- فصل منه في نزاع المتأخرين في الحروف من كلام البشر وسببه ٤٥
- » في الحكم بين المتنازعين في ذلك ائمتهم المصيب ٤٧
- » في حروف المعاني التي هي قسمة الاسماء والافعال ٨٤
- » في بيان ان القرآن كلام الله لا كلام جبريل ولا محمد ومعنى ازاله ٨٩
- » في منشأ النزاع والاختلاف وهو علم الكلام الذي ذمه السلف ونظرياته الباطلة ١٠٢
- » في فروع الاختلاف وفرق الناس فيه ١٠٦
- مسألة كلام الله تعالى في كتاب منهاج السنة ومذاهب الشيعة فيها ١١٣
- » في كتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١٢٣
- فتوى في مسألة الكلام ١٣١
- فتوى ثانية » ١٤٦
- » ثالثة » ١٥١
- » رابعة في إنبات أن الكلام صفة المتكلم لا عينه ولا غيره ١٦٢





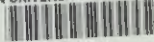
DATE DUE



297.3:113maA:c.1

ابن تيمية الحراني، تقي الدين احمد بن
مذهب السلف القويم في تحقيق مسئلة ك

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01207881

American University of Beirut



297.3

I13maA

General Library

